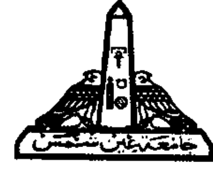
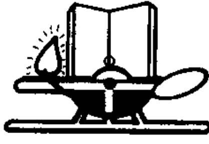




أعلام من كلية الآداب

أ.د. إبراهيم الشواربى

كلية الآداب - جامعة عين شمس

الفهرس

***

تقديم

تهتم كليـة الآداب بجامعـة عين شمس بتجـديد التواصل العلمي بين أعـلام الأسـاتذة الذين توالـوا على الإسـهـام فى بناء صـرحـهـا العلمي، جيـلاً بعد جـيل والهدف من ذلك تذكيـر الأبناء من طلاب العلم فى الكليـة بالإسهـام العلمي للأساتذة المؤسسين في مـجالات تخصـصاتهم المختلفـة، تشجيـعاً لهم على المتـابعة والاقتـداء بهؤلاء الأعلام.

لقد رأت إدارة الكلية فى هذا تعبيراً عن الوفاء لهؤلاء الآباء الذين لا ننسى فـضلهم وإذا كان هذا من الوفـاء الروحى لتراثهم، فـإنه من جـهة أخـرى من التـقـدير العلمي لهـذا التـراث. إنه إيمان بأن هؤلاء الرواد باقـون بيننا بما قدمـوا للعلم والوطن ولأبنائه فى جـامعـة عين شمس ما نفخر به جميعاً على مر الزمان.

من أجل ذلك فإنه تجديداً للذكرى، ودعـماً لهذا التواصل العلمي المأمول يقيم مركز الدراسات الإنسانيـة والمستقبليات فى كلية الآداب بجامعة عين شـمس سلسلة من الندوات الدورية تحت عنوان « أعلام فى كليـة الآداب » تتناول العطـاء العلمى، والإنجـاز الفكرى لبـعض أساتذتهـا الذين أسهـموا إسهـاماً واضحـاً فى بناء صرحـها العلمى، وكـانوا رواداً لهم شـأنهم فى تـخـصـصـهـم، وقـد تواصل عطاؤهم

العلمي جيلاً بعد جيل في تلاميذهم الذين حملوا الراية من بعدهم.

وقد رأت اللجنة المختصة بفضل توجيه أ.د. محمد عبد اللطيف هريدي عميد الكلية، وتأييده لنشاط هذه الندوات في تكريم هؤلاء الأعلام، أن تنشر علي طلاب المعرفة المادة العلمية التي قدمت في هذه الندوات ترجمة للأساتذة المحتفى بهم، وتحليلاً لمناهجهم العلمية، وآفاقهم المعرفية.

وتأمل اللجنة أن تقدم بهذا للأبناء نماذج خالدة من المثل العليا في المثابرة والاجتهاد والإخلاص للعلم والوطن والمستقبل.

إن تخليد الذكرى بهذا الذى ننشره اليوم عنهم إنما هو فى جوهره تقدير لمعنى الوفاء لتراثنا العلمي، ولأجيال سابقة من علماء مصر الذين أسسوا صرح المعرفة فى جامعة عين شمس منذ إنشاها سنة ١٩٥٠ .

تحية للقارئ الكريم فى كل مكان، وندعوه أن يسهم معنا فى تطوير هذا الجهد المتواضع فى تجديد معنى التواصل والوفاء لأجيال سابقة من علماء مصر.

اللجنة

المقـــرر : **أ.د. عفت محمد الشرقاوى**

أمانة اللجنة : **السيدة رجاء الوكيل**

رئيس مركز الدراسات الإنسانية والمستقبليات

أ.د. محمد سيد خليل

وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

برنامج الندوة

تسجيل الأسماء ٩,٣٠ : ١٠,٠٠

الجلسة الافتتاحية ١٠,٠٠ : ١١,٠٠

قرآن كريم

- كلمة اللجنة **أ.د. عفت الشرقاوى**
- كلمة وكيل الكلية للدراسات العليا **أ.د. محمد سيد خليل**
- كلمة عميد الكلية **أ.د. محمد عبد اللطيف هريدى**

عرض صور وشهادات المحتفى به

- كلمة الأسرة **م. عمرو الشواربى**

أ.د. شيرين الشواربى

- كلمة الخريجين **أ.د. بديع جمعة**

حفل شاى من ١١,٠٠ : ١١,٣٠

***

الجلسة الأولى من ١١,٣٠ : ١,٠٠

رئاسة أ.د. شيرين عبد المنعم

أ.د. محمد السعيد جمال الدين أغانى شيراز وأصداؤها فى أدبنا العربى

الشاعر محمد أبو سنة رؤية فنية لترجمة أغانى شيراز

لحافظ الشيرازى ترجمة الدكتور الشواربى

أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم حدائق السحر بين كتب البلاغة الفارسية

أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن حافظ الشيرازى

استراحة ١,٠٠ : ١,٣٠

***

الجلسة الثانية من ١,٣٠ : ٣,٠٠

رئاسة أ.د. محمد السعيد جمال الدين

أ.د. السباعى محمد السباعى الشواربى وقواعد اللغة الفارسية

أ.د. أحمد حمدى الخولى قراءة فى كتاب تاريخ الأدب فى إيران،

لبراون ... ترجمة د. الشواربى

أ.د. عفاف السيد زيدان أفغانستان فى كتابات أ.د. الشواربى

أ.د. شيرين عبد المنعم جولة فى كتاب المصادر الفارسية فى التاريخ الإسلامى

ختام - توصيات

أعلام من كلية الآداب

احتفالية الأستاذ الدكتور

إبراهيم أمين الشواربى

السيرة الذاتية

للأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى

أ.د. بديع جمعة



لا تذكر الدراسات الشرقية فى مصر إلا ويذكر معها الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى مؤسس أكبر صرح لهذه الدراسات فى مصر والعالم العربى كله. هذا الصرح المتمثل فى قسم اللغات الشرقية وآدابها بكلية الآداب جامعة عين شمس والذى ينتسب إليه معظم العلماء والباحثين فى اللغات الشرقية وآدابها والذين أسهموا فى توسيع قاعدة الاهتمام بهذه الدراسات داخل مصر وخارجها فجميع المراكز

العلمية والجامعات العربية التى أولت هذه اللغات جل الاهتمام أو بعضه أستعانت بخريجى هذا القسم كى يساعدوا فى إنشاء أو تطوير الأقسام المناظرة أو المستحدثة بالجامعات العربية من الخليج إلى المحيط.

وإذا كان هذا هو الدور الذى يمثله قسم اللغات الشرقية بآداب عين شمس فى عالمه العربى فالفضل لابد وأن يسند إلى مؤسسه وواضع لائحته الدراسية التى تميزت بالعمق والأصالة والتجديد المستمر حتى أصبحت أعمال هذا القسم قناة اتصال حية بين شعوب العالم الإسلامى غير الناطقة بالعربية وأبناء العربية الذين زخرت مكتباتهم بآلاف الأبحاث والكتب المترجمة من اللغات الشرقية وبخاصة عن اللغتين الفارسية والتركية إلى اللغة العربية، فقد حرص الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى مؤسس هذا القسم على أن تتضمن أى رسالة جامعية لنيل درجة الماچستير أو الدكتوراه على ترجمة نص أدبى أو تاريخى أو لغوى من الفارسية أو التركية إلى اللغة العربية محييا بذلك عصر الترجمة الكبير فى أيام الدولة العباسية.

ولكن ما قصة هذا العالم الجليل والأستاذ الكبير، الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى؟

ولد إبراهيم الشواربى فى الثالث من أكتوبر عام ١٩٠٩ ميلادية بمحافظة الجيزة، وذلك فى عائلة أرستقاطية، هى عائلة الشواربى التى يستقر معظم أبنائها بمركز قليوب التابع لمحافظة القليوبية، كان والده محمد بك أمين يشغل منصب كبير المهندسين بوزارة الأشغال العمومية بالقاهرة، لذا كان والده قد ترك الإقامة بقليوب مقر العائلة ومهبط رأسه وأقام بالجيزة ليكون قريباً من مقر عمله. وهكذا جاء مولد ابنه «إبراهيم» بمحافظة الجيزة وليس بالقليوبية كمعظم أبناء الأسرة «الشواربية».

التحق إبراهيم بالمدرسة الابتدائية وواصل تعليمه فى فترة كانت تموج بالغليان والثورة فى مصر فقد عاصر فى هذه الفترة أحداث الحرب العالمية الأولى ثم ثورة ١٩١٩ ضد الوجود الانجليزى فى مصر. وكذلك فترة إرساء الدستور المصرى إلى غير ذلك من الأحداث التى لابد وأن تكون قد تركت فى شخصية هذا الطالب وجيله بذور البحث عن الحقيقة وعدم الخضوع للمسلمات والفرضيات وهذا ما سنجد أثره بعد ذلك فى أبحاثه الدءوبة والجادة والتى تنم عن أصالة فى الطبع وحسن الإعداد والتربية، ساعدته فى ذلك إلى جانب المدرسة، مكتبة والده الزاخرة بالعديد من العلوم والفنون فقد كان أصحاب البيوتات الكبيرة والأسر العريقة فى ذلك الوقت حريصين كل الحرص على أن تضم

منازلهم مكتبات كبيرة لا تقتصر على فرع واحد من العلوم بل تضم ألواناً شتى من المعارف الإنسانية وبلغات متعددة، ولعل وجود هذه المكتبة فى بيت والده كان المشجع الأكبر له على أن يتوجه بعد حصوله على شهادة البكالوريا فى عام ١٩٢٦م إلى الالتحاق بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً) ومع تفوقه وتميزه فقد شعر بأن الدراسة فى كلية الآداب لا تكفيه، فالتحق فى العام التالى بكلية الحقوق إلى جانب التحاقه بكلية الآداب، وأثبت فى كلتا الكليتين تميزاً وتفرداً حتى حصل فى عام ١٩٣٠ على ليسانس الآداب بمرتبة الشرف ثم حصل على ليسانس الحقوق فى العام التالى .

وهكذا أحرز فى عامين متتالين درجتى الليسانس فى الآداب والحقوق ولكنه آثر أن يواصل دراسته فى مضمار الآداب واللغات دون أن يهجر الدراسة القانونية، تلك الدراسة التى جعلته يبحث عن العدل والإنصاف فى كل قضية أدبية يتعرض لدراستها والبحث فى مضمارها ولم يكن يهدأ له بال حتى يصل إلى الحقيقة ما أمكنه، وهكذا كانت دراسته للآداب واللغات مصطبغة بدراسته للحقوق والقوانين والدساتير. وقد كانت دراسته بهاتين الكليتين دافعاً له على تعميق دراسته للغتين الانجليزية والفرنسية فأجادهما إجادة تامة.

ومع كل هذا الفضل لم يتوقف عن الدرس والتحصيل بل أراد أن يضيف إلى اللغات التى تعلمها فى المدارس والجامعة لغات أخرى جديدة، فإذا به كواحد من أبناء الأسر الكبيرة يتوجه إلى لندن ليدرس الفارسية والتركية فى جامعتها العريقة فحصل فى يوليو ١٩٣٣ على بكالوريوس الآداب مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة لندن وفى يونيو ١٩٣٤ حصل على الدبلوم العالى لمعهد الدراسات الشرقية بنفس الجامعة، ثم التحق فى عام ١٩٣٦ بقسم الدراسات العليا بجامعة لندن لإعداد رسالة الدكتوراة ولعل ظروف أوربا السياسية وبوادر اندلاع الحرب العالمية الثانية وبعض ظروفه الخاصة قد جعلته يؤثر العودة إلى القاهرة قبل أن يكمل دراسته للحصول على درجة الدكتوراه. وبعودته عين بكلية الآداب - جامعة فؤاد الأول فى وظيفة مدرس مساعد وذلك فى ١/ ١١/ ١٩٣٦ ثم لم يمض وقت طويل حتى أرسلته الجامعة إلى إيران فى عام ١٩٣٨ لتحضير أبحاث متصلة برسالته لنيل الدكتوراة والتى كانت تدور حول غزليات شاعر إيران الكبير حافظ الشيرازى. وهناك جمع مادته العلمية ثم عاد إلى مصر ليواصل إعداد رسالته حتى قدمها إلى المناقشة فى عام ١٩٤٣ حيث نال عنها درجة الدكتوراة فى اللغات الشرقية بمرتبة الشرف الممتازة، وعلى أثر ذلك عين فى درجة مدرس للغة الفارسية وآدابها بكلية الآداب - جامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقاً) وكان ذلك فى ٢١/ ٧/ ١٩٤٣.

بعد ذلك أصبح كل هم الدكتور إبراهيم أمين نشر تعليم اللغة الفارسية فى مصر والمشاركة الفعالة فى هذا المجال حيث عكف على تدريسها بكلية الآداب وكلية دار العلوم وفى معهد اللغات الشرقية ومعهد الآثار الإسلامية، بل شارك أيضاً عن طريق الانتداب فى تدريس الفارسية فى جامعة فاروق الأول (الإسكندرية حالياً) وبالجامعة الأزهرية وبالجامعة الأمريكية بالقاهرة وباختصار يمكن القول أنه لم يتوان عن المشاركة بجهده وعلمه لتدريس الفارسية فى أى معهد علمى يعنى بذلك وقد كان يؤمن سيادته بأن تعلم الفارسية يكمل إلى جانب العربية والتركية بناء المثقف الإسلامى، حيث يقول رحمه الله فى معرض حديثه عن أهمية الدراسات الإسلامية بكل لغاتها المختلفة : أما الذين أقتصروا فى تحصيل الثقافة الإسلامية على ما دون منها بالعربية فلا أحسبهم إلا مقصرين في الطلب أو قانعين بأوهى ما يجب، ولو أنهم استكملوا عدتهم وأخذوا أهبتهم لأكسبوا أبحاثهم كثيراً من المتعة والدقة والخطر كما يفعل عادة بعض المستشرقين الذين نظروا إلى الثقافة الإسلامية نظرة كلية واسعة [1].

١ - إبراهيم أمين الشواربى : القواعد الأساسية لدراسة الفارسية.

ولعل هذه النظرة الموسوعية لدى الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى قد لازمته منذ شبابه، حيث لم يكتف بالدراسة فى كلية الآداب، وتقدم فى نفس الوقت للدراسة فى كلية الحقوق. وقد زادت هذه النظرة الموسوعية لديه بعد سفره إلى لندن وتتلمذه على العديد من المستشرقين ومن أهمهم أستاذه السير وينسون روس الذى تتلمذ بدوره على المستشرق الانجليزى الكبير إدوارد جرانفيل براون، وقد ترك هذان الأستاذان بصمات واضحة على فكره ونشاطاته العلمية، كما سنعرف من خلال مؤلفاته ودراساته المتعددة المجالات.

ظل أستاذنا المرحوم الدكتور إبراهيم أمين الشواربي يعمل بكلية الأداب جامعة فؤاد الأول وترقى فيها حتى وصل إلى درجة أستاذ مساعد، وعندما صدر القرار بإنشاء جامعة إبراهيم باشا (عين شمس حالياً) عام ١٩٥٠ انتقل الدكتور إبراهيم إلي كلية الأداب بها ليؤسس أول قسم جامعى فى مصر للغات الشرقية وآدابها هذا القسم الذى مازال يعمل بهدى من آرائه وأفكاره وطموحاته. وقد ظل يرأس هذا القسم حتى وافته المنيه عام ١٩٦٣، وقد بذل كل جهده خلال هذه الفترة كى يضع هذا القسم فى صدارة الأقسام الجامعية العالمية المعنية بدراسة اللغتين الفارسية والتركية وآدابها وأصبح هذا القسم بفضل خطته

الطموحة التى وضعها موضع احترام جميع المهتمين بهذه الدراسات الشرقية في الداخل والخارج وبخاصة داخل إيران وتركيا حيث أصبح هذا القسم خير نافذة يستطيع العرب من خلالها الإطلاع على فكر وثقافة وحضارة الإيرانيين والأتراك عبر العصور المختلفة. فسعت هاتان الدولتان إلى تدعيم هذه الدراسات وإمداد القسم بالعديد من الأساتذة الإيرانيين أو الأتراك للمساهمة فى مسيرة القسم العلمية المتألقة.

ونتيجة لنجاح الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى فى تأسيس أكبر قسم للغات الشرقية فى العالم العربى، فقد كلف من قبل الحكومة المصرية بالسفر إلى بكين عام١٩٥٦ حيث قضى هناك عاماً قام خلاله بالتمهيد لإقامة علاقات سياسية وأقتصادية وثقافية بين جمهورية مصر وجمهورية الصين الشعبية فكان أول سفير مصرى غير معلن يصل إلى بكين وينجح فى مهمته التى أعقبها الإعلان عن إقامة علاقات كاملة بين البلدين وقد كان لهذا الإعلان دور سياسى ضخم وإن توارى خلف الظلال صاحب البصمة الأولى فيه، ألا وهو الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى.

ومن النشاطات العلمية التى لا يمكن إغفالها، إشراف سيادته على العديد من الرسائل الجامعية من ماجستير ودكتوراه فعدد كبير من الأساتذة السابقين والأساتذة الحاليين قد أسعدهم الحظ بإشراف الأستاذ

الدكتور إبراهيم أمين الشواربى على رسائلهم وكان نعم المشرف الذى لا يقبل من تلميذه إلا الرأى الصائب والبحث الجاد والأسلوب المتميز، ومن الذين شرفوا بإشرافه أذكر على سبيل المثال لا الحصر المرحوم الأستاذ الدكتور عبدالنعيم حسنين، والأستاذ الدكتور فؤاد عبدالمعطى الصياد أمد اللّه فى عمره - والأستاذ الدكتور طلعت إسماعيل أبو فرحة، والمرحومة الأستاذة الدكتورة إسعاد عبدالهادى قنديل، والأستاذ الدكتور بديع محمد جمعه - كاتب هذه السطور.

ونتيجة لكل هذا التميز ونتيجة لمؤلفاته العديدة والمتفردة فى مادتها العلمية وفى حسن اختيار موضوعاتها، فقد منح عام ١٩٤٨ عضوية الجمعية الملكية الأسيوية بلندن وفى عام ١٩٤٩ منح وسام المعارف من الحكومة الإيرانية نتيجة مجهوداته القيمة فى نشر اللغة الفارسية وتعليمها فى مصر. كما أن محافظة شيراز قد أهدته لقب المواطن الفخرى وذلك لاهتمامه بالبحث فى آثار وأفكار خواجه شمس الدين محمد حافظ الشيرازى ابن شيراز وكذلك ترجمة غزلياته إلى العربية بعنوان أغانى شيراز [(١)]، ولم يكتف محافظ شيراز بهذا المنح وحده، بل

(١) سألحق فى نهاية المقال صورتين إحداهما لوسام المعارف الإيرانى، والأخرى صورة لوثيقة منحه لقب المواطن من قبل محافظ شيراز.

أطلق فى ذلك الوقت اسم سيادته على أحد شوارع المدينة الشاعرة شيراز.

مؤلفاته :

١- القواعد الأساسية لدراسة الفارسية ١٩٤٣م :

أول كتاب وضع بأسلوب علمى حديث وبطريقة مشوقة لتعليم اللغة الفارسية لأبناء العربية، وقد طبع لأول مرة بلجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٣ ثم تعددت طبعاته وقد أفاد منه جميع أساتذة الفارسية وطلابها فى مصر ومهما تكاثر صدور الكتب المعنية بتعليم الفارسية فلم يبلغ كتاب منها ما بلغه هذا الكتاب من شهرة وذيوع صيت لا لكونه أول كتاب بل لأنه حظى بأسلوب سلس فى التأليف وتقديم المعلومة دون إغراق فى التفاصيل ولهذا حرص مؤلفه على أن يلحق بكلمة القواعد صفة الأساسية حتى يكون التركيز على الأصول دون الدخول فى الفروع، كما ألحق بالكتاب العديد من النصوص الفارسية المتدرجة ما بين نثر وشعر، جعل من يقرؤها يزداد إقبالاً على تعلم الفارسية.

٢- أغانى شيراز أو غزليات حافظ الشيرازى : (جزءان) ١٩٤٤ - ١٩٤٥م

وهذا العمل يعد أول ترجمة عربية كاملة لديوان حافظ الشيرازى وقد قدم لهذا العمل الكبير أستاذه عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين، ومما قاله فى التقديم : لسنا فى حاجة لأن نتحدث عن الصلة بين آداب العرب وإيران، فقد ظهر فى حياتنا الأدبية خلال فترة أقل من ربع قرن رجال علماء أولوا هذه الصلة عناية خاصة وقدموا فى مجال الآداب العربية الحديثة أثارا إيرانية جميلة وسلكوا طريق أدباء المسلمين فى القرون الأولى ...

كما أشاد بهذه الترجمة القيمة وبذلك الجهد العظيم المستشرق آربرى فى مجلة «روزكارنو» التى كان يصدرها عدد من المستشرقين فى لندن ونيويورك. وقد ورد هذا التقريظ عن كتاب حافظ الشيرازى للدكتور إبراهيم أمني الشواربى فى المجلد الرابع، العدد الرابع سنة ١٩٤٥ .

وقد حرص الأستاذ الدكتور إبراهيم على أن يحسن ترجمة الغزليات وأن تكون فى أسلوب شعرى يحافظ على رونقها وجمالها، حقيقة أنه ترجم الغزليات نثراً ولكنه نثر رقيق أخاذ، ثم حاول أن ينظم بعض هذه الترجمات فى أبسط عبارة وأرق كلمة، حاول هذا دون الادعاء بأنه شاعر ينظم شعرا فى مقابل شعر حافظ، بل اكتفى بأنها محاولة بسيطة جرب فيها قدراته على نظم الشعر، وقد نجح فى ذلك.

٣- حافظ الشيرازى : ١٩٤٤م

دراسة مستفيضة عن أحوال هذا الشاعر الايرانى الكبير وكانت هذه الدراسة موضوع رسالته لنيل درجة الدكتوراه فى اللغة الفارسية وآدابها. وقد تضمنت الدراسة وصفاً تفصيلياً لموطن الشاعر وعصره وظروف حياته ومواطن فلسفته ومحتويات ديوانه ومازال هذا الكتاب الذى مضى على تأليفه أكثر من نصف قرن أهم كتاب فى اللغة العربية حول حياة حافظ الشيرازى وشعره.

٤- حدائق السحر فى دقائق الشعر : ١٩٤٥م

عبارة عن الترجمة العربية لأول كتاب فى البلاغة الفارسية، وقد وضعه أصلاً بالفارسية الكاتب والشاعر البلخى رشيد الدين العمرى المعروف بالوطواط والمتوفى عام٧٥٣هـ وقد طبع الكتاب فى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٥م، وكعادة الدكتور إبراهيم فقد حرص على أن يقدم للكتاب بمقدمة علمية متميزة عن البلاغة ما بين العربية والفارسية وكذلك عرف بالكاتب إلي جانب ترجمته للمقدمة القيمة التى كتبها ناشر الكتاب «الأستاذ عباس إقبال» ومازال الكتاب أفضل كتاب ظهر بالمكتبة العربية للدراسة المقارنة بين البلاغتين العربية والفارسية منذ ترجمته وحتى الآن.

٥- مصادر فارسية فى التاريخ الإسلامى : ١٩٤٢م

بحث علمى مطول، عرف فيه بالعديد من المراجع الفارسية فى التاريخين العام والخاص محللاً منهج كل مرجع منها وكذلك الأسلوب الذى اتبعه كل مؤلف فى كتابه مع بيان قيمة الكتاب التاريخية وكذلك كيفية الاستفادة منه والأخذ عنه، مع بيان أوجه القصور إن وجدت.

٦- راحة الصدور وآية السرور :

هذا الكتاب من تأليف نجم الدين الراوندى، وقد قام الدكتور الشواربى بترجمته إلى اللغة العربية بالاشتراك مع الاستاذين الجليلين الدكتور عبد النعيم حسين والدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد. وترجع أهمية الكتاب إلى أن الراوندى كان معاصراً للدولة السلجوقية التى يدور حولها موضوع الكتاب. ولم يكتف المؤلف بتسجيل الأحداث التاريخية وحدها بل قام بسرد كامل عن الحياة الاجتماعية والأدبية بل وتحدث كذلك عن العادات والتقاليد التى كانت سائدة فى ذلك الوقت فجاء الكتاب فى صورة صادقة لحياة الخاصة والعامة إبان حكم الدولة السلجوقية فى كل من إيران والعراق على وجه الخصوص.

٧- قصة الحضارة الفارسية : ١٩٤٧م

وهى ترجمة لفصل من كتاب قصة الحضارة للكاتب الانجليزى

الشهير (ول ديورانت) وقد حرص الدكتور الشواربى على أن يترجم هذا الفصل الخاص بالحضارة الفارسية قبل الإسلام، حتى يطلع أبناء العربية على أحوال إيران وكيف كانت تعيش وتحكم قبل أن ينعم الله عليها بنعمة الإسلام. ولا شك أن دراسته بجامعة لندن وتعرفه على العديد من الأساتذة الكبار والمستشرقين هى التى جعلته يقرأ مثل هذه الكتب باللغة الإنجليزية ويعجب بها فيقدم على ترجمتها إلى اللغة العربية.

وهكذا لم يكتف بالترجمة عن الفارسية بل أضاف إلى ذلك فضلاً آخر، ألا وهو الترجمة عن الإنجليزية فى موضوعات وثيقة الصلة بتخصصه الأول، وهو اللغة الفارسية وآدابها.

٨-تاريخ الأدب فى إيران (من الفردوسى إلى السعدى) ١٩٥٤م

وهو ترجمة كذلك عن الانجليزية للجزء الثانى من الموسوعة ذات الأربعة أجزاء التى ألفها المستشرق البريطانى الشهير إدوارد جرانفيل براون، وقد اختار الأستاذ الدكتور ابراهيم الشواربى الجزء الثانى لأنه يمثل الحقبة الزمنية التى زخرت بالعديد من كبار الادباء فى مجالى الشعر والنثر أمثال الفردوسى والخيام والنظامى والعطار والمولوى والسعدى وغيرهم وغيرهم، ترجمه فى أسلوب عربى رصين محققاً

كل خبر ورد عن هؤلاء الشعراء والكتاب، رادا المؤلف فى بعض ما ورد عنه، ذاكراً الأصول الفارسية للشواهد الشعرية والنثرية التى وردت ترجماتها الإنجليزية فى الأصل الإنجليزى دون أن ترد أصولها الفارسية فحرص الدكتور إبراهيم على أن يورد الأصل الفارسى للأشعار مع الترجمة العربية ليكون فى ذلك أعظم درس لطلابه عن كيفية الترجمة الصحيحة من الفارسية إلى العربية. وهذه الإضافات التى أدخلها على النسخة العربية جعلت الإيرانيين يعدو هذه الترجمة تأليفاً جديداً يحمد للدكتور إبراهيم ودرساً لكل المترجمين فى عدم الاكتفاء بنقل النص من لغة إلى لغة بل لابد من التحقيق وإضافة النصوص الأصلية حتى وإن لم ترد فى الأصل المترجم عنه.

ولا شك أن هذا العمل كان يداعب فكر الدكتور إبراهيم منذ سافر إلى لندن وتتلمذ على أساتذته الإنجليز الذين كان بعضهم من تلامذة براون نفسه. وطالب الدكتور إبراهيم الباحثين بأن يهتموا بدراسة أعمال المستشرقين ونقل كتبهم إلى العربية حتى يفيدوا من أفكارهم ويردوا على افتراءات بعضهم ومما قاله فى ذلك :

"لو استطاع كل متخصص فى علم من العلوم أو فن من الفنون أن ينقل إلى العربية كتاباً واحداً من أمهات الكتب المتعلقة بموضوع

تخصصه لكان للعربية من مجموع هذه الترجمات ثروة طائلة".

ومع علم الدكتور إبراهيم بصعوبة الكتاب وما يتبع ذلك من عناء شديد قد يقع فيه المترجم. إلا أن ما دفعه إلى ذلك يرجع إلى إيمانه بضرورة التعرف على أعمال المستشرقين من ناحية ومن ناحية أخرى إعجابه الشديد بإدوارد براون الذي كان منصفاً فى أعماله بل كان من قلائل المستشرقين الذين أعجبوا إعجاباً شديداً بالإسلام وحضارته العربية والفارسية والتركية وفى هذا الصدد ذكر الدكتور الشواربى قولة بروان الخالدة : إن أحس فى قرارة نفسى بإعجاب شديد بالإسلام وحضارته العربية والفارسية والتركية وأجد لزاماً على أن أعترف بهذا الإعجاب اعترافاً صريحاً فى هذا الوقت الذى حرم فيه الإسلام من إنصاف الأوربيين الذين أساءوا فهمه وتصويره.

وأمام هذا الإعجاب بالمؤلف الانجليزى ومواقفه المنصفة ودقته أقدم الدكتور الشواربى على ترجمة هذا الكتاب الذى لا غنى عنه لأى دارس للأدب الفارسى من أبناء العربية وقد تم طبع الكتاب بإذن من دار طباعة كامبريدج - الناشرة للأصل الإنجليزى - في مطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٩٥٤.

هذه أهم الكتب التى خلفها لنا المرحوم الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى وهى تمثل ثورة كبيرة وإضافة إلى المكتبة العبرية ولعله كان بذلك محييا - كما سبق أن قلت - تلك الحركة النشطة التى سادت العصر العباسى وأدت إلى التكامل بين عناصر الثقافة الإسلامية فى جوانبها المختلفة وبخاصة العربية والفارسية.

ومع كل هذه المؤلفات الضخمة فإن أهم ما خلفه للأمة الإسلامية بعد مماته يتمثل فى ذلك القسم الذى أحسن تأسيسه وتدعيمه حتى أصبح أكبر قسم للغات الشرقية فى عالمنا الإسلامى كله، إنه قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة عين شمس الذي تولدت عنه بعد ذلك جميع أقسام اللغات الشرقية فى جميع الجامعات المصرية والعربية.

وهكذا كان رائداً وما زالت الريادة معقودة له حتى بعد مماته. رحمة الله عليه وعلى أمثاله من الرواد الذين أعلوا شأن الثقافة الإسلامية فى جميع لغات العالم الإسلامى.

د. بديع جمعة

الكلمة التى ألقاها
مهندس / عمرو إبراهيم الشواربى
نجل أ.د. إبراهيم أمين الشواربى

ضمن أعمال ندوة ١٨ أكتوبر ٢٠٠٣ والتى أقيمت بكلية الآداب جامعة عين شمس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين - والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

السيد الفاضل الأستاذ الدكتور / **محمد هريدى** عميد الكلية

السيد الفاضل الأستاذ الدكتور / **محمد سيد خليل**
وكيل الكلية للدراسات العليا

السيد الفاضل الأستاذ الدكتور / **عفت الشرقاوى** مقرر الندوة

السادة الأساتذة الأجلاء أعضاء اللجنة المنظمة سادتى الكرام

أما بعد ، ، ،

- أقف أمامكم .... أمام أساطين الفكر الأدب ... وجهابذة العلوم والثقافة.

- أقف بين من ملكوا زمام الكلمة .. وذاقوا سحرها ... وأحبوا رنين الحروف وجرسها. بين من (بأفكارهم) يطوفون بنا ... إلى عوالم سامية من الجمال والخيال.

بين من أتوا ... يديرون ذكر حبيب غاب عن النظر - ويتذكرون أحاديثه وكلامه.

- أقف وليس لى صفة .... إلا أنى ولده.

فمن يسعفنى بكلمات فى موقفى هذا ! فزادى منها قليل ؟

ومتى؟ وأين؟ وكيف أستطيع أن أرد بعض هذا الجميل؟.

فليجزكم الله خيراً يا سادتى ويهبكم السعادة والرضا والسرور والهنا. بإذنه إن شاء الله.

كما أدعو الله سبحانه أن يتقبل ما تركه أبى من أعمال كعلم ينتفع به ... وأبقى أنا من بعده ... أدعو له «بسم الله الرحمن الرحيم» ﴿رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً﴾ «صدق الله العظيم» و﴿رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ ... آمين.

أما شيخ شيراز - الذى قضى أبي معه أوقاتاً وليالى قد تفوق ما قضاه معى ..... والذى ذاب أبى فى شعره ... أو ذاب شعره فى دماء أبى ولسانه فتغناه بالعربية.

هذا الشيخ .... أكاد أراه ... بل أكاد أراهما معاً هناك ... عند ربوة عالية وخميلة وارفة يتكئان على أريكة ... يتحاوران ويرقبان ... يرقبان من أتوا إلى محراب العلم والأدب هنا فى عين شمس.

فيقول الشيخ لأبى : ..... انظر! .... انظر يا صاحبى!.

ها قد اجتمع من عرفتهم بأشعارى وكلامى ها قد اجتمع صفوة الصفوة من القوم فانظر معى واصغ يا صاحبى لما يقولون ....

فيرد أبى عليه مهلاً يا شيخ شيراز. لقد قلت لهم من قبل أنى سأنقل كلامك بمعانيه الظاهرة ولم أرد أن أقترب مما يمكن أن تكون قد رمزت أنت إليه من معان وأحوال ومقامات خافية .... لكننا الآن يا شيخنا أصبحنا وحدنا هنا فخبرنى بربك عن سرك هذا الذى أتعبنى وأتعب من بعدنا.

قل لى هل كان معشوقك هذا يمشى مثلنا على رجلين ؟

والساقى ... ساقيك هل أرشدك حقاً لطريق الهداية.

وكأسك وشرابك الأزلى ... وحانتك ....

ومن هو شيخ المجوس هذا ؟!! وإبن سجادة تقولك يا شيخنا.........

ثم قال لى :

من هى تلك التى تحلم أن يأتوك بحفنة من تراب أعتابها كى تجعله

كحلاً لعينيك ؟!!

ومن هى الذى كان محراب قلبك فى ثنية حاجبيها ؟!!

لقد حيرتنى يا شيخنا وحيرت من جاء بعدنا ....

فقل لى فى هذا قولاً صادقاً شافياً ......

فينظر الشيخ ويقول لقد تركتكم من بعدى فى مقام الحيرة هذا، يا أحبائى كى يزداد شوقكم لأشعارى ... فتنشدوها وتنتشون .... لا تنظروا يا أحبائى إلى مدلول كلماتى لا ظاهرها ولا باطنها ولكن أنظروا إلى أنا .. أنا حافظ ... لقد عشقت الجمال والخيال.

وكنت أبكى فى أشعارى على نفسى أنا .... كنت أهفو إلى جمال لايزول ولا أزول عنه أنا ... أهفو إلى جنة الخلد كما يهفو إليها كل من له قلب كقلبى أنا الذى ناجى ربه فقال : -

أنا الدرويش فارحمنى أيا ربى، فلا أدرى

سوى ذا الباب أبغيه وأنت القصد والمطمع

أساتذتى الأجلاء

أختم كلماتى هذه بشكر خاص لإخوانى الكرماء الأستاذ الدكتور / عفت الشرقاوى والأستاذ الدكتور / بديع جمعه والأستاذ الدكتور / محمد

جمـال الدين الذيـن كـان لهم فـضل كـبيـر على وعـلى شـقـيـقـتى الدكتورة/ شيرين الشواربى بتحفيزنا وبلورة أفكارنا فى هذه الندوة الرائعة.

كما أختمها بمناجاة لأبى رحـمة الله استعرت كلماتها من مقطع من قصيدة رقيقـة هى قصيدة (مـوسيقى الأحلام) للشـاعر المرهف القلب الرومانسى الوجدان .... الشاعر الكبير / محمد إبراهيم أبو سنة والذى يشرفنا فى هذه الندوة يقول فيها.........

يا أبتى يا شيخى ...... ومتى ألقاك ؟؟

تلقانى فى جسد الأحلام

نقب عنى فى جسد الأحلام

لكن لا تنس الموسيقى .... الموسيقى روح الشعر وروح الصدق المقدام

دعنى يا ولدى أغفُ لحظات وأنام.

موعدنا القادم حين ... (تقوم وتصدح بالموسيقى) ... الأحلام

مرة أخرى أشكر سيادتكم على هذا الكرم الزائد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

مهندس / عمرو إبراهيم الشواربى

السـبت ١٨/ ١٠/ ٢٠٠٣

الساعة الحادية عشرة صباحاً

ندوة المرحوم الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى

كلمة الخريجين

تحية تقدير، واعتراف بجميل

نيابة عن جميع خريجى قسم اللغات الشرقية عبر خمسين عاماً أوجه تحية تقدير وإعزاز إلى مؤسس أول قسم للغات الشرقية فى عالمنا العربى، كما نعترف اعترافاً صادقاً بجميله علينا جميعاً، نحن جميع خريجى قسم اللغات الشرقية بجميع تخصصاته من فارسى وعبرى وتركى وأوردى، وذلك لأنه أسس لنا قسماً ولد عملاقاً بفضل ما كان يتمتع به من سداد رأى وبصيرة نافذة وعلم ينتفع به حتى اليوم.



رحمه الله رحمة واسعة، وطيب ثراه، وأدخله فسيح جناته جزاء ما قدمه لأبنائه الدارسين من مثل وعلم ما زال وسيظل مضرب الأمثال فى تميزه وتفرده..

وإذا كان لى أن أشير إلى بعض أفضاله علينا، فإننى سأقتصر على نقاط سريعة نظراً لضيق الوقت :

أولاً : كان حريصاً على أن يحدد لنا الهدف من إنشاء القسم، وهو ضرورة التواصل بين مصر والعالم العربى من جهة وبين بقية دول العالم الإسلامى الناطقة بلغات التخصص من جهة أخرى. لذا كان يحرص على أن تكون جميع رسائل الماچستير متضمنة ترجمة لمتن شرقى ذى قيمة فنية أو أدبية عالية إلى اللغة العربية، وذلك لإثراء المكتبة العربية، ولما فى ذلك من فهم أكيد للشعوب الإسلامية الناطقة بغير العربية. ومازال القسم يسير على هذا الدرب حتى اليوم، ويحرص عليه كل الحرص إيماناً منه بسمو الرسالة التى وضع أساسها الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى.

ثانياً : كان يتسم بالجدية الكاملة فى كل شىء، ولم يكن يقبل أنصاف

الحلول ففى محاضراته، كان حريصاً على ألا يتأخر عن بدايتها، وألا يخرج قبل نهاية وقتها المحدد، ولم تكن تضيع منها دقيقة واحدة دون نقاش علمى جاد، وفى إشرافه على سير الامتحانات، كان مثالاً للانضباط والنزاهة لذا كانت إدارة الكلية تحرص على أن يرأس لجنة سير الامتحانات كلها، فكان لا يغادر خيمة الامتحانات دقيقة واحدة، لذا كان الامتحان منضبطاً، لا تجد فيه خروجاً عن النظام، لا من طالب ولا من ملاحظ، ولا من مشرف!

ثالثاً : كان يعلمنا دائماً احترام المواعيد وأن كل شىء فى الحياة موقوت بموعد محدد لا يجب إرجاؤه إلى أى موعد آخر، وعلى سبيل المثال كان يدعونا أحياناً إلى منزله بميدان المساحة بالدقى، ونحن من سكانى شبرا، حيث كانت الكلية تشغل فى ذلك الوقت نفس المكان الذى تشغله هندسة شبرا الآن، وكان يحدد لنا موعداً من الساعة التاسعة إلا الربع صباحاً إلى التاسعة، فإذا التزمنا بما حدده من وقت، فإذا بسيادته يجلس معنا ساعتين أو ثلاثاً، وأدركنا أن ما حدده من ربع ساعة ليس إلا درساً نتعلمه ونحرص على أن نلتزم التزاماً صارماً بأداء أى عمل فى توقيته المحدد دون أدنى تأخير أو إرجاء!

رابعاً : إلى جانب هذه الجدية الصارمة كان مثالاً للأبوة الحانية، حيث كان حريصاً على مشاركة أبنائه الطلاب فى رحلاتهم وبخاصة إلى القناطر الخيرية وكذلك فى حفلات سمرهم، وفى كل أنشطتهم الجامعية، فأين نحن الآن من هذه المشاركات؟

خامساً : امتداداً لأبوته الحانية، كان حريصاً على متابعة خريجيه، باحثاً لهم عن أعمال ووظائف تتفق وتخصصاتهم وبخاصة فى الزراعة والاستعلامات ووزارة الخارجية، وأذكر أنه استدعانى ذات يوم وكنت قد تخرجت وأواصل الدراسة فى معهد التربية العالى (كلية التربية بجامعة عين شمس الآن) وعندما وصلت إلى الكلية طلب منى انتظار سيادته حتى وقت عودته إلى البيت، ثم صحبنى فى سيارته دون أن أعرف إلى أين، وكان معنا الأستاذ الدكتور / محمد سليم سالم، وقاد السيارة حتى وصل إلى مبنى الإذاعة القديم فى شارع الشريفين وهناك قال لى :

انزل وقابل وكيل الإذاعة الأستاذ / عبدالحميد الحديدى دون أن أعرف لم المقابلة. وإذا بالأستاذ / عبدالحميد الحديدى يخبرنى بأن الأستاذ الدكتور / الشواربى قد رشحك للإشراف على البرنامج الفارسى فى الإذاعة الموجهة ويمكنك تسلم العمل الآن!

هكذا كان المعلم والمرشد والأب لكل أبنائه وتلاميذه، ونرجو أن نهتدى بهديه وأن نواصل مسيرته، وأن ندعو له بالرحمة والمغفرة.

وفى النهاية أوجه الشكر إلى إدارة الكلية وإلى مركز الدراسات الإنسانية بالكلية وإلى أسرة أستاذنا الكبير علي ما بذلوه جميعاً من جهد مشكور فى إنجاح هذه الندوة، وأخيراً إلى كل الزملاء الذين شاركوا بأبحاث قيمة تبرز جزءاً من فضل أستاذنا الكبير الأستاذ الدكتور / إبراهيم أمين الشواربى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

جولة فى كتاب مصادر فارسية فى التاريخ الإسلامى

أ.د. شيرين عبد النعيم حسنين
رئيس قسم اللغات الشرقية

يعد كتاب مصادر فارسية فى التاريخ الإسلامى - الذى ألفه المرحوم الأستاذ الدكتور/ إبراهيم أمين الشواربى - بحثاً مطولاً فى التعريف بالمصادر الفارسية وأهميتها التاريخية.

وفى الحقيقة يعد هذا الكتاب من بين أعمال د. الشواربى القيمة إذ يتناول دراسة المصادر الفارسية تلك المصادر التى أرخت لتاريخ إيران بصفة خاصة والتاريخ الإسلامى بصفة عامة وذلك خلال العصرين المغولى والتيمورى.

وتبرز قيمة هذه المصادر الفارسية فيما أوردته من معلومات قيمة ونادرة يندر توفرها فى كتب التاريخ العربية، كما كانت من بينها موسوعات تاريخية تناولت دراسة التاريخ الإسلامى العام. لذا كان حرص المرحوم الدكتور / الشواربى على إخراج هذا المؤلف.

ويؤكد قولنا هذا ما ذكره الدكتور الشواربى عن قيمة إخراج هذا الكتاب الذى هو موضوعنا فيقول فى مقدمة الكتاب : «فإذا بدأ القرن

الثامن الهجرى بدأت معه كتابة التاريخ العام فى إيران باللغة الفارسية، فظهرت جملة من الموسوعات التاريخية الموثوق بها، فأصبحت العماد فى دراسة تاريخ إيران على الخصوص، كما أصبحت مرجعاً من أهم المراجع لدراسة التاريخ الإسلامى على وجه العموم».

ثم يستكمل الحديث فيقول : «وقد امتد تأليف هذه الموسوعات التاريخية أكثر من قرنين من الزمان، أى من بداية القرن الثامن إلى نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجرى، ولم تقف مع هذا كتابة التواريخ المحلية أو الخاصة، بل ظلت تكثر وتنتشر لأن القرن الثامن فى إيران كان عصر دويلات صغيرة أخذت تتنافس فى تسجيل تواريخها، فأخرجت لنا مجموعة من الرسائل التاريخية الخاصة التى استطاعت أن تحتفظ بمكانتها إلى جانب هذه الموسوعات الكبيرة.

وعلى هذين النوعين من كتب التاريخ يجب أن يعتمد الباحث فى دراسته للتاريخ الإسلامى والإيرانى، فكتب التاريخ العام تفيده من ناحية ربطها للحوادث وتنسيقها للوقائع التاريخية، كما أن كتب التاريخ الخاص تزوده بمعلومات وتفصيلات ربما لا تهتم بها كتب التاريخ العام لسعة نطاقها وكثرة الموضوعات التى تتناولها.

لذلك نجد أن موضوع هذا الكتاب قد تناول هذين النوعين من الكتب التاريخية الخاصة والعامة، وقد تضمن الكتاب دراسة عشرين مصدراً تاريخياً، تعد من أهم المصادر التاريخية فى تاريخ إيران بصفة خاصة والتاريخ الإسلامى العام.

وترجع قيمة هذه المصادر إليى أن كثيراً من مؤلفيها كانوا يعيشون فى ظل الدول المعاصرة لهم، أى أنهم كانوا معاصرين لسلاطين الدول الحاكمة، بل كانوا من رجالات الدولة، لذا سجلوا فى أعمالهم معلومات انفردت بها مؤلفاتهم.

نذكر بعضاً من هذه الكتب، فعلى سبيل المثال أول هذه المصادر التى تضمنها كتاب مصادر فارسية فى التاريخ الإسلامى، كتاب «تاريخ جها نكشباى» أى تاريخ فاتح العالم - فمؤلفه هو (عطا ملك الجوينى) الذى كان من رجال الدين، وكان يلقب بـ «صاحب الديوان» وهو لقب يخول للقائم عليه إدارة الشئون المالية فى المملكة، أى وزير المالية فى عصرنا الحاضر.

فقد كان عطا ملك لفترة حاكماً للعراق، وقد التحق بخدمة الديوان فى سن مبكرة، لم يبلغ فيها العشرين من عمره، فعاصر السلطان (أرغون)، وصحبه فى كثير من أسفاره، وقد ألف كتابه هذا (تاريخ جها

نكشاى) فى إحدى الفترات التى أقام فيها مع سيده فى عاصمة المغول (قراقورم) بين عامى ٦٥٠ - ٦٥١هـ مما أتاح له تأليف كتاب جامع لأحوال السلطان جنكيزخان، سجل فيه مآثره ومفاخره، فضمنه معلومات قيمة مما سمعه أو شاهده.

وهذا الكتاب يتناول تاريخ المغول حتى عام ٦٦٥ هـ، وإن كانت هنالك بعض من نسخه تشتمل على ملحق فيه وصف لغارة المغول على بغداد وتخريبها وتحطيم الخلافة، والحوادث التى وقعت فى عام ٦٥٦ هـ، لذا ربما كانت هذه الزيادات من وضع مؤلف أخر غير الجوينى.

والكتاب يقع فى ثلاثة مجلدات هى :

الجزء الأول : عن أصل المغول وفتوحات جنكيزخان.

الجزء الثانى : عن حكام خوارزم المعروفين «خورازمشاه».

الجزء الثالث : عن تاريخ الإسماعيلية إلى تحطيم حصنهم فى قلعة «الموت» على يد هولاكو فان عام ٦٥٥ هـ.

وقد نبه د. الشواربى الدارسين إلى قيمة هذا الكتاب حيث إنه يعد المصدر الأول فى موضوعه، والمرجع الذى يرجع إليه المؤرخون اللاحقون، فجعلوه عماد نقلهم.

كتاب آخر تناوله الدكتور الشواربى بالدراسة ويعد من المصادر القيمة هو كتاب «جامع التواريخ» الذى ألفه رشيد الدين فضل الله، عام ٧١٠هـ، وكان وزيراً للسلطان (غازان خان) وأيضاً طبيبه الخاص.

وهذا الكتاب يقع فى جزئين، يتناول الجزء الأول تاريخ القبائل التركية والمغولية وأصولها وأنسابها.

أما الجزء الثانى فهو فى التاريخ العام، ويتضمن تاريخ آدم والرسل والأنبياء، وتاريخ ملوك فارس قبل الإسلام، وأيضاً تاريخ النبى ﷺ والخلفاء الراشدين وخلفاء الأمويين والعباسيين إلى تحطيم الخلافة العباسية على يد المغول عام ٦٥٦هـ.

كما يشتمل هذا الجزء أيضاً على تاريخ الدويلات الفارسية اللاحقة للإسلام، وترجع أهمية كتاب (جامع التواريخ) إلى أنه يرجع إليه الفضل فى تأليف تاريخ عام باللغة الفارسية.

وهنالك كتاب أخر هام هو كتاب «تاريخ وصاف» فقد ألفه (أبو عبد اللّه بن فضل اللّه الشيرازى) عام ٧٢٨ هـ.

وقد عرف هذا الكتاب بهذا الأسم نسبة إلى مؤلفه الذى اشتهر بلقب (وصاف الحضرة) لأنه كان يلازم ملوك المغول، ويقوم بجباية

الضرائب لهم، لكن عنوانه هو «تجزية الأمصار وتزجية الأعصار».

ويقع هذا الكتاب فى خمسة أجزاء، تناول فيها المؤلف ذكر أحوال سلاطين المغول منذ نشأتهم إلى أيام السلطان (أبى سعيد) عام ٧٢٨هـ، ويعتبر هذا الكتاب متمماً لكتاب (تاريخ جها نكشاى) الذى سبق الحديث عنه.

أما ما يخص العصر التيمورى نذكر على سبيل المثال مما تناوله الدكتور الشواربى بالدراسة كتاب (روضة الصفا) الذى ألفه (ميرخواند) المتوفى عام ٩٠٣هـ.

وهذا الكتاب يعد من أكثر الموسوعات التاريخية ذيوعاً فى إيران. وهذه الموسوعة تقع فى سبعة أجزاء، تتضمن هذه الأجزاء الحديث عن أول المخلوقات، وقصص الأنبياء حتى عصر تيمور لنك وأعقابه.

والجزءان الأخيران يشتملان على كثير من الحوادث التى شاهدها المؤلف بنفسه وعاصرها.

وقد نبه د. الشواربى الدارسين إلى أهمية هذين الجزئين من روضة الصفا حيث يشتملان على كثير من الحوادث التى شاهدها المؤلف بنفسه، وتنحصر فيهما أهمية الكتاب لمن أراد أن يكتب عن التيموريين خاصة.

كذلك من المصادر القيمة والنفسية التى تناولت تاريخ التيموريين بصفة عامة وتاريخ تيمور لنك بصفة خاصة كتاب (ظفرنامة) أى كتاب الظفر.

ومؤلف هذا الكتاب هو (مولانا نظام الدين شامى) وقد ألفه عام ٨٠٦هـ، وقد اشتهر نظام الدين شامى مؤلف هذا الكتاب بأنه كان المؤرخ الوحيد الذى كتب عن تيمور لنك أثناء حياته ويقال إن السلطان تيمور هو الذى اختار تسمية هذا الكتاب، وقد كان المؤلف يعيش فى بغداد عندما فتحها السلطان تيمور عام ٧٩٥هـ وكان من أوائل من خرجوا من بغداد للقاء الفاتح وتقديم خضوعهم.

وفى عام ٨٠٦هـ استدعاه السلطان تيمور، كما يذكر المؤلف ذلك فى مقدمة الكتاب، وأمره أن يكتب تاريخاً عن حكمه وغزواته، ووضع تحت تصرفه كثيراً من المستندات التاريخية والأوراق الرسمية، وأمره أن يكتب تاريخه بلغة خالية من التصنع والمحسنات البديعية حتى يتمكن العامة من قراءتها وفهمها.

وبعد ذلك بقليل رجع تيمور إلى مدينة سمرقند، وسمح للمؤلف نظام الدين شامى بالرجوع إلى موطنه الذى كان فيما يبدو مدينة تبريز، وزوده بخطابات لحفيده (عمر بهادر) ابن (ميرانشاه) الذى نصب فى

ذلك الوقت حاكماً على إقليم فارس.

ويبدو أن كتاب (ظفر نامه) انتهى بذكر عام ٨٠٦هـ عندها رجع تيمور إلى عاصمته (سمر قند) ثم خرج منها بعد قليل ليقوم بفتوحاته فى الصين، لكنه لم يكملها لوفاته فى العام التالى.

وعلى ذلك فإن الكتاب لا يذكر لنا العام الأخير من أعوام تيمور، ومن التعريف بهذا الكتاب نعرف مدى أهميته حيث يعد أول تاريخ كتب عن دولة التيموريين بصفة عامة وتيمور بصفة خاصة، ومدى قيمة وندرة المعلومات والوقائع التى تضمنها.

وقد ختم د. الشواربى كتابه بالحديث عن ثلاثة كتب ألفها أحد الكتاب الإيرانيين البارزين الذين عاشوا فى عصر آخر سلاطين التيموريين العظام حسين بايقر إلى وزير العالم الشهير (عليشير) وهو (غياث الدين) الملقب بـ (خواندمير) والمتوفى عام١٩٤١هـ. وهذه الكتب الثلاثة هى :

الكتاب الأول (مآثر الملوك)، ويقع هذا الكتاب فى ستة أبواب تتضمن هذه الأبواب الأقوال المأثورة للملوك والحكماء السابقين، بدءاً من أقوال الحكماء منذ بداية أدم حتى أقوال الخلفاء العباسيين وملوك

الدول الطاهرية والصفارية والسامانية والغزنوية.

والكتاب الثانى (خلاصة الأخبار فى بيان أحوال الاختيار) وهو عبارة عن تلخيص لكتاب (روضة الصفا) ويقع فى عشر مقالات.

أما الكتاب الثالث فهو من أهم هذه الكتب، وهو (حبيب السير فى أخبار البشر) يقع فى ثلاثة مجلدات، يشتمل كل مجلد على أربعة أجزاء فى التاريخ الإسلامى منذ بدء الخليقة وحتى تاريخ الشاه إسماعيل الصفوى حتى عام ٩٣٠هـ.

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب قد نقل الكثير عن الكتاب السابق الذكر (روضة الصفا) إلا أن أهميته تكمن فى تناوله بالدراسة لتاريخ دول صغيرة أهملها كتاب (روضة الصفا) كما يتحدث أيضاً عن رجالات العلم والأدب الذين ظهروا فى مختلف العصور، مما يجعل هذا الكتاب سجلاً تاريخياً أدبياً كبير القيمة.

مما سبق الذكر كان عرضاً لنماذج من كتب التاريخ التى تناولها الدكتور الشواربى بالدراسة كان مؤلفوها معاصرين للدولتين المغولية والتيمورية وقد انفردت بمعلومات تاريخية قيمة يندر توفرها فى كتب التاريخ العربية.

وعلى الرغم من أنها ألفت باللغـة الفارسية إلا أنهـا تعد من المصادر الهامة القيمة فى تاريخ إيران خاصة والتاريخ الإسلامى عامة.

وننتـقـل إلى نموذج أخـر من المصـادر الـفـارسـيـة التى تـناولهـا د. الشواربى فى كـتابه (مصادر فـارسية فى التاريخ الإسـلامى) وهى كتب تاريخية ألفت شعراً.

نتعـرف ببعض منهـا على سبيل المثـال كتـاب (ظفرنامه) أى كـتاب الظفر، ومؤلف هذا الكتاب هو (حمد اللّه المستوفى) المتوفى عام ٧٣٥هـ

وهذا الكتاب ألف فى تاريخ المغول، وهو عبـارة عن منظومة شعرية ضخمة تقع فى خمسة وسبعين ألف بيت من الشعر.

قد استـغرق فى نظمه كتابه هذا خمـسة عشر عامـاً وقدمه للسلطان (أبى سعيـد)، وقد نظمه على نمط الشاهنامة، وقـصد به أن يكون تكملة لمنظومـة الفـردوسى ويشـتـمل على تاريـخ العـرب والعـجم منذ بداية الإسلام وحتى عام ٧٣٢هـ.

ويشير د. الشواربى إلى أهمية هذا الكتاب الكبيرة فيقول إنه لا يمكن إغـفال هذه المنظومـة، لأن مؤلفـها دقـيق حيث أورد حـوادث وتواريخ خاصة فـيما يتعلق بالجزء الثـالث المخصص لتاريخ المغول، ويستـشهد

بوصف المؤلف للمذبحة التى قام بها المغول فى بلدته مدينة قزوين.

ومن بين هذه الكتب المنظومة التى أوردها د. الشواربى كتاب (شاهنشاه نامة) أى كتاب ملك الملوك، ومؤلفه هو (أحمد التبريزى)، كان قد ألفه عام ٧٣٨ هـ فى شكل منظومة تقع فى ثمانية عشر ألف بيت شعرى، تناول فيها تاريخ المغول حتى جنكيز خان وحتى عام ٧٣٧هـ.

وقد أهدى كتابه هذا إلى السلطان (أبى سعيد) ويعرف هذا الكتاب أيضاً باسم (جنكيز نامة) أى كتاب جنكيز.

وعلى الرغم من المصادر الفارسية التى سبق الحديث عنها فى هذا البحث وقد تناولت التاريخ الإسلامى العام أو تاريخ المغول أو التيموريين فى إيران، غير أن هناك نوع من المصادر قد تناول تاريخ مدينة من مدن إيران، كان للدكتور الشواربى الفضل فى التعريف بها للدارسين نذكر منها على سبيل المثال كتاب (روضة الجنات فى تاريخ مدينة هرات)، وقد ألفه (معين الدين الاسفزارى) عام ٨٧٥هـ.

وقد قسم المؤلف هذا الكتاب إلى ستة وعشرين قسماً أو روضة، وقد تناول المؤلف فى الروضة الأولى وحتى الروضة السادسة تاريخ مدينة هرات منذ نشأتها وحتى دخولها فى الإسلام.

أما الروضتان السابعة والثامنة فقد تناول فيهما الحديث عن تاريخ حكام هرات حتى عصر تيمور لنك وأعقابه.

وأخيراً وبعد هذا العرض لنماذج من المصادر الفارسية فى التاريخ الإسلامى يمكن القول إن المرحوم الدكتور الشواربى كان فى الحقيقة مؤسساً ورائداً لدراسة المصادر الفارسية فى التاريخ الخاص والعام إذ إنه فتح المجال أمام الدارسين للإلمام بما تتضمنه هذه المصادر من كنوز علمية، كما وجههم إلى المنهج الذى يجب السير عليه والهدف الذى ينبغى الإصرار عليه وهو ترجمة هذه الكنوز الفارسية إلى العربية وتقديمها لمكتبة التاريخ العربية لخدمة المؤرخين العرب.

وقد أكد هذا الهدف فى الفقرة الأخيرة التى اختتم بها كتابه إذ يقول : «هذه مجموعة من المصادر الفارسية التى لو تهيأ لها أن تنقل إلى لغتنا العربية لأغنت ثروتنا التاريخية، وجعلتنا فى غنى عن الرجوع إلى تراجمها الإنجليزية أو الفرسية أو الألمانية، كلما جد بنا الدرس، واحتجنا إلى البيان والتفصيل، ولعل كلية الآداب ومعهد اللغات الشرقية بجامعة فؤاد الأول - أى جامعة القاهرة - يستطيعان أن يهيآ فرصة المساعدة لنقل هذا التراث التاريخى الخالد إلى العربية، حتى يستطيع القارئ العربى أن يحصل على ثروته الموروثة كاملة غير منقوصة».

ونحمد اللّه أن على مدى الستين عاماً منذ تاريخ تأليف د. الشواربى لهذا الكتاب فى عام ١٩٤٤م، قد نجح المتخصصون والدارسون فى نقل هذه الكتب الفارسية فى معظمها إلى لغتنا العربية، وتقديمها إلى المكتبة التاريخية العربية.

ففى الوقت الحاضر تزخر مكتبات الجامعات المصرية بترجمات لهذه المصادر الفارسية فى التاريخ الإسلامى التى صارت من تراثنا العربى.

رحم اللّه رائداً فى مجال اللغات الشرقية ترك لنا بصماته الخالدة التى نحييها فى ذكراه من خلال هذه الندوة.

أغانى شيراز

وأصداؤها فى الأدب العربى

الدكتور / محمد السعيد جمال الدين

الأستاذ بجامعة عين شمس

حين نشر أستاذنا الدكتور إبراهيم الشواربى - رحمة اللّه عليه - ترجمته الرائعة لغزليات حافظ الشيرازى جعل لها عنواناً موحياً دالاً على ما كان يهدف إليه من نشر هذه الترجمة فى ذلك الوقت بالذات وهو «أغانى شيراز».

ففى عام ١٩٤٤ - الذي نشر فيه الجزء الأول من الترجمة كانت نتيجة الحرب العالمية الثانية قد حُسمت لصالح أحد طرفى الحرب - وهم الحلفاء، وفى العام التالى حين نشر الجزء الثانى من الترجمة كانت الحرب توشك أن تضع أوزارها وتتخلص البشرية من ويلاتها، وبدا المجتمع الإنسانى كله والمجتمع المصرى بخاصة، بحاجة إلى من يخرجه من ذلك الجو الثقيل والحياة الكئيبة الصاخبة التى فرضتها الحرب عليه، خاصة وأن مصر لم يكن لها فيها ناقة ولا جمل، وإنما دُفعت إليها دفعاً فذاقت ويلاتها وتجرعت كأسها المرير إلى آخر قطرة.

كـان الدكتـور الشـواربى قد شـعر حين اسـتـعرت الحـرب وألقت بجرانها على العالم كله، وأصابت الناس بالكآبة واليأس أنه يملك عصا سحرية يمكنهـا أن تخـفف من آلام الناس وعـذاباتهم وأن تكفكف من دموعـهم، عصا يمكنها أن تنقلهم إلـى جو طليق مليء بالبشر والتـفاؤل والإيناس، فهو يملك ترجـمة رائعة ومكتملة لغزليات الشـاعر الفارسى الكبير حافـظ الشيرازى، كان قد أتمها حين شرع فى إعـداد رسالته التى نال بها درجة الدكتوراه من جامعة فؤاد الأول.

كان الشـاعر الكبير - الذى يعـد واحداً من أئمة الشعـر الفارسى - يعيش فـى القرن الثامن الهـجرى (الرابع عـشر الميلادى) فـى جو تملؤه الحروب والمحن، ولكنه استطاع أن ينأى بنفسه عن ذلك كله، وأن ينظم أشـعـار ليـست فى الواقع إلا غناء عـذباً لاتـكدّره شـوائب القلق، ولا تفسده هموم الحياة وإنما يثير التفاؤل والأمل والثقة فى نفس الإنسان.

لقد وجد الدكتور إبراهيم أمين فى هذه الأغانى بلسما يشفى النفوس ويطبب القلوب بعد أن أصابها ما أصابها من ويلات الحروب، ويرفع من شأن الإنسـان بعد أن أدركـه الذل والتحـقيـر والهوان. فـسعى الدكـتور الشواربى سعياً حثيثاً لطبع هذه الأغانى فى جزءين تقرب صفحاتهما من

ستمائة صفحة. ولم يكن طبع الكتب فى تلك الأيام بالشىء السهل لأن الورق كما يقول الدكتور طه حسين فى مقدمة أغانى شيراز «نادر مرتفع الثمن ... والعلماء فى جميع أقطار الأرض وفى مصر خاصة لا يملكون من المال ما يمكنهم من نشر ما ينتجون فى مثل هذه الأوقات العصيبة» ومع ذلك طبعت هذه الترجمة وقدمت إلى القراء.

علينا الأن أن نرى أثر هذه الأغانى فى كبار أدباء العرب فى ذلك الحين.

كانت الحياة الأدبية فى مصر فى ذلك الوقت وقبله يتنازعها اتجاهان : اتجاه يرى أن الأدب العربى بتاريخه الطويل وتراثه العتيد مستغن بنفسه، ليس بحاجة إلى مدد أو زاد من الآداب الأخرى، وكان أصحاب هذا الاتجاه يرون أى محاولة لتحقيق التواصل بين أدبنا العربى والآداب الأخرى عبثاً لا طائل من ورائه ومضيعة للوقت الجهد، بل وإفساد للذوق العربى الأصيل

أما الاتجاه الثانى فيرى على العكس من ذلك أن الحياة العقلية أخذ وعطاء، وأن الأدب العربى لم يعرف العزلة والاستغناء بالنفس إلا فى أوقات الضعف والانحطاط، أما فى أوقات القوة والرقى فقد كان يأخذ ويعطى، كما كان يفعل فى أيام العباسيين. وكان زعيم هذا الاتجاه الثانى الدكتور طه حسين.

الدكتور طه حسين :

ولا شك أن الدكتور طه حسين كان أكثر الناس ابتهاجاً بالنجاح الكبير الذى حققه أحد تلامذته المخلصين : الدكتور الشواربى فى ترجمة غزليات حافظ الشيرازى. ويعرب الدكتور طه عن ذلك فى قوله فى المقدمة التى كتبها للترجمة «أقدم الآن هذه الترجمة وفى نفسى كثير جداً من الغبطة وكثير جداً من الرضا وكثير جداً من الأمل بل كثير جداً من الثقة .. الخ».

وإذا نحن عمدنا إلى تصفح هذه المقدمة المهمة التى كتبها الدكتور طه حسين لكتاب أغانى شيراز نجد أن هناك العديد من الأسباب التى تبعث فيه كل هذا الرضا والأمل والثقة.

فهناك أسباب ترجع إلى الترجمة نفسها، فهى «طرفة نفيسة رائعة سوف تمتعْ قراء العربية من جهة وتزيد من ثروة الأدب العربى من جهة أخرى».

وهناك أسباب أخرى ترجع إلى تأثير هذه الترجمة فى الأدب العربى نفسه بما يحقق له النجاح والازدهار، فلا شك أنها سوف تثير فى نفوس كثير من قراء العرب «ألواناً من التفكير المنتج وفنوناً من الشعور الخصب، وتفتح لهم أبواباً فى الحس والشعور والتفكير لم تفتح لهم من

قبل»، وتشجعهم على ترجمة روائع الآداب الأجنبية.

وربما كان أهم الأسباب التى جعلت الدكتور طه حسين يغتبط كل هذا الاغتباط بصدور الأغانى هو نجاح خطته فى حث الناس على العناية بما بين الأدبين العربى والفارسى من وشائج قوية. ومن الواضح أن الدكتور طه كان ينتظر صدور هذه الأعمال الكبيرة لكى يرد على خصومه الذين اتهموه بإفساد الذوق الأدبى العربى بتشجيع شباب الباحثين على ترجمة روائع الآداب الأخرى بهدف إغناء الأدب العربى وزيادة ثروته.

ولكن هؤلاء الخصوم باتوا الأن غير قادرين - كما يقول الدكتور طه نفسه - على أن يجحدوا حقيقة واقعة، وهى أن «شباب كلية الآداب فى جامعة فؤاد الأول قد أهدوا إلى اللغة العربية فى أقل من عشرين سنة «الشاهنامه» للفردوسى و «ديوان حافظ الشيرازى» وآثارا أخرى كثيرة ... الخ»

سيد قطب :

وفى فبراير سنة ١٩٤٦ نشرت «مجلة الكاتب» مقالاً مفصلاً للشيخ سيد قطب - رحمه اللّه - بعنوان : أغانى شيراز، نظم حافظ الشيرازى وترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربى.

وقد عبّر الشيخ فى مستهلّ مقاله عن شكره الجزيل للمترجم الذى أتاح له «هذه الساعات الحلوة التى لا تقدر بثمن ونقله إلى جو طليق رفّاف، تشيع فيه الأنداء والأضواء، وترفّ فيه الأنسام والأصداء ... الخ».

ثم يشير إلى نبوءة الدكتور طه حسين بأن الأدباء الشباب سينتفعون بهذه الأغانى كل الانتفاع، فيرى الشيخ أنها نبوءة صادقة صحيحة فلو خُلى بين الأدباء الشبان وهذه المجموعة من شعر حافظ لأفادوا بها فائدة جليْة، ولكن «قلة النسخ المطبوعة منها، وارتفاع ثمنها بالقياس إلى مقدرة هؤلاء الشبان، قد يجعلان الانتفاع بها محدوداً فى الوقت الذى يجب أن تكون فى متناول الأيدى جميعاً».

ويرى الأستاذ سيد قطب أن هذه الأغانى قد جاءت فى وقتها المناسب، فالشعر العربى يعانى أزمة يحتاج فيها إلى مثل هذا الزاد بعد أن «طوح الشعر بنفسه فى مجال الفلسفة وفى لجج الفكر، كما طوح بنفسه فى مجال القصة والمسرحية وما إليها بعد أن عادت روح العصر لا تستسيغ القصة ولا المسرحية الشعرية». وقد أدى ذلك كله إلى أزمة لزمت الشعر الحديث جعلته يقف حيث لا يجوز الوقوف. «فقد قصت من أجنحته المرفوفة، وغضت من غنائيته المنغمة، وأقلت فيه من السبحات والومضات، وجعلت عنصر الوعى الفكرى بارزاً فيه».

فلقد آن الأوان - كما يقول الأستاذ سيد قطب - «لتنحسر الموجة الفكرية الفلسفية، تاركة للشعر غنائيته وبساطته ورفرفته، كيما يتأدى إلى الحس بأشواقه وأحلامه، وبصوره وظلاله مثلما تتأدى الموسيقى الطليقة، والصور الفنية الموحية ... الخ».

لقد جاءت أغانى شيراز فى رأى الشيخ سيد قطب لتساعد على انحسار الموجة الفكرية عن الشعر الحديث وتزيد من رصيد الغناء فى الشعر العربى زيادة لها قيمتها، وحسبها أنها تجعل الشعر «غناء خالصا لا تبهظه» أثقال الفلسفة ... ولا تبرده ثلوج الفكر».

المزية الثانية : أن قارئ هذه الأغانى يستروح فيها عطر الشرق، وبساطته ومرحه وغيبيته وتصوفه، ونحن بحاجة الآن كما يقول الشيخ سيد قطب إلى هذه الأغانى لكى تعيننا على الوقوف فى وجه الموجة العقلية الغربية الطاغية، لأنها إنما تعبر تعبيراً أصيلاً عن الرصيد الشرقى الموروث الذى يستطيع أن يسعفنا ويحفظ اتزاننا الشعورى فى وجه التيار.

وينبهنا الشيخ سيد قطب إلى حقيقة بالغة الأهمية والقيمة حول تأثر حافظ الشيرازى نفسه بالأدب العربى وبخاصة مذهب البديعيين العرب فى القرن الثامن الهجرى، وهو القرن الذى عاش فيه حافظ.

وأنا اعتقد أن حافظاً نفسه كـان قارئاً بل كان ناقداً للشعر العربى فى ذلك العصـر، فقد عـثرت على مخطوطـة فارسية بـدار الكتب المصرية تشتمل على رسالة كتبها حافظ الشيرازى فى التعليق على قصيدة البردة فى مدح النبى ﷺ للإمـام البوصيرى، وكـان من كبار شعـراء البديع فى العصـر المملوكى فى مصـر. ويُبدى حـافظ إعجابه الشـديد بالقصـيدة، الأمر الذى يوحى بأنه قـد تأثر بهذا المذهب بالفعل، وأن هذا التـأثير قد ظهر فى أشعاره كما يظهر من كلمات الشيخ سيد قطب.

•ويأخـذنا الشـيخ فى جولة فى أغـانى شـيـراز ويبين أن التكرار عند حـافظ لا يجعـل الإنسان يشـعـر بالملل أو السـأم، كمـا يبين أن حـافظاً «درويش» يوزع الكلمـات والإشارات والإيماءات وليـست هناك رابطة ظاهرة تـربط بينـهـا، وإنما تربـطهـا فى البـاطن رؤى هـذا الدرويش المتصوف، هى رؤى من وراء الغيب فيرمـز لها ولا يبين، ولكن لها وقعاً جميلاً فى النفس. ويختار الشيخ بعض الغزليات التى تصور ما يعنيه.

ويقارن الشيخ بين المعنى عند كل من حافظ والخيام فيبين ما ينطوى عليه شعر الخيام من لهفة محرقة، وأسى عميق ومعنى نفسى ضخم، وما ينطوى عليه شعر حافظ من تفاؤل واستبشار، ومن نشوة بجمال الطبيعة

وبجمال الوجوه الحسان، فالدنيا ربيع دائم، وحتى الألم والأنين، يقول حافظ: يا رب لا تجعل العالم خالياً من أنين العاشقين، فأصداء أنينهم بهجة حسنة الترجيع والتلحين.

ويعرض الأستاذ سيد قطب لرأى كان قد كتبه المرحوم الدكتور عبدالوهاب عزام فى كتاب «قصة الأدب فى العالم» عن غلبة التشاؤم على حافظ الشيرازى، فبين أن قارئ الغزليات يعنّ له أن يخالف الدكتور عزام فى هذا الرأى، فالقارئ يرى حافظا هادئا مستبشرا، مشغولا عن الحقد والألم بالسبحات الصوفية والفتوح النفسية الربانية واستجلاء الحسن والجمال.

ويأتى الشيخ سيد قطب فى نهاية مقاله المستفيض عن أغانى شيراز فيثير قضية خلافية بين رأيين حول شعر حافظ أحدهما للدكتور عزام والآخر للدكتور الشواربى.

ويقتبس الشيخ من الدكتور عزام قوله «وعابر ديوان حافظ كالسائر فى حديقة ورد، تروعه الصور الكثيرة والألوان المختلفة ولكنها كلها ورد. فهو يعرض صوراً كثيرة لحقائق قليلة، أو هو كالمطرب يسمعك كثيراً من الأوزان والألحان والأنغام، ولكنها لا تعدو حديث الحبيب فى

جماله، ووصله وهجره وبعده وقربه ورضاه وغضبه، وكل ما سمعت من هذا معجب مُطرب رائع، وكأن كل قطعة - بإحسان التعبير وإجادة التصوير - تتضمن معانى جديدة لم تتناولها قطعة قبلها».

ثم يقتبس قول الدكتور الشواربى عن طريقة الأداء عند حافظ «كان شاعراً عاتيا، فلم يكن يأبه لشىء، ولم يكن يهتم بشىء .. كان يعلم أن أقواله تفتن الجماهير، ولكن ذلك لم يشغله إلا بقدر يسير. وكان يعرف أن أشعاره تفتن الألباب ولكنه لم يكن يهتم بهذا الإعجاب، بل كان يمضى فى طريقة كالجيش اللجب، يطوى بيداء الحقب، فى أناة أو صخب ... وكان فنانا، فكأن يرضى نفسه قبل كل شىء ... الخ».

ويعقب الشيخ سيد قطب على الرأيين بأنه يميل إلى رأى الدكتور عزام، ويغلب عليه الظن أن التوفيق هنا لم يحالف الدكتور إبراهيم أمين.

والواقع أننى لا أكاد أجد اختلافاً ظاهراً بين الرأيين، وإنما كل منهما يكمل الآخر، فقد كان حافظ عند الدكتور عزام - كما كان عند الدكتور الشواربى - شاعراً فناناً قل من يسايره فى إحكام السبك ورقة النسج وإجادة النظم، وأنه عبر عن سروره وتفاؤله كما عبر عن حزنه وتشاؤمه.

ولكننى أكاد أرجح أن الشيخ عمد إلى تأويل الرأيين لكى يجعل الدكتور عزام يقف إلى جانب مظاهر الجمال عند حافظ ولا يرى منه إلا روحه الحلوة، ولا يرى مع حافظ فى حديثة الورد التى يراه مقيماً بها لا يبرحها - لا يرى معه فيها إلا كأساً من الخمر، ووجها جميلاً، ورفاقاً مُسعدين، وطبيعة باسمة، وعلى الدنيا السلام.

كما أوّل الشيخ تفسير الدكتور الشواربى عن طريقة الأداء عند حافظ، فجعل الشواربى يقف إلى جانب مظاهر الجلال والقهر، والقوة.

نعم، كان الدكتور الشواربى يعلى من شأن معانى القوة والجلال عند حافظ، ويبين أن الشاعر الكبير لا ينبغى أن يؤخذ هذا المأخذ السهل أو يُنظر إليه على أنه رجل لا يهتم إلا بجمال الطبيعة وجمال الحبيب وما يجرى على نفسه هو فى أحوال الوصل والهجر والقرب والبعد والرضا والغضب، وأن معانيه لم تقف عند هذا الحد الساذج البسيط وإنما تعدت ذلك إلى بث الأمل وإحياء الأمانى فى نفوس الناس؛ يصف الدكتور الشواربى فلسفة حافظ بقوله فى مقدمة أغانى شيراز (ص٨) «الحياة عنده تفيض ولا تغيض، تنقد ولا تخبو، تزدهر ولا تذوى، روضة مورقة لن يصيبها ذبول، وشمس متألقة ليس لها أفول، وصباح باسم جماله لا يزول»، وكأنى بالدكتور الشواربى يقول ما قاله الشاعر الألمانى جوته فى حافظ الشيرازى.

أنت يا «حافظ» لا تؤذن بانتهاء، وهذه عظمتك

.ولا عهد لك بابتداء، وهذه قسمتك

إنك نبع الشعر الذى يصل بالأمانى إلى الأوج

فإذا هى فيض فى إثر فيض، وموج فى أثر موج

ومهما يكن من أمر، فإن الشيخ سيد قطب قد تمسك من الأغانى بالجانب الهادئ الوضيء المرفرف، وهو الجانب الذى صرح الشيخ منذ بداية مقاله أنه أراحه من كآبة الأيام وثقل الحياة فى زمن الحرب، وضرب صفحاً عن جانب الجلال والقوة والاعتداد بالنفس الذى تنطوى عليه بعض الغزليات.

ولكنه ختم قوله بأنه يوجه للدكتور إبراهيم أمين ثناءه المطلق وشكره الجزيل بالنيابة عن قراء العربية.

.أما عن تأثير «أغانى شيراز» بعد صدورها فى الشعر العربى بخاصة، والأدب العربى بعامة فهو أمر يحتاج إلى بحث آخر، نرجو أن نقوم بإتمامه فى وقت قريب إن شاء الله تعالى.

رؤية فنية
لأمير شعراء الغزل الفرس
حافظ الشيرازى فى غزلياته
ترجمة الدكتور / إبراهيم الشواربى

بقلم / محمد إبراهيم أبو سنة

غمرت الساحة الأدبية والثقافية فى مصر موجات متلاحقة من الأعمال المترجمة عن الأدبين الإنجليزى والفرنسى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وقد ظهر تأثير هذه الأعمال فى أدبنا العربى على أيدى الرواد من المبدعين. وكان من الطبيعى أن يلتفت كبار أدبائنا إلى الضفة الأخرى من النهر حتى يتم التوازن بين الشرق والغرب. ومن هنا جاءت هذه الكوكبة من دارسى اللغات الشرقية الفارسية والتركية والأردية ليؤكدوا أن هذه اللغات تحمل إلى العالم تراثاً باذخاً من الإبداع الشعرى على وجه الخصوص. ومن بين هذه الكوكبة اللامعة يسطع اسم الدكتور / إبراهيم الشواربى أستاذ الآداب الفارسية فى جامعة فؤاد الأول، ثم فى جامعة عين شمس. وقد عكف هذا العالم الأكاديمى المرموق على ترجمة باهرة لديوان أغانى شيراز لأمير شعراء الغزل الفرس حافظ الشيرازى، وهو يضم غزلياته التى

تصل إلى أربعمائة وست وتسعين غزلية، اعتمد الدكتور الشواربى فى ترجمتها على النسخة التى نشرها فى طهران السيد عبد الرحيم خلخالى، بعد أن اطلع المترجم على النسخ التركية والأوربية، ولكنه قال إنه قد حان الوقت لأن نعتمد على الإيرانيين أنفسهم فيما يتعلق بآثارهم وادابهم، وقد عثر عليها المترجم فى طهران خلال وجوده بها عام ١٩٣٨م وكانت هذه النسخة قد طبعت فى طهران عام ١٣٠٦ هـ، أما الترجمة العربية للدكتور الشواربى فقد صدرت فى عام ١٩٤٤ وتلقاها عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين بالحفاوة والتقدير قائلاً : «هذه طرفة أخرى نفيسة رائعة، يسعدنى أن أطرف بها قراء العربية، لأنها ستمتعهم من جهة، ولأنها ستزيد ثروة الأدب العربى من جهة أخرى، ولأنها بعد ذلك ستثير فى نفوس كثير منهم ألواناً من التفكير المنتج، وفنوناً من الشعور الخصب، ولعلها أن تفتح لبعض الشباب أبواباً فى الحس والشعور والتفكير لم تفتح لهم من قبل وهذه الطرفة هى : «ديوان حافظ الشيرازى» قد نقله من الفارسية إلى العربية الدكتور / إبراهيم أمين»، ويتحدث الدكتور طه حسين عن المترجم فيقول : «والدكتور / إبراهيم أمين (الشواربى) مترجم حافظ شاب جامعى بأدق معانى هذه الكلمة، أقبل على درس الآداب العربية واللغات

الشرقية فى كلية الآداب، فلما ظفر بإجازة الليسانس ارتحل إلى إنجلترا ليتم درس الفارسية، ثم عاد فأخذ يعلم هذه اللغة وآدابها حيث تعلمها، ثم لم يطمئن إلى ما حصل، فارتحل إلى بلاد الفرس نفسها وقتاً وعاش عيشة القوم، ثم رجع إلى مصر، فمضى فيما كان فيه من التعليم والبحث والإنتاج.

وقد اشتملت النسخة التى اعتمد عليها المترجم على أربعمائة وست وتسعين غزلية وقطعتين من المثنويات، وتسع وعشرين قطعة من المقطوعات القصيرة، واثنين وأربعين قطعة من الرباعيات. وقد اختار الدكتور الشواربى الغزليات من ديوان أغانى شيراز، وقد صدرت في جزءين، أما باقى القصائد فقد ترجمها كما يقول فى مواضع متفرقة من رسالته للدكتوراه عن شعر حافظ الشيرازى. ومن الواضح أن دوافع وجدانية وإبداعية قد دفعته إلى هذا الاختيار الموفق، وقد سلك المترجم طرقاً مختلفة إلى إنجاز ترجمته، فقد جاءت فى معظمها منثورة مطلقة غير مقيدة بالوزن والقافية، ولكن بعضها جاء فى صورة ترجمة منثورة مسجوعة فى شطرى البيت الواحد من الأصل؛ وهناك نماذج من الترجمة منثورة مسجوعة على نمط القوافى فى القصائد، أى أن الشطرات الأخيرة من الأصل تقع كلها مقفاة فى الترجمة، وهناك

ترجمة منثورة تتكرر فيها كلمة الرديف، وترجمة منظومة مع الأصل الفارسى في الوزن والقافية، وترجمة منظومة لا تتفق مع الأصل الفارسى فى الوزن والقافية، أو فى أحدهما». إن هذا التنوع فى أساليب الترجمة يوحى بمجموعة من الدلالات فى مقدمتها حرص المترجم على الوصول بعمله إلى درجة عالية من الكمال الأدبى، وكذلك قدرته الفائقة على التجريب الأسلوبى فى مجال الترجمة التى لم يكن قد تم تمهيد الطريق تماماً أمام روادها.

ولا شك أن هذا التنوع يوحى كذلك بنوع من الحيرة الأدبية أمام محيط من القصائد ذات الدلالات الرمزية والموضوعية أثارت الكثير من الجدل العاصف حول طبيعة توجه الشاعر فى غزلياته، وهل هى غزليات إنسانية تعبر عن شوق الرجل إلى المرأة، أم أنها تجليات لرؤية صوفية تتخذ من الغزل قناعاً لتحلق فى آفاق أعلى وأقدس وأطهر وأبقى. ولا شك أن محاولة الدكتور الشواربى نظم بعض الغزليات فى الشكل العروضى المألوف، والتى جاء معظمها من بحور الهزج والمتقارب والوافر والبسيط، تؤكد وجود شاعر رومانسى مرهف كامن متحفز للوثبة التعبيرية فى كيان الدكتور الشواربى، خاصة وأن المرحلة الشعرية التى أظلته شهدت ذروة الازدهار الرومانسى فى الشعر العربى بعد

تأسيس مدرسة أبوللو فى عام ١٩٣٢ بريادة مجموعة من الشعراء فى مقدمتهم أحمد زكى أبو شادى، وتولى رياستها الشرفية أمير الشعراء أحمد شوقى، والسؤال الذى يطرح نفسه أمام هذه الأساليب المتنوعة للتجربة التى قام بها الدكتور الشواربى فى ترجمة أغانى شيراز، أى هذه الأساليب كانت أفضل من حيث الدقة الجمال والتأثير والوصول إلى وجدان القارئ العربى. ومن الأمانة أن نعترف بصعوبة السؤال، ومن السذاجة الاندفاع والتسرع بحكم نهائى وحاسم ينحاز إلى أسلوب من هذه الأساليب؛ فنحن أمام تجربة إبداعية فى مجال ترجمة الشعر، وهى ترجمة تختلف كثيراً عن ترجمة النثر من لغة إلى أخرى، تتطلب ترجمة الشعر كثيراً من التصرف الذى قد يصل إلى حد إعادة إبداع وإنتاج العمل الشعرى فى لغة أخرى غير لغته، وعلينا أن نتسامح إزاء هذا التصور، بل علينا أن نحمد للمترجم قدرته على إبداع النصوص من جديد فى لغة أخرى، كما فعل أحمد رامى - على سبيل المثال - فى ترجمته لرباعيات الخيام. وقد يرى البعض أن هذه ليست ترجمة بالمعنى العلمى والاصطلاحى، ولكننا نتصور أن هذه هى الطريقة المُثلى لترجمة الشعر، ولكننا أمام تجربة الدكتور الشواربى نلاحظ قدرته الفذة على تحرى الدقة والاقتراب من النص الأصلى حتى فى اختيار بعض نماذجه

العروضية، وذلك لأنه يواجه التزاماً خاصاً باعتباره أكاديمياً يقدس الحقيقة العلمية. ولكنه في الوقت نفسه يترك للشاعر بداخله حرية الإبداع، من خلال محاولة التوحد بالنصوص وتقمص شخصية الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي والرؤية بعينيه والسماع بأذنيه والتكلم بلسانه. نحن إذن أمام أستاذ في فهم معاني ومغزى النصوص التي يترجمها، كما أننا أمام شاعر خجول يفصح بطريقة غير مباشرة عن موهبته الخفية، إن قراءة النصوص في ترجمتها العربية ستقودنا حتماً إلى لحظة الحقيقة التي ربما تقود إلي الإجابة عن السؤال المطروح من قبل. وقد يكون النثر أفضل الأساليب التي اختارها المترجم، فهو يشعر بالتحرر الكامل من القيود التي يفرضها الشعر المنظوم بلغته التي تخضع بصورة كلية للشكل العروضي حيث يفرض الوزن والقافية على الشاعر والمترجم عند الصياغة اختيار ألفاظ بعينها تلائم هذا الوزن وهذه القافية، وقد يستطيع الشاعر الملهم أن يخضع الألفاظ والموسيقى والبنية اللغوية بأكملها لخياله القوي الخلاق، ويساعده على ذلك أنه يقدم على الإبداع في لحظة نضج التجربة وإلحاحها عليه، بحيث تصبح الضرورة الفنية لوضع التجربة في قصيدة من أهم عناصر التوفيق في الصياغة، أما المترجم فهو يقوم بعمل يلعب فيه الوعي بالقدرة الذاتية ومحاولة

المطابقة بين الأصل والترجمة دوراً فى تحديد لحظة الكتابة، وهى لحظة يضيئها الوعى الذهنى أكثر مما يضيئها الإلهام الخفى. من هنا أدرك الدكتور الشواربى بفطنته الواضحة أن النثر أشد عوناً له على القيام بمهمته، حيث يقول : «الأصل فى الترجمة أنها منثورة لا تتقيد بقيد من القيود، فقد تحققت منذ البداية أن نقل الشعر إلى الشعر أمر عسير كل العسر، يحتاج على الأقل إلى شاعر مطبوع يسلُس له الشعر القياد، ويكون له من القدرة على الأساليب والأوزان ما يبلغ مبلغ شاعرنا أو يتعداه صنعة وفناً». ثم يقول : «تحققت من هذا كله فلم أحاول من أول الأمر ترجمة الشعر بالشعر، رأيت فى النثر وحده الأداة الصالحة للتعبير الصادق والنقل الأمين»، ثم يستدرك الدكتور الشواربى قائلاً : «غير أن بعض غزليات حافظ كانت تقع من نفسى موقعاً خاصاً وتؤثر فيها تأثيراً خاصاً». فأظل أنوء بها هى تتردد فى صدرى حتى تخرج موزونة، يمكن تسميتها نظماً أو شعراً، كما يمكن وضعها فى باب «التقليد» أو «التجديد»، ولقد بلغ الدكتور الشواربى قمة الصدق والدقة والأمانة فى هذا التعبير عن ترجمته لأغانى شيراز وغزليات حافظ الشيرازى.

لقد أثارت هذه الغزليات كثيراً من الجدل حول موضوعها الذى يدور فى الغالب حول الخمر والحب والتصوف. واستخدم الشاعر

معـجماً يـلتقى فى كثـير من ألفـاظه مع معجم الشـعراء العـشاق الذين أسرفوا فى التعـبير عن لواعجهم وأشواقهم وولعـهم بالجمال الإنسانى، متـمثلاً فى المرأة وجـمالها وعـشقهـا، ومن رأى البعض أن ما يعـبر عنه حـافظ الشيـرازى يؤخـذ بظاهره، وأن الألفـاظ معـبـرة عنها مـعـانيهـا الاصطلاحية التى وضـعت لها، بينما رأى آخرون أن شـعره لا ينبغى أن يؤخَذ بظاهره، إذ إن هذه الألفاظ والمعانى هى رمـوز مكثفة وأقنعة لوجد صـوفى، فهـو ليس مجـرد شاعـر عاشق لامـرأة جمـيلة حتى ولو كـان الشـاعر قـد أغرم فى شـبابه بهـذه المرأة التى هى «شاخ بنات» أو «عـود قصب السكر»، وهى فتاة وقع حافظ فى غـرامها، ولكنه فشل فى كسب عواطفـها واجـتذابها إلـيه. وكان هجـرها سبباً فى ميلـه إلى الاتجاه إلى قرض الشعر واختيار العزلة والاعتكـاف لمداواة جراحة العاطفية، فاختار ضريحاً إلى شمال شيراز يعرف بضريح «باب كوهى» فلزمه أربعين يوماً يتقرب فيه إلى الله بالدعاء والضـراعة، فلما أوشك أن يكمل أيام عزلته زاره هنالك - كمـا يقولون - الإمام على وأطعـمه طعاماً سـماوياً ولقنه غزله الذى ترجمه الدكتور الشواربى فى هذه السطور حيث يقول حافظ الشيرازى : «ليلة أمس فى وقت السحر أعطونى النجاة من الألم والويل وناولونى ماء الحياة وسط هذه الظلمات من الليل، فأخرجونى عن نفسى

بما انبعث من ضياء ذاته، وناولنى خمراً فى جام يتجلى فيها بصفاته فياله من سحر مبارك، ويالها من ليلة سعيدة، ليلة القدر هذه التى منحونى فيها البراءة الجديدة، ومهما يكن من أمر هذا الجدل الذى يقتتل حوله المتعصبون، فإن ما يهمنا هو هذا الشعر التى يحمل أرواحنا على أجنحة قوية إلى آفاق من الصفاء الأبدى، والغزلية هنا وفى الشعر الفارسى تعبر عن شكل فنى أكثر مما تشير إلى موضوع كما هو الحال فى الشعر العربى، حيث يشير الغزل إلى حُسن التودد إلي النساء الجميلات شعراً، أما عند حافظ فالغزلية عبارة عن منظومة قصيرة تتراوح بين سبعة أبيات وخمسة عشر غالباً، وموضوعها الغزل أكثر الأحيان، ويكون موضوعها غرضاً آخر من أغراض الشعر ويلزم الشاعر ذكر لقبه الشعرى أو تخلصه كما يقول الفرس والترك فى آخر بيت من الغزل». وقد تتضح لنا السمات الفنية لهذه الترجمة البديعة التى قام به الدكتور إبراهيم أمين الشواربى عندما نقرأ هذه الغزلية التى ترجمها المترجم نظماً من بحر الهزج، ثم أعاد ترجمتها نثراً، تقول الغزلية المنظومة :

لك الدنيا وما فيها .·. أيا تركىّ شيراز

سمر قندٌ لك الأخرى .·. وتتلوها بخاراها

فيا ساقى لنا الباقى .·. ففى الجنات لا تمشى
على حافات «ركنا باد» .·. أو روض مصلاها
ويا حزنى وقد عاشوا .·. على سلبى منى قلبى
كفعل الترك قد عاشت .·. على أسلاب قتلاها
جمال الخل تغنيه .·. عن التدليل فى عشقى
خدودٌ لونها صاف .·. بلون الورد سوّاها
ويوسف من كمال الحُسن والإعراض فى تيه
«زليخا» تلك أحياها .·. على وجد وأضناها
رعاك الله أن تمضى بإيلامى وتجريحى
فمر القول لا يجرى على ثغر رشفناها
فيا روحى استمع نصحى .·. فنصح الشيخ مقبولٌ
لدى الشبان ردِّدْه وقل : ذكرى وعيناها
حديث المطرب أسمعه .·. وسر الدهر قاطعه

فـمـا حـلـوا من الأيام والدنيـا مُـعــمـاها

تعـال أنظـم لنا شـعـراً وهيـئ نظمـه دراً

فـقد شـدَّت لك الأبراج فى عـقـد ثرياها

أما الترجمة المنثورة فتقول :

لو أن ذلك التـركيَّ الشـيرازى يأخـذ قلوبنا بإشـارة واحـدة من يده فإنـنى من أجل خاله الأسـود أهبه سـمر قند وبخـارا، فيـا أيها السـاقى ناولنى الخمر البـاقية، فلن تجد فى جنة المأوى أحلى مكاناً من حـافة نهر «ركنا باد» وروضة المُصلى» ويا أسـفاً إن النوريات الجسورات الطـيبات والفـاتنات سلبن الصـبر من قلبى كـمـايسلب الأتراك خوان الأسـلاب وجمـال الحبيب فى غـنى عن حبنا الناقص الذى لا يكمل، وإنما حـاجة لوجهه فى التزين والتجمل، وفيه النضرة والبهاء والخال والخط.

ولقد علمت أنه بسبب ذلك الحُسن الوضاح الذى كان ليوسف.

إن العشق ربما أخرج «زليخا» عن حجـاب العصمة، فإذا وبختنى أو عنفـتنـى فـإننى أدعـو اللّه قـائـلاً : أيليق الكلام المرير بالـشـفـة الحلوة الحمراء؟! فـياحبيبى! استـمع لنصيحـتى، فإن الشبان السعـداء يحبون أكثر من أنفسـهم نصيحة «الشيخ» العارف وتحـدث عن المطرب والخمر

وأقل البحث فى أسرار الدهر، فإن أحدا لم يحُل بالحكمة هذا اللغز المعمى، ولن يكشف عنه أحد.

وأما أنت يا حافظ فقد قلت غزلاً فنظمت درراً فتعال وغنِّها فى صوت عذب كيما ينثر الفلك على نظمك عقد الثريا.

تكشف النماذج المنظومة مثل هذه القصيدة التى طالعناها أن الدكتور الشواربى كان ينطوى على شاعر يمتلك حس الشاعر ونبضه وأدواته. وقد وجد فى غزليات حافظ الشيرازى صورة لما يحسه فى نفسه، ولكن قيود الشعر القاسية جعلت ترجماته المنظومة تبدو أشبه بالرقص فى السلاسل والقيود، بينما كانت ترجماته النثرية فطرية تتمتع بما يتيحه النثر من حرية أوسع فى استخدام اللغة استخداماً يلائم مقتضى الحال. وقد وقفت النماذج التى ترجمها الدكتور الشواربى ترجمة نثرية مسجوعة فى مرحلة وسطى بين النظم المقيد والمنثور الطليق. وربما كانت هذه النماذج أكثر من غيرها توفيقاً حيث استخدم الشاعر بعض الجماليات اللغوية التى يوفرها السجع، ورغم أن السجع من خصائص النثر الفنى، إلا أنه قد لعب فى هذه الغزليات دوراً شعرياً أو شاعرياً، لأنه أطرب أسماعنا دون أن نحس تكلف النظم، ومن هذه الغزليات غزلية رقم (٨) التى يقول فيها :

الآن يتـجـدد الـشـبـاب مـرة أخـرى فى البـسـتـان

فتـصل بشرى الورد إلى البلابل الشادية بأعـذب الألحان

فيا نسيم الصبا إذا مررت عـلى شباب الخميلة مرة أخرى

فـاعـرض خـدمـاتـنا على الـسـرو والورد والريحـان

وإذا تجلى هذا الطفل المجوسى - ابن بائع الخمر - مثل هذا التجلى

جـعلت أهـدابى - مـن أجله - مـكنسـة لـبـاب الحـان

فـيـا من تسـحب على الـقـمـر صـولجـانـاً من العنبـر الخـالص

لا تجعلنى مضطرب الحال، فإنى داثر الرأس حيران ولشد ما أخشى أن هؤلاء الذين يضحكون ممن يشرب الثمالة سيتلفون فى نهاية الأمر ما عندهم من إيمان فكن صديقاً لرجال الله، فقد كانت فى سفينة نوح

حفنة من تراب لم تهتم بأمر الطوفان

واذهب عن هذا المنزل الداثر، ولا تجهد نفسك بطلب الخبز

فهـذه الدنيا البـخيلة ذات الـكأس السوداء تقـتل ضيـفها فى نـهاية الأمر، وقل لمن مضجعه فى النهاية قبضتان من التراب

ما حاجته إليى رفع الإيوان إلى الأفلاك

ويا قمرى قمر كنعان - لقد أضحى لك مسند مصر

وقت حان الوقت الذي تودع فيه محبسك

أما أنت يا حافظ فاشرب الخمر وعربد واهنأ بالاً

ولكن لا تجعل القرآن - مثل الآخرين - شبكة للتزوير والتمويه

لقد استطاع الدكتور الشواربى بحساسيته الفائقة وحرارة عواطفه وجيشان وجدانه ورقة قلبه وفائق مقدرته العلمية أن يمسك بروح الشعر فى غزليات حافظ الشيرازى، وأطلعنا على آفاق هذا العالم الفسيح الذى حلقت فيه الغزليات ومنحته ثقافته الواسعة القدرة على الغوص وراء تجليات الحضارات الهندية والعربية الإسلامية والأساطير الفارسية فى تجربة حافظ الشيرازى، وهذه آية النجاح والتوفيق والتأثير، ولهذا استحق شهادة الجدارة والأمانة والتقدير.

محمد إبراهيم أبو سنة

كتاب حدائق السحر فى دقائق الشعر
أهميته بين كتب البلاغة الفارسية

أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم
كلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر

تمهيد

لم يسعدنى الحظ بالتتلمذ على يد الدكتور إبراهيم أمين الشواربى، فقد كنت أدرس اللغة الفارسية وآدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة، ولكنى سعدت بالتتلمذ على يديه من خلال مؤلفاته وأبحاثه التى أثرى بها المكتبة العربية، وأول كتاب قرأته له هو كتاب «القواعد الأساسية لدراسة الفارسية» فى طبعته الثالثة التى صدرت عام ١٩٥٦م عندما كنت طالباً بالسنة الأولى بقسم اللغة الفارسية، وقد ظل هذا الكتاب - وما زال - مرجعاً لا يمكن الإستغناء عنه لدارسى اللغة الفارسية، لما يتميز به من حسن العرض وبراعة التنظيم، وبما احتواه من نصوص أدبية قيمة تساعد الطالب على تطبيق ما درسه من قواعد اللغة الفارسية. ولا أكون مبالغاً إذا قلت إن كل من ألف فى قواعد هذه اللغة قد استعان أو اقتبس أو نقل شيئاً من هذا الكتاب، واستفاد منه فى مؤلفه.

وقد تعجبت كثيراً بعد سنوات طويلة عندما وجدت كثيراً من مؤلفي كتب قواعد اللغة الفارسية من الإيرانيين يرجعون إلي كتاب «القواعد الأساسية» ويدرجونه ضمن مصادرهم ومراجعهم التى رجعوا إليها، وأذكر من هؤلاء على سبيل المثال الأستاذ عبدالرحيم همأيونفرخ في كتابه «دستور جامع زبان فارسى» الذى حصل على الجائزة الشاهنشاهية عام ١٣٣٨ - ١٩٥٩م كأفضل كتاب فى ذلك العام، ويقع هذا الكتاب فى سبع مجلدات، ويتناول قواعد اللغة الفارسية بالتفصيل. أذكر كذلك الدكتور طلعت بصارى الذى ذكر كتاب «القواعد الأساسية» ضمن مصادره لكتاب «دستور زبان فارسى» الذى صدرت طبعته الأولى عام ١٣٤٥هـ - ١٩٩٦م ، وهو أيضاً من الكتب القيمة التى تناولت هذا الموضع.

وقد تعرفت كذلك على أستاذنا الجليل من خلال كتابه المترجم «تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى» الذى ألفه بالإنجليزية المستشرق إدوارد جرانفيل براون الأستاذ السابق بجامعة كامبردج، وظهرت طبعته الأولى فى القاهرة عام ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م. وقد قرأت هذا الكتاب وأنا طالب بالكلية أيضاً، وتعرفت من خلاله على أهم العصور الأدبية كالعصر الغزنوى والسلجوقى والمغولى،

والنشاط الأدبى الفارسى وأهم رجاله. وقد أعطانا هذا الكتاب المترجم فكرة واضحة وخلفية مفصلة عن الأدب الفارسى منذ الفتح العربى وحتى نهاية العصر المغولى.

أما بالنسبة لفن ترجمة هذا الكتاب وغيره عند الشواربى فيكفى أن أقول إن القارئ لهذه الترجمة لا يحس بأنها ترجمة، ولكنه يشعر عند قراءته بأنه مؤلف، وذلك نظراً لدقة المترجم ولغته العربية الرصينة التى تميز بها فى كل أبحاثه ومؤلفاته. أضف إلى هذا الكم الكبير من التعليقات والحواشى والإضافات التى أضافها إلى كتاب براون، والتى أعطت للترجمة قيمة علمية كبيرة، ولم يقف الأمر عند حد الترجمة فقط كما يفعل البعض.

وسواء ترجم الدكتور الشواربى عن الإنجليزية أو الفارسية فهو أستاذ وشيخ من شيوخ الترجمة الدقيقة التى نفتقدها اليوم، فالقارئ لكثير من الترجمات اليوم قد يعجز عن فهم كثير من الجمل والعبارات، وذلك لعدم دراية المترجم بفن الترجمة وافتقاره إلى معرفة اللغتين المترجم منها والمترجم إليها معرفة جيدة. وقد يوقعه ذلك فى أخطاء كثيرة لم يكن القدماء من أساتذتنا يقعون فيها على الإطلاق.

أذكر أيضاً أننى قرأت للدكتور الشواربى وأنا فى مرحلة الدراسة الجامعية بعض الأبحاث مثل بحث بعنوان «نشأة الشعر الفارسى الإسلامى» وهو منشور فى مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول عام ١٩٤٦م. كما قرأت له أيضاً أغانى شيراز أو غزليات حافظ الشيرازى، وهو عبارة عن ترجمة لديوان حافظ الشيرازى الشاعر الإيرانى المعروف، الذى طبع فى جزءين كبيرين بلجنة التأليف والترجمة والنشر، الأول عام ١٩٤٤م والثانى عام ١٩٤٥م. وتعد هذه الترجمة أيضاً من روائع الأعمال التى قام بها الدكتور الشواربى، وقدم بها سفراً قيماً من أعمال أحد شعراء الفرس المبدعين.

أما الكتاب الذى سألقى عليه الضوء فى بحثى هذا، فهو كتاب «حدائق السحر فى دقائق الشعر» الذى وضعه باللغة الفارسية أصلاً رشيد الدين محمد العمرى الكاتب البلخى المعروف بالوطواط والمتوفى سنة ٥٧٣هـ، وقد نقله لأول مرة عن الأصل الفارسى مع تعريب مقدماته وتوضيح حواشيه أستاذنا الدكتور الشواربى، وطبعته أيضاً لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م.

ولا أستطيع أن أصف الصعوبة التى يتعرض لها من يقوم بترجمة

كتاب فى البلاغة الفارسية، وخاصة بالنسبة لترجمة الشواهد الشعرية التى يستشهد بها المؤلف، فأحياناً ما تكون فى غاية التعقيد، ولابد للمترجم أن يكون على دراية بكل هذه الفنون التى يتحدث عنها المؤلف، حتي يتمكن من ترجمة الشواهد بسهولة ويسر بعد فهمها. وإذا نظرنا إلى شواهد الوطواط فإننا نجده ينظم أحياناً شواهد من عنده بهدف الاستشهاد على فن من الفنون عندما لا يجد له شاهداً متاحاً من الشعر الفارسى أو العربى.

ومن هنا يأتى التصنع والتعقيد فى شواهد كتب البلاغة. وقد عانيت أنا نفسى كثيراً عندما قمت بترجمة كتاب «ترجمان البلاغة» لمحمد بن عمر الرادويانى (منتصف القرن الخامس الهجرى) وهو أول كتاب فى البلاغة الفارسية، ونشرت الترجمة عام ١٩٨٥م بالقاهرة. وقد وجدت كثيراً من الصعوبات فى ترجمة الشواهد واستعنت بترجمة الدكتور الشواربى لبعض الشواهد التى تكرر ذكرها فى كتاب حدائق السحر وكتاب الرادويانى. وساعدتنى ترجمة حدائق السحر على فهم الكثير مما ورد في كتاب ترجمان البلاغة، خاصة فى شرحه للفنون البديعية المختلفة.

ولا ننسى هنا أيضاً أن نشيد بتلك التعليقات القيمة التى أضافها

المترجم على كتاب حدائق السحر، والتى إن دلت على شيء فإنما تدل على أن المترجم كان باحثاً بالدرجة الأولى يهتم بكل صغيرة وكبيرة فى العمل العلمى بالإضافة إلى دقته فى الترجمة وأسلوبه العربى البليغ. إن أستاذنا من هذا الجيل الذى أتقن اللغة العربية أولاً، ثم أتقن بعد ذلك اللغات الأجنبية، وحرص كل الحرص على أن يقدم روائع الأعمال الأدبية للقارئ العربى فى لغة عربية سليمة، فأثرى بإنتاجه العلمى المكتبة العربية، وعرف القارئ العربى بأدب إسلامى كان خافياً على الكثيرين.

وسوف أتناول في بحثى هذا موضوع البلاغة الفارسية وأوائل الذين شاركوا فى التأليف فيها، واهتمام الفرس بالبديع منذ نشأة الأدب الإسلامى الفارسى ثم أتحدث بعد ذلك عن أهم كتب البلاغة الفارسية وفى مقدمتها كتاب «ترجمان البلاغة» لمحمد بن عمر الرادويانى، ثم كتاب «حدائق السحر فى دقائق الشعر» للوطواط الذى قام بترجمته الدكتور إبراهيم الشواربى، ثم بعد ذلك كتاب «المعجم فى معايير أشعار العجم» لشمس قيس الرازى، وتعتبر هذه الكتب الثلاثة من أهم كتب البلاغة الفارسية وأعظمها، وسوف نفصل الحديث عن كتاب الوطواط نظراً لاتصاله بموضوع هذه الندوة.

اهتمام شعراء الفرس بالبديع فى شعرهم منذ نشأته

بدأ الفرس في نهضتهم القومية يستعملون لغتهم الفارسية الإسلامية المتأثرة باللغة العربية واصطلاحاتها، وأخذ بعض الحكام المستقلين يشجعون الشعراء والكتاب على الكتابة باللغة الفارسية، فأخذوا يؤلفون باللغة الفارسية الحديثة بعد أن ظل الشعراء والكتاب يقدمون إنتاجهم باللغة العربية خلال القرن الأول والثانى الهجريين، وذلك بعد أن شغلوا أنفسهم بالاطلاع على اللغة العربية وإجادتها، وقراءة أشعار المتقدمين من العرب والمعاصرين منهم، فنشأ الأدب الفارسى معتمداً إلى حد كبير على الأدب العربى يحاول فى ذلك أن يقلده وأن ينهج نهجه ويسلك مسلكه، وأصبح الشاعر الإيرانى بعد الإسلام لا يستطيع قول الشعر بلغته الفارسية، ما لم تكن معرفته باللغة العربية كاملة.

أثرت الأوزان والبحور العربية فى الشعر الفارسى تأثيراً كبيراً، فحاكى الفرس الأوزان العربية وسموها بأسمائها، وأخذوا اصطلاحات العروض كلها، ومن يرجع إلى كتاب «المعجم فى معايير أشعار العجم»، وخاصة فى الجزء الذى يتناول العروض يجد ذلك واضحاً جلياً، ويقول مؤلف هذا الكتاب : «وبحكم أن صناعة الشعر كانت فى

بادئ الأمر من اختراع طبع العرب وابتداع خاطرهم، وتبعهم العجم فى كل أبوابها، ولم يضعوها، ونقلوا تسمية الأركان والأجزاء وتصدير البحور والأوزان، وتقرير ما يجوز وما لا يجوز فيها، وليسوا مستقلين فلا بد لنا فى هذا الكتاب أن نبدأ بشرح أوضاعهم واصطلاحاتهم فى تقرير البحور وثبت الدوائر، وذكر أجناس الشعر، وتعديد أوزانهم، حتى يعرف الخطأ من الصواب فيما زاده العجم على أشعارهم وما أنقصوه منها، ويعرف غثه من ثمينه». (١)

ونلاحظ أن كتاب الفرس ينصحون كل من يكتب بالفارسية أن يطالع أشعار العرب ويتعرف على أخبارهم وأقوالهم وحكمهم، حتى يصل إلى ما يصبو إليه من تقدم فى صنعته، فنجد مثلاً نظامى عروضى السمرقندى (القرن السادس الهجرى) ينصح الكتاب فى كتابه «چهار مقاله» أى المقالات الأربع، بقراءة القرآن وأخبار المصطفى وآثار الصحابة وأمثال العرب، كما ينصح بالإطلاع على إنتاج كتابهم، وقراءة دواوين شعرائهم كالمتنبى وغيره. (٢)

ولابد لنا هنا أن نتحدث عن الآثار البلاغية التى يمكن العثور عليها فى ثنايا الأبيات الفارسية التى قيلت فى وقت مبكر، ومن الطبيعى فى

شعر يقال بأى لغة أن ترى فيه الآثار البلاغية التى لا تخلو منها لغة كالتشبيه والاستعارة والجناس وغير ذلك، فالشعر الفارسى المبكر لم يكن يخلو من لمحات فنية، وهو فى بدايته يتسم بالسهولة والخلو من التعقيد فى الصنعة البديعية.

وإذا حاولنا معرفة أوائل الشعراء الفرس الذين نظموا شعراً بأسلوب جديد بعد الإسلام، فإننا نجد أصحاب التذاكر يختلفون فى ذلك اختلافات كبيرة، فقد أورد كل منهم فى هذا الشأن قولاً وذكر شاعراً، أما المسلم به فهو أن أقدم شعر فارسى درى مكتوب نظم فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى فى خراسان، والشعراء الأولون الذين ورد ذكرهم في المصادر التاريخية هم : حنظلة البادغيسى (من بادغيس بخراسان) الذى ذكروا أن وفاته كانت سنة ٢٢٠ هجرية (٨٣٥ م)، ومحمود الوراق الهروى (توفى ٢٢١ هـ - ٨٣٥م)، ومحمد بن وصيف السكرى المعاصر ليعقوب بن الليث الصفارى (الذى نظم اقدم اشعاره فى أواسط القرن الثالث - حوالى ٨٦٥ ميلادية)، وفيروز مشرقى (٢٨٣ هـ - ٨٩٦م)، وبوسليك الكركانى المعاصر لعمرو بن الليث، ومسعودى المروزى صاحب أول شاهنامة قبل

الفردوسى، وقد نظم شاهنامته فى أواخر القرن الثالث الهجرى (أوائل القرن العاشر الميلادى). وقد كان ظهور أول شاعر كبير من الشعراء الفرس وهو الرودكى السمرقندى (٣٢٩هـ - ٩٤٠م) الذى لقبوه بحق (استاذ الشعراء) بعد هذه الطبقة من الشعراء الثانويين الذين ذكرناهم.[٣]

وإذا تحدثنا عن الرودكى مثلاً وجدنا أن شعره وصل إلى مرتبة عالية من العذوبة وحسن الصياغة، وأن ما جاء بشعره من فنون بديعية لم تكن نتيجة تصنع وإنما جاءت عفو الخاطر، ونستشهد بوجود هذه الفنون فى الأشعار المبكرة لدى الفرس بأبيات له ذكرها صاحب «چهار مقاله» وقد أنشدها للأمير نصر بن أحمد السامانى فأثرت فيه فجعلته يمتطى جواده قاصداً بخارى دون أن يتنبه إلى وضع حذائه فى قدميه إذ يقول :

بوى جوى موليان آيد همى   بوى يار مهربان آيد همى

ومعناه :

ما يزال يهب علينا عبير جيحون   وما يزال يهب علينا عبير الحبيب

وقد ذكر صاحب «چهار مقاله» أن بيتاً واحداً من هذه القصيدة وهو:

آفرين ومدح سودآيد همى   گر بگنج اندر زيان آيد همى

ومعناه :

أن الشكر والمديح يأتى بالنفع دائماً، أما مال الكنوز فمصيره الزوال

يحتوى من المحاسن على سبع صناعات بديعية هى : المطابق، والمتضاد، والمردف، وبيان المساواة، والعذوبة، والفصاحة، والجزالة، ثم يقول : «ويستطيع كل أستاذ متبحر فى علوم الشعر أن يفكر قليلاً ليرى أننى مصيب فيما قلت».(٤)

ويقول المستشرق براون تعليقاً على هذا النقد «وأنا شخصياً إذا أتيح لى أن أبدى رأياً فى هذا الأمر أجد نفسى ميالاً إلى تصديقه وموافقته. فالمطابقة ظاهرة وواضحة لأن الشاعر يريد من الأمير شيئاً من العطاء واشارته إلى ذلك هينة ولكنها واضحة، وأما التضاد فقد عبر عنه الشاعر وأجاد عندما ذكر (ضياع المال) و (كسب الفخر)، وأما الرديف فظاهر فى جزئى البيت وإن كان الأمر لا يقتضيه عادة إلا فى الشطرة الأخيرة منه، وأما المساواة فظاهرة أيضاً بما يناله الأمير لقاء سخائه، وأما العذوبة والفصاحة والجزالة فكلها ظاهرة وواضحة من قراءة البيت الفارسى».(٥)

هذه الأبيات السابقة تدل على أن الأشعار الفارسية المبكرة كانت تتضمن فنوناً بديعية، إلا أنها كانت تتسم بالسهولة وعدم التصنع، ذلك لأنها كانت ناشئة فى بداية أمرها، ويقول بروان فى هذا الصدد : «يتضور كثير من الناس أن الآداب الفارسية تمتاز بأنها مصطنعة متكلفة تمتلئ بالصناعات البديعية وتزخر بالمجازات والإستعارات، ولكن هذا الرأى ليس صحيحاً إلا فيما يتعلق بمجموعة من الأعمال نشأت فى ظروف خاصة وبيئات خاصة كالتى نشأت فى كنف الفاتحين الأجانب من المغول أو الأتراك. فتاريخ المغول الذى ألفه الوصاف حوالى سنة ١٣٢٨م - ٧٢٩هـ من أكبر الأمثلة على هذا الأسلوب المصطنع الملىء بالمحسنات البديعية. وكذلك نجد أن (روضة الصفا) و(أنوار سهيلى) وكذلك طائفة من التأليفات المعاصرة التى نشأت فى رعاية الأمراء التيموريين فى نهاية القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر (القرن العاشر الهجرى) كلها تقوم دليلاً على صدق هذا الرأى الذى ذهبنا إليه».(٦)

ونضيف إلى المثال السابق بعض الأمثلة الأخرى لشعراء مبكرين، وقد حاولت استخراج هذه الشواهد من كتب البلاغة الفارسية، وهذه

بعض الأبيات التى استشهد بها صاحب «ترجمان البلاغة» فى معرض حديثه عن فنون البديع عند الفرس، فنجده يستشهد بأبيات للدقيقى فى صنعة المضارعة حينما يقول : (٧)

اگر بتگر چو توبيكر نگارذ   مريزاذ آن خُجسته دست بتگر

اگر آزر چو تودانست گردن   دروذ ازجان ما برجان آزر

والمعنى :

إذا استطاع صانع الدمى أن يصور صورتك، فلا شلت يده المباركة

وإذا استطاع آزر أن يصنع مثلك، فتحية من روحنا إلى روح آزر

والدقيق فى صنعة المطابقة : (٨)

من جاه دوست دارم كازاده زاذه وم   آزاد گان بجان نفروشند جاه را

ومعناه :

اننى أعشق الجاه لأننى من أصل طيب عريق، والأحرار لا يبيعون الجاه بالروح.

وللرودكى فى صنعة الترصيع :(٩)

كس فرستاذ بســـرّ عيّار مرا   كى مكن ياذ بشعر اندر بسيار مرا

ومعناه :

لقد أرسل إلينا سرا أحـد الأشخاص يقول لنا: لا تذكـرنا فى الشعر كثيراً.

وللرودكى فى صنعة المقتضب : (١٠)

اگرْتْ بدره رساند همى ببدر منير   مبادرت كن وخامش مباش چندينا

ومعناه :

إذا أوصلتك البدرة إلى البدر المنير، فبادر إليه ولا تصمت هكذا.

وللرودكى فى صنعة المتضاد : (١١)

بنو بهاران بستاى أبر گريان را   كى از گريستن اوست اين زمين خندان

ومعناه :

امـدح السحب الباكيـة وقت الربيع، فـمن بكائهـا تبتـسم الأرض وتزدهر

وللرودكى فى التشبيه الشرطى : (١٢)

بسرو ما نذگر سرو لاله دار بوذ　　　بمورد ماند گر مورد روذ از نسرين

ومعناه :

انها تشبه السرو لو كان بالسرو شقائق، وهى كشجرة «المورد» لو نبتت هذه الشجرة من النسرين.

وللرودكى فى مراعاة النظير : (١٣)

فاخته بر سرو شاه روذ بر آورد　　　زخمه فروهشت زند واف بطنبور

ومعناه :

لقد عزفت الفاخته نغمة «شاه رود» وهى على السرو، وأخذ البلبل يضرب بمضرابه على الطنبور نغمة «زند واف».

وللرودكى فى تجاهل العارف : (١٤)

تَنْتْ يك وجان يكى وچند ين دانشى　　　اى عجبى مردمى تويا دريايى

ومعناه :

جسدك واحد وروحك واحدة ومعارفك كثيرة، فيا عجبى أأنت إنسان أم بحر؟

وللرودكى فى الإستدراك : [15]

أثر مير نخواهم كى بماند بجهان   مير خواهم كى بود مانده بجاى اثرا

ومعناه :

إننى لا أرغب أن يبقى أثر الأمير فى الدنيا، بل أريد أن يبقى الأمير بدلاً من أثره.

وللشهيد البلخى فى الإغراق فى الصفة : [16]

بتير از چشم نابينا سپيدى نقطه بردارذ   كى نه ديده بيازارذ نه نابينا خبر دارذ

ومعناه :

انك تزيل بالسهم النقطة البيضاء من عين الكفيف، فلا العين تتألم ولا الكفيف يشعر بذلك. ويستشهد صاحب «المعجم» ببيت لأبى شكور البلخى فى أدب الطلب حسن السؤال من الممدوح وهو :

ادب مگير وفصاحت مكير وشعر مكير   نه من غريبم وشاه جهان غريب نواز [17]

ومعناه :

دع الأدب والفصاحة والشعر فلست غريباً، بينما المليك يرعى كل غريب.

كل هذا إن دل على شىء فإنما يدل على أن الفرس قد استخدموا

فنون البديع المختلفة فى أشعارهم المبكرة. ولكن لم تظهر فى ذلك الوقت كتب فى البلاغة الفارسية، ولم توضع لها الاصطلاحات الخاصة بها، ويقول الأستاذ عباس إقبال فى مقدمته على كتاب «حدائق السحر فى دقائق الشعر» :

«وخلاصة القول فإن فن البديع أصبح منذ القرون الأولى لنشأة الشعر الفارسى محكاً لعناية شعراء الفرس مثل الرودكى والشهيد البلخى والدقيقى تدريجياً فأراد أدباء القسم الشرقى لمملكتنا - وهو القسم الذى نشأت فيه الأشعار الفارسية الدرية - أن يجمعوا كتاباً فى هذا الفن، يطبقون فيه محاسن الشعر العربى على الكلام الفارسى المنظوم. ويستفاد من بعض القرائن أن شعراء الفرس اعتنوا عناية خاصة بعلم البديع منذ أواخر عهد السامانيين وأوائل دولة الغزنويين فقالوا أشعاراً بديعة يتمثل بها من ناحية جمالها اللفظى والمعنوى، ويقول الشاعر عنصرى المتوفى سنة ٤٣١ هـ فى إحدى قصائده :

نگار هاى بهارى چو شعر هاى بديع يكيست بزر موشح دگر پر از تشجير

ومعناه :

إن نقوش الربيع كالشعر البديع، فهذا موشح بالذهب وتلك مليئة

بالأشجار».[١٨]

وإذا كنا قد قصرنا الحديث عن فنون البديع فى الشعر ذلك لأن النثر الفارسى المبكر قد ضاع معظمه وما ظل باقياً منذ القرن الرابع أو الخامس مثلاً كان سهلاً وسلساً، وخالياً من كل أنواع التكلف والتصنع، ونرى فيه كل خصائص النثر البسيط الذى يستخدم لبيان المقصود فقط[١٩]. ونجد أن أوائل كتاب البديع الفارسى قصروا استشهاداتهم فى فنون البديع على الشعر فقط. ولم يمثلوا لتلك الفنون بعبارات نثرية، وهذا واضح فى كتاب «ترجمان البلاغة» ويمكننا القول بأن الصلة الوثيقة التى تأكدت بين الشعر العربى والشعر الفارسى فى نشأته، وتأثر الثانى بالأول، قد جعلت الشعر الفارسى يتأثر بما يحتويه الشعر العربى من فنون بديعية، وبما شاع فى شعر بعض الشعراء العرب الإسلاميين من زخرف وبديع كمسلم بن الوليد وابن تمام وغيرهما، كما أن كتب النقد العربية قد ساعدت كل من اطلع عليها من الفرس على معرفة جيد الشعر من رديئه، ومعرفة شروطه وأدواته، ومن طالع كتاب «المعجم» يجده يتحدث عن عيوب القوافى مثل : الإقواء والإكفاء والسناد والإيطاء والتضمين وغير ذلك كما يتحدث عما يقع فى النظم من عيوب كالزيادة والحذف والأخطاء المعنوية، ثم يذكر محاسن

الكلام من جناس وترصيع وطباق وتشبيه وغير ذلك.

وهذا يبين بكل وضوح أن تأثر الشعراء والكتاب الفرس بالشعر العربى وبكتب النقد العربى ساعد على وجود قيم بلاغية مشتركة بين العرب والفرس على السواء، فأصبح الفارسى يستعمل مقاييس النقد التى أخذها عن العرب ويطبقها على أدبه.

ونشير هنا إلى أننا لم نصادف أى إشارة لوجود كتب مؤلفه قبل كتاب «ترجمان البلاغة» الذى سيأتى ذكره فيما بعد، وقد ذكر مؤلفه أنه لم يعثر على كتب فارسية مؤلفة فى أجناس البلاغة، وأن كل ما وجده كان فى العروض. وقد ذكر مؤلفين هما (ابا يوسف) و(ابا العلاء الشوشترى) وهما ممن ألفوا بالفارسية فى العروض.[20]

وذكر الدكتور ذبيح اللّه صفا أنه من الممكن أن يكون أبو يوسف مؤلف كتاب العروض هذا هو يوسف العروضى أحد شعراء القرن الرابع الهجرى، والذى وردت أشعاره فى «لغت فرس» لأسدى و. «المعجم» لشمس قيس الرازى.[21]

وتحدث صاحب «لباب الألباب» عن «أبى الحسن على بن بهرامى السرخسى» وعده من شعراء العصر الغزنوى، كما ذكر أن كتاب

«خجسته نامه» فى علم العروض من مؤلفاته[٢٢]، وذكر صاحب «چهار مقاله» كتابين آخرين من تأليفه هما : «غاية العروضيين» و «كنز القافية»، وقد ضاعت جميعها.[٢٣]

كما أننا نجد بعض الملاحظات البلاغية والنقدية منثورة فى ثنايا كتب الأدب الفارسية وكذلك فى كتب التراجم، إلا أننا نجدها ملاحظات عامة لا تفيد الباحث كثيراً، ومثال ذلك بعض الملاحظات التى وردت فى كتاب «چهار مقاله» المؤلف سنة ٥٥٠ هـ، وهو كتاب يشتمل علي أربع ملاحظات فى بيان الشروط التى يجب توافرها فى أربع طبقات من الناس هم بزعم المصنف يحتاج إليهم الملوك أى الكاتب والشاعر والمنجم والطبيب، وتلى كل مقالة عشر حكايات تقريباً، وتتفق هذه الحكايات مع عنوان المقالة والهدف الذى كتبت من أجله وبيانها وتفسيرها.

ومن ملاحظاته قوله عن الكاتب فى المقالة الأولى : «وينبغى أن يلزم فى سياق الكلام منهجاً يجعل الألفاظ تابعة للمعانى، ويوجز ويقصر فى الكلام فقد قال فصحاء العرب: خير الكلام ما قل ودل. وحيثما جاءت المعانى فى أثر الألفاظ طال الكلام ودعى الكاتب مكثارا (والمكثار مهذار)».[٢٤]

وهو فى هذا الكتاب يقدم للكتاب قاعدتين بلاغيتين إذا أراد أن يجعل كلامه فصيحاً وقوله بليغاً، فالقاعدة الأولى هى تبعية الألفاظ للمعانى وليس العكس، والقاعدة الثانية هى الإيجاز وعدم الإطناب فى الكلام، والواقع أن هذه الملاحظات البلاغية لا تكثر فى كتابنا هذا، إنما هى قليلة جداً، وذلك لأن الغرض الأساسى فيه ليس البلاغة فى حد ذاتها، وإنما بيان أهمية الفئات الأربع المذكورة فيه لدى كل سلطان.

ورغم أنه يصف بعض العبارات بالإيجاز والفصاحة (٢٥)، إلا أنه لا يعطينا تفسيراً أو تحديداً لهما كما كان يفعل المتقدمون من مؤلفى العرب.

ونراه يتحدث عن فصاحة القرآن وإعجازه فى الحكاية التاسعة من المقالة الأولى فيقول: «إن غاية القرآن إيجاز اللفظ وإعجاز المعنى، وكلما تيسر للفصحاء والبلغاء تضميناً منه أدهش السامعين، وأقام قيامة العقلاء. وهذا دليل واضح وبرهان قاطع على أن هذا الكلام لم تجربه أنفاس مخلوق، ولم يحدثه فم ولا لسان وأن رقم القدم مثبت على ناصية عباراته وإشارته».

ومما ذكره فى المقالة الثانية بشأن ماهية الشعر وصلاحية الشاعر قوله

فى صناعة الشعر «بأنها صناعة يؤلف بها الشاعر المقدمات الموهمة، والقياسات المنتجة على وجه يجعل المعنى الصغير كبيراً والكبير صغيراً، ويورد الحسن فى زى القبيح ويجلو القبيح فى صورة الحسن» (٢٦). وهذا يشبه ما جاء فى كتاب (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر، فقد رُوى عن الأصمعى «أن سئل : من أشعر الناس؟ فأجاب : من يأتى إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيراً، أو إلى الكبير فيجعله بلفظه خسيساً» (٢٧).

وقد ذكرنا نقد نظامى لأبيات الرودكى فيما سبق وأنها تحتوى على سبعة من محاسن الصنعة، ونلاحظ أن اثنين منها وهما : المردف وبيان المساواة لم يرد ذكرهما فى (ترجمان البلاغة) أقدم الكتب الفارسية فى البديع، ونعتقد أن هذين المصطلحين كانا ضمن كثير من المصطلحات التى لم توضع على عهد صاحب «ترجمان البلاغة» فلم يدخلهما فى كتابه، فلما جاء مؤلف «چهار مقاله» ذكرهما.

ونلاحظ أيضاً أنه أدخل الفصاحة والجزالة والعذوبة ضمن المحسنات فى نقده لأبيات الرودكى، على الرغم من أنها مصطلحات عامة لا تدخل ضمن المحسنات أو الصناعات الشعرية.

وعلى العموم فهذا نوع من النقد الذي استخدم فيه نظامى العروضى القيم البلاغية، ولا يتكرر هذا فى كتابه مرة ثانية، وكل الأبيات التى تحدث عنها ذكرها من حيث تأثيرها على سامعيها ولم يبين القيم الفنية أو الجمالية التى تحتوى عليها.

وإذا نظرنا إلى البلاغة الفارسية والتأليف فيها وجدنا شيئاً يستحق الملاحظة وهو أن الكتب التى ألفت بالفارسية كانت تتحدث عن مصطلحات وتعريفات متكاملة ولم تكن تتناول مجرد ملاحظات وإشارات متناثرة كما كان الشأن فى كتب الأدب والنقد العربيين عند نشأة البلاغة العربية. وظهور البلاغة الفارسية وخاصة كتب البديع الأولى يدل على أنها لم تمر بمراحل للنشأة فى بادئ أمرها وإنما ظهرت دون مقدمات، فكان جل اعتمادها على ما استقر فى البلاغة العربية التى نُقلت عنها.

الكتب الثلاثة الرئيسية فى البلاغة الفارسية

أطلقت هذا العنوان على ثلاثة كتب ألفت فى البلاغة الفارسية، واعتبرتها كتباً أساسية لسبب بسيط هو أن كل ما ألف بعدها كان إما مقلداً لها أو مقتبساً وناقلاً عنها أو سالكاً نهجها وطريقتها، ونبدأ بالحديث عن أولها :

(أ) كتاب ترجمان البلاغة للرادويانى

هو أول كتاب ألف فى البلاغة الفارسية، وقد كان من المعروف منذ وقت قريب أن كتاب «حدائق السحر» للوطواط هو أول كتاب ألف فى البلاغة الفارسية، ولكن تغيرت هذه الفكرة منذ عثر الأستاذ أحمد آتش على مخطوطة له عام ١٩٤٨م ضمن المخطوطات الموجودة فى مكتبة الفاتح باسطنبول. ويقول عنه الأستاذ آتش : «يعد كتاب ترجمان البلاغة أول كتاب ألف فى أواخر عصر تدوين وتثبيت بناء الآداب الإيرانية بعد الإسلام فى باب الصناعات الأدبية» (٢٨).

أما من ناحية طبعات الكتاب فلم يُطبع إلا مرة واحدة فى اسطنبول سنة ١٩٤٩م، وقد قام على تصحيحه وتحشيته المرحوم الأستاذ / أحمد آتش الأستاذ بكلية الآداب بجامعة اسطنبول آنذاك ونشره معهد

الدراسات الشرقية، وقد نقله الأستاذ آتش عن النسخة الخطية التى عثر عليها وتاريخ نسخها هو سنة ٥٠٧ هـ - ١١١٤ م.

وقد قدم المحقق للكتاب بمقدمة فارسية قصيرة بين فيها أهميته، وكيف عثر على نسخته الخطية، ثم انتقل إلى القول بأن البلاغة وعلومها إنما هى وليدة الفكر الإسلامى، وأن ما قيل عن تأثرها بالبلاغة اليونانية ينفيه هذا الكتاب وما اعتمد عليه من مصادر عربية. ثم يتحدث عن احتذاء الرادويانى لأبى الحسن المرغينانى وكتابه «محاسن الكلام» ونقله عنه.

وبالإضافة إلى هذه المقدمة الفارسية فإن المحقق يكتب مقدمة أخرى - أطول بكثير من سابقتها - باللغة التركية، يشرح فيها كثيراً من الموضوعات الهامة ويختمها ببعض الحواشى والتوضيحات، فنجده يبدأ مقدمته التركية بالحديث عن الأدب الفارسى حتى تأليف «ترجمان البلاغة»، ثم عن علم البلاغة فى الأدب الإسلامى وبدء ظهوره، ويتحدث بعد ذلك عن الكتاب ونسخته الخطية وأسس نشره لها.

والواقع أن الأستاذ آتش أحيا لنا كتاباً كان مجهولاً للباحثين فى هذا المجال، وبذلك أخرج لنا عملاً هاماً لا يستطيع أى دارس أو باحث - فى علم البلاغة الفارسية خاصة والإسلامية على وجه العموم - أن

يستغنى عنه، كما أنه قد ألغى بنشره له نظرية خاطئة وهى أن التأليف فى البلاغة الفارسية بدأ بكتاب «حدائق السحر» للوطواط.

ويقول الأستاذ آتش فى المقدمة الفارسية عن ناسخ هذه المخطوطة: «ومن غرائب الصدف أن ناسخ هذا الكتاب - أى أردشير بن ديلمسپار النجمى الشاعر - هو نفسه ناسخ كتاب (لغت فرس) لأسدى الطوسى، ويعد الكتاب الأخير كتاباً فريداً من نوعه، وهو خزانة قيمة فى المفردات والشعر الفارسى فى العصر الأول للأدب الإيرانى بعد الإسلام» (٢٩).

أما بخصوص مؤلف هذا الكتاب فقد كان يُظن لقرون مضت - منذ أوائل القرن السابع أى عصر تأليف «معجم الأدباء» لياقوت حتى ظهور هذه النسخة أن ذلك الكتاب للشاعر «الفرخى السيستانى». وقد جاء ذلك فى عبارة صريحة لياقوت إذ قال إن الوطواط ألف كتابه «حدائق السحر فى دقائق الشعر» وعارض به كتاب ترجمان البلاغة لفرخى الشاعر الفارسى (٣٠)، وذكر ذلك أيضاً كثيرون منهم صاحب «كشف الظنون» إذ قال: «ترجمان البلاغة» فارسى لفرخى الشاعر جمع فيه الصنائع البديعية (٣١).

ولكن ظهور النسخة السابقة الذكر وقد سجل المولف إسمه فى أولها، لم يدع مجالاً للشك فى أن هذا الكتاب من تأليف محمد بن عمر الرادويانى، فقد قال المؤلف فى مطلع مقدمته : «هكذا يقول محمد بن عمر الرادويانى ..» وبهذا التصريح ومع قدم هذه النسخة وصحتها فإنه لم يبق أى شك فى نسبته للرادويانى.

ومما يؤكد نسبة هذا الكتاب إلي الرادويانى ويلغى الزعم القائل بأنه للفرخى أننا نجد أبياتاً للفرخى يستشهد بها الرادويانى على بعض فنون البديع، وهو عندما يذكرها يقول: قال الفرخى أو يقول الفرخى، ثم يذكر البيت. فإذا كان الفرخى هو مؤلف هذا الكتاب لقال : وأقول، أو : وهذا البيت لى، كما يفعل غيره من المؤلفين عندما يذكرون أبياتاً لهم ليستشهدوا بها على فن من الفنون، ويلاحظ ذلك مثلاً في كتاب حدائق السحر للوطواط.

ويقول الدكتور ذبيح اللّه صفا : «وأما بخصوص محمد بن عمر الرادويانى فليس فى أيدينا معلومات عنه، ولكن من المسلم به أنه كان يعيش فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى، وأنه كان قريب العهد بشعراء العصر الغزنوى الأول ذلك لأن آخر الشعراء المذكورين فى كتابه ممن استشهد بأشعارهم، هم من شعراء عهد محمود ومسعود. ومن ناحية

أخرى فإنـه لما كانت هذه النسخة قـد كتبت فى أوائل القرن السـادس تماماً فبناء على ذلك فإن تأليفها لا يمكن أن يتأخر عن أوائل القرن الخامس. وأن ما يجب افتراضه هو أن كتاب ترجـمان البلاغة قد ألف فى منتصف القرن الخامس ... أو بين هذا التاريخ وأواخر القرن الخامس» (٣٢).

ولكننا نصادف قصة وردت فى كتاب «تذكرة الشعراء»، ومؤلفه من القائلين بنسبة «ترجـمان البلاغة» إلى الفرخى (٣٣)، يقول فيها : «حكى صاحب ترجمـان البلاغة أن الصاحب السعيـد مُكرّم بن العلاء كان من كرماء كـرمان فى عهد السلطان مسـعود الغزنوى، وكان وزيراً مسـتقلاً فى تصـرفـاته، وقـد انتـقل شـبل الدولة - وهو أحـد كـبـار الشـعـراء والفضـلاء - من نيشابور إلى كـرمان على شهـرة سماحـة وكرم مكر، وأنشد قصيدة فى مدح الوزير مطلعها :

دع العيس تذرع عرض الفلا   إلى ابــن العـلاء وإلا فــلا

فقال الصاحب : كم عدد أبيات هذه القصـيدة؟ فقال الشاعر : أكثر من أربعين بيتاً، فأمر الوزير خادمه أن يعطى للشاعر بدرة ذهب، واعتذر قـائلاً : إنه يلزم لكل بيت من أبيـات قصـيدتك بدرة ذهب كـصلة، ولا يوجد فى خزانتى أربعون بدرة من الذهب» (٣٤).

وهذه القصة إن كانت منقولة فعلاً عن كتاب «ترجمان البلاغة» فإن هذا يجعلنا نفترض وجود كتاب آخر بنفس الإسم غير كتاب الرادويانى، وذلك لسبب بسيط هو أن هذه القصة ليست موجودة فى النسخة التى بين أيدينا لترجمان البلاغة الذى نشره الأستاذ آتش. وقد يكون الفرخى قد ألف فعلاً كتاباً بهذا الاسم وذكر فيه هذه القصة، إلا أن هذا الكتاب فُقِد، وقد ذكرنا أن صاحب «تذكرة/الشعراء» من القائلين بنسبة «ترجمان البلاغة» للفرخى. وهناك احتمال آخر هو أن صاحب «تذكرة الشعراء» قد نقل هذه القصة من كتاب آخر ثم أسندها إلى صاحب «ترجمان البلاغة» سهوا وخطأ.

والسبب الذى دعا المؤلف إلى تأليف كتابه هذا هو عدم وجود كتب فى البلاغة الفارسية، وقد صرح بذلك فى مقدمة كتابه إذ قال : «... وقد رأيت مؤلفات كثيرة، وكل ما رأيته لكتّاب كل عصر فى شرح البلاغة وبيان تفسير الصناعة، وكل ما يتصل بها ويتفرع عنها كالعروض ومعرفة الألقاب القوافى، رأيته كله بالعربية .. ولم أرى كتاباً بالفارسية فى معرفة أجناس البلاغة وأقسام الصناعة ومعرفة الكلام المزين والمعانى الرفيعة» (٣٥)، فتصدى للتأليف فى هذا الباب بعد أن فقد الأمل فى أن يقدم غيره من العلماء ما كان يصبو إليه، وسمى مؤلفه هذا «ترجمان البلاغة».

ولا نعلم إلى مَنْ مِنَ الأمراء أو الحكام قدم المؤلف كتابه هذا، فإنه لم يذكر لنا شيئاً من هذا القبيل سواء فى مقدمة كتابه أو فى ثنايا حديثه عن الفنون المختلفة.

وترجع أهمية الكتاب إلى أنه يشتمل على طائفة كبيرة من الأشعار التى أنشدها شعراء عاشوا فيي العصر السامانى الذى يعتبر الدورة الأولى لنشأة الشعر الفارسى، وهذا يبين مدى أهميته فى تاريخ الأدب الفارسى ونشأته.

وقد ذكر أمثلة لبعض شعراء الفرس القدامى كأبى العلاء الششترى ومحمد بن عَبْدَه وغيرهما، فأعان الباحثين على معرفة شيء من إنتاجهما، إلا أن الأول منهما لم يذكر إلا فى «فرهنگ أسدى» وفى قطعة من أشعار منوچهرى، وأما الثانى فلا ذكر له إلا فى كتاب «چهار مقاله» (٣٦)، وقد استشهد للأول فى موضعين واستشهد بأبيات للثانى فى أربعة مواضع.

والواقع أنه ذكر كثيراً من أسماء شعراء الفرس وذلك عند استشهاده على ما ذكره من الفنون البلاغية، ومن الشعراء الذين أكثر من ذكرهم والتمثيل بأشعارهم : العنصرى، فلا يخلو فن من الفنون

التى ذكرها فى كتابه غالباً من استشهاد ببيت أو أكثر من أشعار العنصرى. كما يذكر شعراء آخرين كالرودكى وفرخى ومنوچهرى وغضائرى وغيرهم، ويبلغ عدد من ذكرهم من الشعراء حوالى اثنين وخمسين شاعراً، ولكنه لم يعرف بأحد منهم أو يبين مقدرته على النظم أو مكانته فى عصره، فلم يكن يهتم إلا بالاستشهاد فقط على ما يشرحه من فنون البلاغة التى ذكرها فى كتابه.

كما أنه استشهد بأبيات عربية وذكر أسماء بعض الشعراء العرب فى بعض الفنون التى تحتم عليه ذلك، فنجده يستشهد بأبيات للبحترى فى فن الترجمة حينما يقول :

له حد صمصام ومشية حية　　وقابلُ عشاقٍ ولونُ حزين

ويذكر بعد ذلك ترجمته الفارسية، ويستشهد بأبيات لأبى نواس فى الفن السابق أيضاً وهى :

لهفى على فتبة نادمتهم زمناً　　مثل الشياطين فى دير الشياطين

مشوا إلى الراح مشى الرخ وانصرفوا　　والراح يمشى بهم مشى الفرازين (٣٧)

كما نلاحظ كثرة ما ذكره من الآيات القرآنية والأحاديث والأمثال العربية فى فنون أخرى.

اعتمد الرادويان فى تأليف كتابه على مصادر كثيرة، وقد صرح بأسماء بعضها ونقله عنها، فقال فى مقدمته : «وأخرجت كل أبواب الكتاب طبقاً لترتيب فصول محاسن الكلام الذى ألفه الإمام نصر بن الحسن - رضى الله عنه - واتخذت من تفسيره مثالاً»(٣٧)

وذكر كتاباً آخر هو كتاب (الزهرة)(٣٩) عندما تحدث عن (المقلوب المستوى) إذ يقول : «وقد رأيت عدة أبيات فى العربية من هذا النوع من كتاب الزهرة الذى صنفه خواجه محمد بن داود الأصفهانى، وكل من أراد أن يتعرف أكثر على هذا الفن فليرجع إلى ذلك الكتاب». ودليل آخرٌ على رجوعه إلى كتب عربية ونقله عنها أنه ذكر فى حديثه عن المتضاد أن الخليل بن أحمد أطلق عليه المطابق (٤٠)، كما أنه يأتى بتعريف ابن المعتز للالتفات وأنه (انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى المغايبة وعن المغايبة إلى المخاطبة وما يشبه ذلك)(٤١) وفى هذا دلالة قاطعة على أن الرادويانى قد اطلع على كثير من الكتب العربية التى ألفت فى النقد أو فى إعجاز القرآن أو فى البديع خاصة، ثم بدأ يأخذ عنها دون ذكر أسمائها إلا في القليل النادر. كما أن حديثه السابق عن عدم وجود كتب فارسية فى البلاغة وحاجة العلماء إلى مثل هذه المؤلفات مما يؤكد الرأى السابق ويوضح أن التأليف بالفارسية فى هذا

العلم لم يبدأ إلا على يد الرادويـانى، ولو كانت هناك كتب فارسية فى البلاغـة لما توانى الرادويانى عن ذكـر أسمـائها أو حـتى مجـرد الإشارة إليها، إلا أننا نجده ينفى ذلك كلية فى مقدمته. وقد يقول البعض أنه ربما أغـفل هذه الكتب ليـعطى لنفسـه مـيزة السـبق فى التـأليف، ولكن هذا مردود عليـه بأن كتب التراجم والأدب الفارسـية أو العربية لم تـتحدث عن كتب فارسية فى البلاغة قبل كتاب (ترجمان البلاغة).

وأعتقد أن الرادويانى بكتابه هذا قد رسم الطريق أمام كل من حاول بعـده الكتـابة فى فنون البـديع، فنلاحظ أن كـتابه قـد صـار المثل الذى يحتذى فيما بعد، ويأتى من بعده رجل كالوطواط فيؤلف كتابه (حدائق السحر فى دقائق الشعر) ليعارض به كتاب الرادويانى.

لم يتحدث الرادويانى عن أية تعريفات للبلاغة أو الفصاحة، كما أنه لم يقسـمها إلى علومـها الثلاثة، وهذا أمر طبـيعى لأن هذا التقـسيم لم يظهر فى كتب البلاغـة العربية إلا فى وقت متأخر، وقـد قسم كتابه إلى ثلاثة وسبعين فصلاً في محـاسن الكلام وفنون البلاغة، وأخذ يشرح فى كل فصل منها واحداً من تلك الفنون فيعـرفه ويأتى بأمثلة فارسية عليه، ويستـشهد أحـياناً بأمثلة عـربية كمـا أن معظم الفنون التى تحـدث عنها كانت فنوناً بديعية بـالإضافة إلى بعض فنون البيان من تشبيـه واستعارة

وكناية وغير ذلك.

ونلاحظ أيضاً أن كل استشهاداته كانت من الشعر، وقد كان من الممكن أن يسمى كتابه (ترجمان البلاغة فى الشعر)، ولكن مما لا شك فيه أن بعض الصناعات أو المحسنات التى ذكرها يمكن استخدامها فى النثر أيضاً، إلا أنه قصر أمثلته وشواهده على أبيات الشعر دون أن يذكر جملاً أو شواهد نثرية كما فعل الوطواط من بعده.

والكتاب يخلو عموماً من روعة التحليل للنصوص الأدبية، والتحليل للنصوص كان يلازم الكتّاب العرب غالباً، وبذلك جعل الرادويانى كتابه قواعد جافة.

ومصطلحات الكتاب كما هو واضح عربية خالصة، ولا يوجد مصطلح واحد بالفارسية، وربما كان هذا دليلاً آخر على أن الفرس قد أخذوا المصطلحات العربية دون تغيير أو تبديل غالباً واستعملوها في لغتهم كما يستعملها العرب، ولابد لهم فى هذا أن يكونوا قد رجعوا إلى الكتب العربية وأخذوا عنها مثل هذه التعريفات وضمنوها كتبهم البلاغية. وليس ببعيد أن يكون اختيار الرادويانى لإسم (ترجمان البلاغة) كان لهدف وهو أنه يريد بترجمان البلاغة الكتاب الذى ترجم فيه البلاغة العربية إلى الفارسية، فكلمة ترجمان فى الفارسية معناها

المترجم. ومما يقوى هذا الإحتمال قول الرادويانى فى مقدمة كتابه أنه أراد أن «يحول أجناس البلاغة من العربية إلى الفارسية».

والأن نحاول أن نعقد مقارنة بين كتابى (ترجمان البلاغة) للرادويانى و (محاسن الكلام) للإمام نصر بن الحسن، مهتدين فى ذلك بما كتبه الأستاذ أحمد آتش فى مقدمته التركية القيمة، لأننا لم نطلع على مخطوطة الكتاب الثانى. ومن أهم المسائل التى جاءت فى مقدمة الأستاذ آتش ما يلى :

١- أن النسخة الوحيدة الموجودة من كتاب (محاسن الكلام) توجد فى مكتبة الاسكوريال Escurial بأسبانيا تحت رقم ٢٦٤ وهى باسم : (كتاب المحاسن فى النظم والنثر).

٢- أن أبا الحسن نصر بن الحسن المرغينانى هو أحد شعراء وعلماء القرن الخامس الهجرى - الحادى عشر الميلادى. وقد تحدث عنه الباخرزى فى (دمية القصر) وذكر أنه ولد فى فرغانه (٤٢) بما وراء النهر وأنه قدم إلى «زوزن» فى الفترة التى كان فيها أبو القاسم بن عبدالحميد بن يحيى أميراً، وأنه حاز على رضائه ثم هاجر من هناك بعد فترة، وكان ينشد الشعر الجيد ويكتب النثر. وقد ذكره السمعانى فى كتابه (الأنساب) أيضاً. وروى أنه توفى فى فرغانه

سنة ٤٧٧ هـ (١٠٥٥م) وبناء على هذا فقد عاش فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى.

٣- رغم أن اسم الكتاب (المحاسن فى النظم والنثر) إلا أننا نعتبره نفس الكتاب الذى ذكره الرادويانى باسم محاسن الكلام، ويفهم ذلك من الجملة الأولى التى ذكرت فيه : (قال الشيخ الإمام أبو الحسن نصر بن الحسن المرغينانى رضى الله عنه : هذا كتاب الفناه فى محاسن الكلام ...).

٤- يتكون ترجمان البلاغة من مقدمة وفهرست وثلاثة وسبعين فصلاً وخاتمة، وكل فصل من الثلاثة والسبعين يتحدث فيه عن فن أدبى، ويكتب عنوان كل فصل باللغة العربية، ويعقبه تعريف باللغة الفارسية، وبعد ذلك يوضح معنى الاصطلاح بجملة أو بعض جمل، إلا أن هذا الإيضاح لا يهتم بما هية الفن مثل : كيف انفصل هذا الفن عن الفنون الأخرى التى تشابهه؟ وتحت أى التأثيرات ظهر ؟ .. إلخ، وهو مثلاً لا يبحث القضايا الأدبية التى كثيراً ما نوقشت فى المؤلفات الزخرى كالعمدة لابن رشيق، فهو يكتفى بتعريف سطحى ويعطى فكرة غير واضحة عن الفن فقط، ويعقب ذلك أمثلة أخذت عن مختلف الشعراء، ونادراً ما نصادف شرحاً

يوضح ذلك المثال، والأمثلة كلها بالفارسية و «محاسن الكلام» عكس «ترجمان البلاغة» فهو مقسم إلى مجموعة من الفصول، وكثيراً ما يعطى تعريفاً سطحياً قصيراً حول الفن الذى يتناوله، وأحياناً أخرى يسوق الأمثلة مباشرة دون أن يعطى أى تعريف أو إيضاح، فمثلاً يقول نصر بن الحسن فى هذا الكتاب وهو يتحدث عن الفن الأول الترصيع : «من محاسن الكلام البديع ما سماه المحدثون، الترصيع كقولنا : (عجباً لأمر الدنيا كل لسان يذمها، وكل إنسان يضمها)»، وبعد أن يسوق أمثلة تشغل أكثر من صفحتين يقول : «ومعنى الترصيع أن تأتى بالكلام معتدل الأقسام متفق النظام، وهو فى هذا يصف الفن أكثر من أن يعرفه، ومثل هذا أيضاً حين يقول عن فن الترصيع من التجنيس : (قال نصر بن الحسن إذا اجتمع الترصيع والتجنيس فهو غاية الحسن فى النظم والنثر).

والفنون التى عرفها بتعريفات قصيرة كثيرة، ومثال ذلك قوله فى المضارعة «وهو ما تتفق حروفه فى الكتابة والهيئة ويختلف فى النطق والقراءة باختلاف اللفظ».

ويعطي مؤلف (محاسن الكلام) فى كل فصل أمثلة من القرآن الحديث ويعقبه بأمثلة أخرى أخذت من شعره هو خاصة ومن شعراء مشهورين غيره كأبى الفتح البستى وأبى فراس والمتنبى، وغالباً ما ينتهى الفصل بهذه الجملة : «ويمكننا أن نجد أمثلة كثيرة لهذا غير أننا نكتفى بهذا القدر».

٥- حينما ننظر إلى (محاسن الكلام) نظرة عامة، نجد أنه يشبه (ترجمان البلاغة)، ولكن التشابه بينهما ليس تشابهاً في المظهر الخارجى فقط وإنما هناك أوجه شبه فى التعريفات والشروح. فمثلاً نجد أن كلا الكتابين يشرح ويعرف فن «القلب» هكذا :

محاسن الكلام : ومن التجنيس الحسن ما هو مقلوب معطوف وهو على ضربين :

أحدهما ما يقع العطف والقلب فى بعض الحروف، والثانى ما يقع العطف فى جميع حروف الكلمة.

ترجمان البلاغة : المقلوب : واين عمل بدون قسمست يكى قسم از وى آنست كى قلب بر بعض حروف افتذ چون شاعر وعاشر... ديكر قسم از وى آنست كى بهمه كلمه افتذ چون درم ومرد،

وترجمته «المقلوب ينقسم إلى قسمين : الأول، ويقع القلب فيه على بعض الحروف مثل شاعر وعاشر .. والثانى، يقع القلب فيه على كل حروف الكلمة مثل «درم ومرد» أى درهم ورجل.

٦ - الكتابان فى غايتهما عبارة عن إعطاء فكرة بسيطة عن الفنون الأدبية، ورغم ذلك فإن «ترجمان البلاغة» بعيد جداً عن كونه تقليداً مبسطاً لمحاسن الكلام، وهذا بالرغم من اعتراف مؤلفه. ويُمكن تلخيص الاختلافات الواضحة التى تلفت النظر بينهما كالآتى :

أ) تقسيم الفصول أكثر وضوحاً فى «ترجمان البلاغة» منه فى : «محاسن الكلام».

ب) «محاسن الكلام» ذكر شواهد من القرآن والحديث أما «ترجمان البلاغة» فلا يستشهد بهما إلا فى بعض الفنون.[٤٣]

ج) ترتيب الفصول فى «محاسن الكلام» لا يشابه دائماً ترتيب الفصول فى «ترجمان البلاغة»، ولكى نوضح هذه الفكرة يكفى هذا الجدول للمقارنة بين الفصول من بدايتها :

محاسن الكلام	ترجمان البلاغة
الترصيع	الترصيع
الترصيع التجنيس	الترصيع التجنيس
الترصيع والتجنيس وصنعة أخرى	التجنيس المطلق
التجنيس	التجنيس المركب
أشتقاق اللفظ من اللفظ	التجنيس المردد
	التجنيس الزايد
المقلوب	المقلوب
	المقلوب المستوى
	المقلوب المجنح
	المقتضب
المضارعة	المضارعة
الأسجاع	المطابقة

وهناك اختلافات جوهرية وليست شكلية مثل :

أ) اختلافات فى أسماء الفنون : لم يقتف مؤلف «ترجمان البلاغة» أثر مؤلف «محاسن الكلام» فى تسمية بعض الفنون فمثلاً بينما يقال فى «محاسن الكلام» عن الفن الذى نسميه اليوم بالإشتقاق اللفظ من

اللفظ - يسمى فى «ترجمان البلاغة» بالمقتضب.

ب) الاختلاف فى شرح الفنون التى تحمل نفس الإسم : فمثلاً ما يسمى «المطابقة» يوجد فى كلا الكتابين ويشرح فى أشكال مختلفة، فبالنسبة للمرغينانى : المطابقة اسم لفنين أحدهما أن تكون الكلمات مطابقة للفظ فى صدر البيت وآخر فى عجزه، والذى ذكر بصفة خاصة على أنه فن «رد العجز على الصدر». وأما ثانيهما، فهو الفن الذى عرفه اللغوى المشهور وواضع علم العروض العربى الخليل بن أحمد بأنه استعمال كلمتين مختلفتين فى المعنى فى جملة واحدة .. إلخ. وعند الرادويانى فإن هذا الاصطلاح يدل على اثنين من الفنون أحدهما «التضاد» والآخر «رد العجز على الصدر» وهذا الأخير ستة أنواع. ومن هذا نرى أن كلا المؤلفين اتفقا على أن اصطلاح المطابقة يدل على فنين مختلفين إلا أن كلا منهما اتبع طريقاً غير زميله.

ج) الاختلاف فى عدد الفنون : فبينما يذكر الرادويانى ثلاثة وسبعين فناً، نجد أن كل الفنون التى ذكرها المرغينانى لا تزيد على ثلاثة وثلاثين فناً. وهذا الفارق قد يكون نتيجة لأن الفنون التى جمعت تحت اسم واحد في «محاسن الكلام» يشار إليها فى «ترجمان

البلاغـة» وكأن كل فن منها منفـصل عن الآخر، وذلك يعنى زيادة فى تقسيم الفصول.

د) الأمثلة فى «محاسن الكلام» باللغة العـربية، وفى «ترجمان البلاغة» بالفارسية كلها. وفى هذه الحالة فـإننا حين نقول أن محمد بن عمر الرادويانى اتخـذ من «مـحاسن الكلام» نموذجـاً له، فـإننى أريد أن أذكر أنه استفاد من التعريفـات أحياناً، وأنه اتخذ خط سير الشروح نموذجاً له فقط، وأن سجيته المتواضعة البسيطة التى تظهر نفسها فى كل مـوضع من الكتاب مـنعتـه من أن يدعى أنه أنتج كـتاباً أصليـاً رغم أنه على شىء من الحق فى ذلك - ولكن يمـكن تقدير أخـلاقه هذه حق قـدرها، فلنضع الرادويانى والوطواط مـوضع مقـارنة من هذه الناحية، فحينما كتب الوطواط كـتابه «حدائق السحر» فالبرغم من أنه أخذ كـل الأمثلة من الشعـراء السابقين الذين عـددناهم فى كتاب «ترجمان البلاغة» وأخذ قـسماً هاماً من التعريفات - إلا أنه رغم كل هذا أنكره تماماً، وادعى أنه كتب مؤلفـاً أكثر كمالاً وأبهى جمالاً، ولـم يتحدث قط عن الاقتباسات التى أخذها منه.

وعلى العكس من ذلك نجـد الرادويانى الذى كتب مؤلفـاً لأول مرة عن الفنون الأدبية باللغة الفارسـية، واحتوى فى نفس الوقت على فنون

أكثر من الكتاب الذى اتخذه نموذجاً له، وجمع أمثلة بمجهوده الشخصى، رغم كل هذا فهو لم يستطع أن يسكت عن ذكر الكتاب الذى سار على هديه ومنواله.(٤٤)

ومما سبق يتضح لنا مدى أهمية كتاب «ترجمان البلاغة» لمن يكتب عن البلاغة الفارسية ويؤرخ لها والبداية التى انطلق من بعدها كثير من الكتاب الفرس متبعين خطاه سائرين على هديه.

(ب) حدائق السحر فى دقائق الشعر لرشيد الدين الوطواط

مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن محمد بن عبدالجليل المعروف بالوطواط (٤٥)، الأديب الكاتب الشاعر، أصله من بلخ (٤٦)، ويقال أنه لقب بالعمرى لانتسابه إلى الخليفة عمر، كما أنهم لقبوه بالوطواط لضآلة جسمه وهزال بنيته.(٤٧)

وقد وردت عنه أخبار فى كتاب «تاريخ جهانكشاى» لعلاء الدين عطا ملك الجوينى، وهذا الكتاب مؤلف فى سنة ٦٥٨هـ، ويمكننا من تلك الأخبار أن نعرف بعض المعلومات عن رشيد الدين فمنها تاريخ ولادته الذى لم يحدده أحد ممكن كتبوا عنه، فقد كتب عطا ملك الجوينى عند ذكره لأحوال السلطان تكش بن ايل أرسلان خوارزمشاه

(٥٦٨ - ٥٨٩ هـ) أن «تكش ذهب إلى خوازم فى يوم الإثنين العشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وستين وخمسمائة، فجلس على سرير الملك، فأقبل الشعراء والبلغاء على تهنئته وأنشدوه خطبهم وأشعارهم وكان من بينهم رشيد الدين الوطواط الذى كان فى خدمة آبائه، جلبوه محمولاً فى محفة لأنه كان قد جاوز الثمانين من عمره .. إلخ» (٤٨)، ويستفاد من هذا البيان أن سن رشيد الدين فى سنة ٥٦٨ هـ قد ربا على الثمانين، وعلى هذا يكون تاريخ ولادته سابقاً على سنة ٤٨٧ هـ، ولما كنا نعرف أن عمره لم يصل قطعاً إلى التسعين فى هذه السنة، فمما لا شك فيه أنه لم يولد قبل سنة ٤٨٠ هـ، ويكون مولده بناء عل ذلك محصوراً بين سنتى ٤٨٠ و ٤٨٧ هـ (٤٩).

أما عن تاريخ وفاته فقد كان فى سنة ٥٧٣هـ بخوارزم كما ذكر ياقوت (٥٠) وهو أقرب الأشخاص عهداً بزمان رشيد الدين؛ فقد كتب مؤلفاته بعد موت رشيد الدين بما يقرب من خمسين سنة، وذكر ذلك أيضاً حاجى خليفة فى كتابه «كشف الظنون». (٥١)

والمعروف أن رشيد الدين التحق فى خوارزم بخدمة ملكها أبى المظفر علاء الدولة أتسز بن قطب الدين نحمد خوارزمشاه، وظل فى خدمة ملوك خوارزم إلى آخر عمره، وقد أهدى كتابه «حدائق السحر»

لأبى المظفر معارضاً به كتاب «ترجمان البلاغة»[٥٢] وكان قد تولى له رئاسة ديوان الرسائل طوال مدة حكمه على خوارزم فى الثلاثين سنة الواقعة بين سنتى ٥٢٢ و ٥٥١ هـ، وكان فى نفس الوقت يعتبر كاتبه الخاص وأكبر كتاب الدولة.[٥٣]

ويعتبر رشيد الدين من كبار كتّاب اللغتين العربية والفارسية وله أشعار كثيرة فيهما، ومثال ذلك ما أورده له ياقوت من أشعار عربية، وإشارته إلى ديوانه، وما أورده صاحب «لباب الألباب» من أشعار فارسية، كما أن له رسائل بالعربية أيضاً.[٥٤]

ويقول دولتشاه : «إن ديوان رشيد الدين يبلغ خمسة عشر ألفا من الأبيات أكثره مصنوع ومرصع وذو قافيتين وغير ذلك ... وقد قال قصيدة مرصعة برمتها وجعل بعض أبياتها مرصعة مع التجنيس، ثم ادعى أن أحداً قبله لم يسبقه إلى قول قصيدة مرصعة بتمامها لا فى العربية ولا فى الفارسية ...».[٥٥]

وكان رشيد الدين على صلة بمعاصريه من الفضلاء والشعراء أمثال : العلامة جار الله الزمخشرى، والشاعر أديب صابر، والشاعر أفضل الدين خاقانى الشروانى. وكانت بينه وبينهم مراسلات ومكاتبات.[٥٦]

أما عن مـؤلفاته فهى كـثيرة نذكر منهـا على سبيل المثـال : «غرايب الكلم فى رغـايب الحكم» و «عـقـود اللآلى وسعـود الليـالى» و «منيـة المتكلمين وغنية المتعلمين»، وغير ذلك.(٥٧)

ويرجح الأستاذ إقبال أنه ألف كتابه «حـدائق السحر» فيما بين سنتى ٥٥١ و ٥٦٨ هـ وهى الفـترة التى تولى فـيـها السلطان ايل ارسـلان بن اتسز الحكم بعـد موت ابيه، ذلك لأن رشـيد الدين عندما ذكـر أتسز فى مقدمـة كتابه دعا له بقـوله : نَوَّرَ اللّه مضجعـه» ثم أتبع ذلك بقوله : «إن عقود الفـضل كانت منتظمة على أيامه كمـا كانت أبنية الجهل متـهدمة» ويستفاد من ذلك أنه وإن كان أتسز هو الذى دل رشيد الدين على كتاب «ترجـمان البـلاغـة»، إلا أن رشيـد الدين لم يفـرغ من إتمام كتـابه الذى يعارض به هذا الكتاب إلا بعد موت أتسز وتولية ابنه ايل ارسلان.(٥٨)

ولا شك أن الوطواط قـد أطلع على الكثيـر من كتب الأدب العـربى ودواوين الشـعراء ونقل عنـهم شواهده وأمـثاله، كـمـولفات «نصـر بن الحسن المرغـينانى» و «بديع الزمان المهـمذانيش و «الصاحب بن عـباد» و «أبى منصـر الثـعـالـبى النيـسـابورى» و «أبى الطيب على بـن الحـسن الباخرزى» و «جاد اللّه الزمخشرى» ومن الشعراء «أبى فراس الحمدانى» و «أبى الطيب المتنبى» و «أبى عبادة الوليد بن عبيد البحترى» وغيرهم.

وفيما يختص بأدباء الفرس فقد استشهد بكلام العنصرى أكثر من غيره وكذلك ذكر أمثلة من شعر مسعود بن سعد، والمعزى، والفرخى، والرودكى، والدقيقى، والمنطقى، ومنوچهرى، وغيرهم، وقد ذكر كذلك جماعة من الشعراء ضاع ما نعرفه عنهم. ولم يرد لهم ذكر إلا فى كتابه مثل الأمير على يورى تكين، والانبارى، وخورشيدى.[٥٩]

ولا ندرى هل استعان الوطواط بكتب فارسية أخرى غير كتاب ترجمان البلاغة أم لا؟ فالواقع أنه لم يذكر لنا شيئاً فى هذا الموضوع، ويقول الأستاذ إقبال « ... من المحقق أن رشيد الدين اتبع فى تأليفه أسلوباً جديداً أخرجه عن أن يكون تقليداً لأى كتاب عربى أو فارسى، وقد ساعده على ذلك أنه كان مبرزاً عالى المكانة بين أدباء عصره، وأنه كان مسيطراً تمام السيطرة على الأدب واللغة والنظم والنثر فى كلتا اللغتين العربية والفارسية. فتأليف كتاب صغير مثل حدائق السحر لا يعتبر لديه أمراً شديد الخطر، بل هو يسير المشقة هين التكاليف، لا يكلفه أكثر من بضعة أسابيع قليلة لكى يتمه ويوجد له ما يتطلبه من أمثلة وشواهد»[٦٠] والواقع أن الأمر لم يكن بهذه السهولة لولا ما وجده الوطواط من كتب تناولت هذه المسائل وأولها كتاب «ترجمان البلاغة» الذى سار على هديه، كما أنه وجد أمامه العديد من الكتب العربية ككتاب «البديع» لابن المعتز

مثلاً، وقد اتبع منهجه فى التأليف وسنبين ذلك فيما بعد.

كما أن آثار اطلاعه على الكتب العربية واضحة جلية، فقد اطلع الوطواط على الكثير من كتب الأدب العربى، فى محاولة لتوسيع كتابه وجعله أفضل من كتاب سابقه الرادويانى، فأخذ ينقل العديد من الأمثلة والحكايات والتعريفات من الكتب العربية، ومثال ذلك ما نقله فى فصل الاشتقاق مستشهداً ببيتين من قول اليزيدى (٢٠٢ هـ) فى الأصمعى وهذان البيتان مذكوران فى كتاب «الصناعتين» فى باب التجنيس وهما :

وما أنت هل أنت إلا امرؤ ... إذا صحّ من باهله

وللباهلى على خبزه ... كتاب لآكله آكله[٦١]

ونراه يستشهد فى فصل الحذف بقصة واصل بن عطاء فيقول : «ومثاله من النثر العربى ما يروونه من أن واصل بن عطاء - وكان من رؤساء العدل والتوحيد - كان يمتاز بفصاحة عظيمة تشوبها لثغة فى نطق الراء، فاجتهد ألا ينطق بهذا الحرف، فسألوه يوماً كيف يمكنه أن يقول : اطرح رمحك. واركب فرسك، وكان غرضهم من ذلك أن يضطروه إلى نطق الراء التى تكثر فى هذه العبارة، ولكن واصلاً أجابهم بقوله : ألق قناتك واعل جوادك، فتعجب الجميع من إجابته ومن قدرته

على حذف الراء بحيث استطاع أن يجعل ذلك ملكة خاصة به». (٦٢)

ومن التعريفات التى نقلها وصرح بنقلها تعريف ابن المعتز للالتفات (٦٣)، وربما يكون قد نقله عن الرادويانـى أو نقله عن ابن المعتز مباشرة، كما ينقل رأياً للجاحظ على بيت امرئ القيس عندما يقول :

من القاصرات الطرف لو دبّ مُحْول   من الذر فوق الاتْب منها لآثـراء

وفى هذا البيت إغراق فى غاية الحسن، ويقول الجاحظ أن من يحاول الإغراق فى هذا المعنى، جميعهم عيال على امرئ القيس . (٦٤)

وقد أخذ الكتاب يقلدون حدائق السحر ويفسرونه، وقد ذكر صاحب «كشف الظنون» أن حسن بن محمد الملقب بشرف الرومى قد شرحه لا ويس شاه، ورتبه على قسمين : قسم فى اصطلاحات الشعراء المتقدمين مشتمل على خمسين باباً، وقسم فى تصرفات كلام المتأخرين مشتمل على تسعة أبواب وأتمه فى شهر رمضان سنة ٨٧٨هـ ثمان وسبعين وثمانمائة وسماه شقائق الحدائق». (٦٥)

وذكر الأستاذ إقبال بعض من قلدوه أو شرحوا كتابه وقسمهم إلى قسمين : الأول وهم من نظموا قصائد تحتوى على فنون البديع، والثانى وهم من ألفوا كتباً يقلدون فيها الكتاب. ونذكر من هؤلاء قوامى

الكنجوى (القرن السابع الهجرى) وقصيدته «بدائع الأسحار فى صنائع الأشعار»، وسلمان ساوجى (٧٠٩ - ٧٧٨هـ) وقصيدته «صرح ممرد»، وأهلى الشيرازى (٩٤٢ هـ) وقصيدته «مخزن المعانى» وشمس قيس الرازى وكتابه «المعجم فى معايير أشعار العجم»، وشرف الدين رامى التبريزى (القرن الثامن الهجرى) وكتابه «حدائق الحقائق»، وتاج الحلاوى (القرن الثامن الهجرى) وكتابه «دقائق الشعر» (٦٦)، وبرهان الدين المشهدى (٩١٩ هـ) وكتابه «بدايع الصنايع» و«تكميل الصناعة»، وغير هولاء (٦٧)، وسنتحدث عن بعضهم فى القسم التالى بالتفصيل.

وذكر الأستاذ إقبال أيضاً أن كتاب «حدائق السحر» قد طبع خمس مرات، مرتين على حدة، وثلاث مرات مضموماً إلى كتب أخرى. كما تحدث عن نسخه الخطية التى شاهدها. (٦٨)

ولا نستطيع أن نغفل تأثير كتاب الوطواط على بعض كتب البلاغة العربية وقد تنبه إلى ذلك بعض الباحثين مثل الدكتور أحمد مطلوب فى كتابه «البلاغة عند السكاكى» والدكتور شوقى ضيف فى كتابه «البلاغة تطور وتاريخ» وأشارا إلى ذلك. ومن هذه الكتب كتاب «نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز» للفخر الرازى، وكتاب «مفتاح العلوم» للسكاكى، ويحتمل أن يكون السكاكى قد نقل هذه التأثيرات عن

«نهاية الإعجاز» دون الرجوع إلى «حدائق السحر» فيكون التأثير بطريق غير مباشر، ومن الجائز أيضاً أنه اطلع فعلاً على كتاب «حدائق السحر» ونقل منه، وفى هذه الحالة يكون التأثير مباشراً. ونذكر هنا بعض الأمثلة التى نقلها الرازى عن الوطواط ومنها بعض أقسام التجنيس وبعض الأمثلة التى كان يستشهد بها الوطواط، ومن ذلك نقله عنه فى التجنيس الناقص وأخذه لمثاله (جُبَّةُ البُرْد جُنَّةَ البْرَد)(٦٩)، ومن التجنيس المطرف أخذ مثال (الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة)، وأخذ مثال (النبيذ بغير النغم غم، وبغير الدسم سم) فى التجنيس المكرر.(٧٠)

ونقل عنه فى الاشتقاق وأخذ مثال (فأقم وجهك للدين القيم)(٧١)، كما نقل عنه فى المقلوبات ومن الأمثلة التي أخذها الحديث الشريف (اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا) فى مقلوب البعض (٧٢)، ونقل مثال الوطواط فى مقلوب الكل :

حسامك منه للأحباب فتح ورمحك منه للأعداء حتف (٧٣)

كما نقل عنه فى المزدوج، والترصيع، ومراعاة النظير، والجمع، والتفريق والتقسيم وغير ذلك من الفنون.

وإذا قارنَّا بين كتابى الوطواط والرادويانى، فإننا نلاحظ أن الوطواط

قد اعتمد أساساً على كتاب الرادويانى، بل نقل الكثير من الأمثلة والشواهد منه خاصة الشواهد الشعرية، ثم هو بالإضافة إلى ذلك أخذ يقتبس منه بعض التعريفات ودليلنا على ذلك ما نورده من تشابه بين بعض تعريفات الوطواط وما ذكره سابقه من تعريفات، وذلك رغم أن الوطواط أراد أن يخرج كتاباً يكون أكثر جودة وكمالاً من سابقه. ومن هذه التعريفات المتشابهة ما يلى : -

ترجمان البلاغة	حدائق السحر
ص ٧ فى الترصيع .. وتفسيرو ى بذين جايگه آنست كى دبير وشاعر أندر نظم ونثر بخششهاى سخن خانه خانه آرند، چنان كى هردو كلمه برابر بوذ ومتفق بوزن ...	ص ٣ الترصيع ... اين صنعت جنان بوذ كى دبير ياشاعر بخشهاى سخن راخانه خانه كنذ وهر لفظى را در برابر لفظى آورز كى بوزن وحروف روى متفق باشند ....:
ص ٨ روذكى گويد	ص ٤ روذكى گويد
كس فرستاذ بسر انذر عيار مرا كى مكن ياذ بشعر انذر بسيار مرا	كس فرستاذ بسر انذر عيار مرا كى مكن ياذ بشعر انذر بسيار مرا

ترجمان البلاغة	حدائق السحر
ص ١٠ فى الترصيع التجنيس، وهر چندكى اين صنعت ترصيع كى ياذ كرديم بتن خويش جاهى بديع دارذ ويا يگهى فيع چون باوى عملى ديگر يارگردد چون تجنيس ياما نند وى پرمايه تربوذ، وبلند پايه ترشوذ، چنانك عنصى گويذ : فغان ازان دوسيه زلف وغمزگان كى همى بذين زره ببرى وبذان زره ببرى بيگرر گويد بيما رم وكارزار وتو درمانى بيم آرم كارزا وتو درمانى	ص ٥ الترصيع مع التجنيس، هرچند صنعت ترصيع بزرگست چون با أو عملى ديگر مثل تجنيس وغير آن يارشوذ بلند ترگردذ .. ومتكلفان گفته انذ بيمارم وكارزار وتو درمانى بيم آرم وكارزار وتو درمانى .. ديگر فغان من همه زان زلف وغمزگان كى همى بذين زره ببى وبذان زره ببرى
ص ٣١ فى المتاضد، پارسى متضاد آخشي بوذ. چون شاعر ودبير سخنى گويند اندر او اضداد گرد آيذ، هم چون شب وروزوگشاى وبند. وما نند اين	ص ٢٤ المتضاد، پارسى ضد آخشيج باشذ اين صنعت چنان باشذ كى دبير يا شاعر در نثر ونظم الفاظى آرذ كى ضد يكد يگر باشذ چون حار وبارد، نور

ترجمان البلاغة	حدائق السحر
عمل راد متضاد خوانند پارسى گويان، وأما دبيران وخليل زحمد اين اصل را مطابق خوانند	وظلمت، درشت ونرم، سياه وسبيد. واين را خليل احمد مطابقه خوانده است ..
ص ٣٢ قمرى گويذ	ص ٢٥ قمرى گويذ
بديذارست عدل ظلم پنهان	بديذارست عدل وظلم بنهان
مخالف اندك وناصح فراوان	مخالف اندك وناصح فراوان
ص ١١٣ فى المدور، ويكى ازبلاغتها آنست كى شاعر مر شعر را مدور كوذ چنان كى ازهر طرف كى آغاز كنى معنى دهذ بوزن ...	ص ٨٦ تدوير، پارس كردانيذن بوذ وشعرا مدور بيتيرا كويند كى ازهر طرف كى آغاز كنى بتوان خواندن ...

وبالإضافة إلى هذا فإننا نجد الوطواط يتفق مع الرادويانى فى مضمون بعض التعريفات دون اختلاف يُذكر، كما يتفق معه فى تقسيم بعض الفنون البديعية، ويتضح ذلك فى الأسجاع والمقلوبات، ويتفق معه أيضاً فى تعريف المتضاد، ونقل كلاهما أن الخليل بن أحمد يطلق عليه اسم المطابق. وذكر أن المتضاد فى الفارسية يسمى بـ «أخشيج». كما اتفقا فى تعريف الإستعارة، ومراعاة النظير، والمدح الموجه،

والمحتمل للضدين، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتنسيق الصفات، وإرسال المثل، وتجاهل العارف، والسؤال والجواب، والمربع، والمسمط، والمقطع، والموصل، والتضمين، والإغراق فى الصفة، والإستدراك، والكلام الجامع للموعظة والحكمة والشكوى، التعجب، وحسن التعليل، وحسن المطلع، وحسن التخلص، وحسن المقطع.

ومن المميزات التى امتاز بها الوطواط على سابقه أن تعريفاته أصبحت جامعة مانعة كما يقول أهل المنطق، وأخذت نوعاً من التحديد والدقة وهما ما افتقر لهما الرادويانى إلي حد ما، ولا ينفى هذا فضل السابق على اللاحق. كما نجد الوطواط وقد زاد على شرحه لبعض الفنون الكثير من الملاحظات القيمة، وبهذا صار كتابه أكثر إفادة لقارئه وأكثر تفصيلاً وإسهاباً ممن سبقه فى هذا المضمار، فمن ملاحظاته مثلاً ما ذكره فى باب التشبيهات عندما اعترض على الشعراء الذين يشبهون الأشياء بأشياء لا وجود لها فى الخيال إذ يقول : (.. فلا شك أنه لا يستحسن ما اتبعه جماعة من الشعراء وما زالوا يتبعونه من تشبيه شيء بشيء لا وجود له فى الخيال ولا فى الأعيان كما يشبهون الفحم المشتعل ببحر من المسك أمواجه من ذهب. فلا شك أنه لا وجود مطلقاً لبحر من مسك أمواجه من ذهب .. !! وقد أعجب أهل العصر

بتشبيهات الأزرقى وفتنوا بها افتتاناً ولكنهم نسوا، لما هم عليه من جهل، أن تشبيهاته جميعها من هذا النوع ولا يجوز اتباعها)[٧٤]. وهذا يبين لنا أن الوطواط لم يكتف بشرح فنون البديع دون تعليق أو نقد لبعض الشعراء والكتاب وإنتاجهم الأدبى.

•ونجده يقول عن بعض الأبيات التى استشهد بها فى فن المصحف : «والأبيات فى نفسها ليست لطيفة كل اللطف ولكنها كافية على سبيل المثال»[٧٥]، وهذا يبين روح النقد التى كانت تسيطر عليه فى كتابه. ومن ملاحظاته أيضاً قوله : «إن شعراء الفرس يراعون صنعة التقسيم دائماً ويحافظون عليها فى القصيدة برمتها»[٧٦]، وهذا صحيح ويُلاحظ فى معظم دواوين شعراء الفارسية أكثر مما يأتى فى الشعر العربى. ويبين لنا فى موضوع آخر أن أكثر أشعار العجم مردفة فيقول : «وليس للعرب رديف إلا ما يتكلفه المحدثون، وقد رأيت لفخر خوارزم الزمخشرى - رحمة اللّه عليه - قطعة من الشعر فى مدح ملك خوارزم علاء الدولة، وقد جعل رديفها على منوال العجم، لقبه الذى عرف به، ومطلع هذه القطعة هكذا :

الفضل حصله علاء الدولة   الجد أثله علاء الدولة [٧٧]

وأبدى رأيه أيضاً فى بعض الصناعات كقوله فى صنعة الإبداع : «وفى رأيى أن ذلك لا يدخل فى جملة الصناعات لأن كلام العقلاء والفضلاء، سواء المنظوم منه أو المنثور يجب أن يكون على هذا النسق، فإن لم يكن كذلك اعتبر من أحاديث العوام»(٧٨) وهذا رأى معقول إلى أبعد حد، فلو لم يكن كلام الأدباء على هذه الشاكلة من الصفات لما كان أدباً يفضل غيره من الكلام.

وفى حديثه عن سياقة الأعداد قال : «هذه الصنعة أكثر قبولاً وأشد أسراً إذا اقترنت بازدواج اللفظ، أو التجنيس أو التضاد أو أى صنعة أخرى من صناعات البلاغة»، وهذا يدل على أن المصنف ليس فقط مصنفاً لفنون البديع ولكنه ناقد وأديب يتذوق محاسن الكلام، وينقد عن خبرة فى استعمال هذه الفنون.

والوطواط يبين فى بعض المواضع أن هذا الفن أو ذاك له أكثر من مصطلح أو تسمية، ومثال ذلك ما ذكره من أن التجنيس التام يسمى عند الفرس باسم المتشابه وأن التجنيس المكرر يطلق عليه أيضاً اسم المزدوج، وأن التجنيس الزائد يسمى أيضاً بالمذيل، وأن تجنيس الخط هو نفسه المضارعة أو المشاكلة. كما ذكر أن البيت المردود عجزه على صدره

يسميه شعراء الفارسية بالمطابق أو المصدر، وذكر أن الإيهام يسمى أيضاً بالتخييل، وقد يبين لنا أيضاً أن التوشيح إذا جعل على شكل شجرة أسموه بالمشجر، وإذا كان على شكل حيوان أسموه بالمجسم أو المصور، وإذا كان على شكل دائرة أسموه بالمدور. كما تحدث عن الرديف وقال إن بعض أهل الصناعة يسمون الرديف بالحاجب ويطلقون على الشعر المردف كلمة المحجوب، وقال أيضاً إن صنعة مراعاة النظير تسمى أيضاً بالمتناسب، وأن المدح الموجه يسمى (دورويه) عند الفرس، وأن اللغز عندهم اسمه (چيستان). وأن الإعنات يسمونه أيضاً لزوم ما لا يلزم.

ومن الملاحظ أيضاً أن الوطواط قد اختلف مع سابقه في تسمية بعض الفنون وهذا أمر طبيعي، فإن بعض مصطلحات البلاغة العربية أيضاً لم تستقر ولم تثبت إلا في وقت متأخر، وكانت تختلف من كاتب إلى آخر، ومثال ذلك عند الفرس أن الوطواط أطلق اسم التجنيس التام على ما سماه الرادوياني بالتجنيس المطلق، وأطلق اسم التجنيس المكرر على ما سماه الرادوياني بالتجنيس المردد، وأطلق تجنيس الخط على ما سماه الرادوياني المضارعة، وأطلق لفظ الاشتقاق على ما سماه الرادوياني بالمقتضب أو الاقتضاب، وهو ما يعتبره البعض أيضاً نوعاً

الصدر على ما سماه الرادويانى بالمطابقة أو رد الصدر على الفخذ، وأطلق اسم تضمين المزدوج على ما سماه الرادويانى بإعانات القرينة، وأطلق اصطلاح حسن الطلب على ما سماه الرادويانى حسن السؤال وطلب المجاورة، وأطلق اسم تشبيه التفضيل على ما سماه الرادويانى بالتشبيه المرجوع عنه، وأطلق اسم تشبيه التسوية على ما سماه الرادويانى بالتشبيه المزدوج. وقد زاد الوطواط فى بعض الفروع والتقسيمات فنجده يقسم التجنيسات إلى سبعة أقسام هى : التام، والناقص، والزائد، والمركب، والمكرر، والمطرف، وتجنيس الخط. أما الرادويانى فقد قسمها إلى ثلاثة أقسام فقط هى : التجنيس المطلق، والمردد، والزائد. وهو بهذا قد أضاف شيئاً جديداً على ما قدمه سابقه، ونذكر أيضاً تقسيم الوطواط للملمع إذ يقول : «إن هذه الصنعة تكون بجعل أحد مصراعى البيت من الشعر عربياً والآخر فارسياً. كما يجوز فيها أن يكون أحد الأبيات عربياً والآخر فارسياً، أو أن يكون بيتان بالعربية ثم بيتان آخران بالفارسية، أو أن تجعل عشرة أبيات بالعربية ثم عشرة بالفارسية» (٨٠). ولكننا نجد الرادويانى يذكر نوعاً واحداً للملمع وهو ذكر بيت بالفارسية وبيت بالعربية على وزن وقافية واحدة وليس

على سبيل الترجمة.[٨١]

وتحدث الوطواط عن اعتراض الكلام قبل التمام وذكر له اصطلاحاً آخر هو الحشو، وكان الرادوياني قد ذكره تحت عنوان (فى اعتراض الكلام فى الكلام قبل التمام) وزاد الوطواط بأن قسم الحشو إلى ثلاثة أقسام : حشو قبيح، وحشو متوسط، وحشو مليح. ولم يذكر الرادوياني تقسيماً على هذا النحو، بل شرح لنا اعتراض الكلام دون أن يذكر شيئاً من هذا التقسيم أو يبين لنا أن إسمه حشو.

ويقسم الوطواط المُصَحَّف إلى نوعين : مضطرب ومنتظم، ولا نجد هذا عند الرادويانى. وبالإضافة إلى هذا فإن الوطواط قدم لنا بعض الفنون أو الصناعات التى لم يتحدث عنها الرادويانى ولم يشر إليها من قريب أو بعيد، كحديثه مثلاً عن الإيهام والمتلون، وذي القافيتين، والحذف، والرقطاء، والخيفاء، والمتزلزل. كما أنه ضمن خاتمة كتابه تعريفات لبعض الألفاظ والمصطلحات التى يستعملها أهل الأدب مثل : المدح، والهجو، والتشبيب، والمصرع، والخصى، والترجيع، والعكس، والتدوير، والمكرر، والمتنافر، والمتلائم، والارتجال، والروية، والجزالة، والسلاسة، والسهل الممتنع. وكان الرادويانى قد تحدث عن بعض هذه المضطلحات ضمن الصناعات المختلفة مثل : المكرر والمدور المتلائم.

وما أضافه الوطواط أيضاً ما نراه من ضرب الأمثلة الكثيرة على كل صنعة بديعية، ونلاحظ أن الأمثلة لم تكن شعراً فقط كما كان يفعل الرادوياني إنما زاد عليها أمثلة من النثر، وأضاف إلي كل هذا أمثلة من القرآن والحديث، فهو إذن يعرّف الفن البلاغى أولاً ثم يضرب له مثالاً من القرآن والحديث ثم يمثل له من النثر العربى، ثم من الشعر العربى، ثم من النثر الفارسى، ثم من الشعر الفارسى وهذا ما سار عليه فى معظم الفنون. كما أنه لا يكتفى بأمثلة غيره من الشعراء بل يضيف أمثلة عربية أو فارسية من تأليفه، وهو كما نعلم ضليع فى اللغتين العربية والفارسية.

وهو إذ يمثل بأمثلة من القرآن أو الحديث الشريف ينبهنا إلى أنه قد إطلع على الكتب العربية التى كانت تبحث فى إعجاز القرآن ومدى ما احتواه من بلاغة وفصاحة عجز العرب عن تقليدهما، وهو يشير فى بعض الأحيان إلى من ألف فى هذا الموضوع صراحة فنراه يقول فى صنعة التشبيه المطلق: «وقد ألف على بن عيسى الرمانى صاحب كتاب (الاشتقاق) كتاباً في (إعجاز القرآن)، أورد به جميع التشبيهات الموجودة فى القرآن ونبه على ما بها من دقائق الحسن وغوامض اللطف...»(٨٢). وقد تحدث عن مسألة فواصل القرآن عند حديثه عن

السجع فقال : «ويجب ملاحظة أنه لا يجوز تسمية أواخر آيات القرآن أسجاعاً بل يجب تسميتها فواصل كما قال عز جل : (كتاب فصّلت آياته)».[٨٣]

ومن أعجب الأمور أن الوطواط تحدث فى مقدمة كتابه عن ترجمان البلاغة وقال عنه : «... فلما راجعته وجدت أن أبيات الشواهد المسطرة فى هذا الكتاب غير مستطابة، وأنها جميعاً متكلفة النظم، قد جمعت بطريق التعسف، وأنها بالإضافة إلى ما بها من تكلف وتعسف، لا تخلو من أنواع الزلل وأصناف الخلل»، وهو بهذا يعيب على ما جاء به الرادويانى من شواهد بينما نجد الوطواط ينقل فى كتابه كثيراً من الأمثلة التى ذكرها الرادويانى فى كتابه فأخذ منه ما يقرب من أربعين بيتاً من الشعر استشهد بها فى معرض حديثه عن الصناعات المختلفة، ونضرب بعض الأمثلة على ذلك :

•يستشهد الوطواط ببيت للرودكى فى معرض حديثه عن الترصيع، وقد ذكر الرادويانى نفس البيت فى كتابه فى نفس الفن السابق، وهو : (٨٤)

كس فرستاذ بسر اندر عيار مرا   كى مكن ياذ اندر بسيار مرا

ومعناه : فأرسل إلينا سراً أحد الأشخاص يقول لنا لا تذكرنا فى الشعر كثيراً.

واستشهد الوطواط ببيت للدقيق وذكرره الرادويانى إلا أنه نسبه للرودكى، وهو :

بزلف كز وليكن بقد وقامت راست   بتن درست وليكن بچشمكان بيمار[85]

والمعنى : معوج بذؤابته ولكنه معتدل بقده وقامته، صحيح الجسد ولكنه سقيم العيون. ويستشهد الوطواط ببيت العنصرى فى حديثه عن تشبيه العكس، وقد ذكره الرادويانى، وهو :[86]

ز سُم ستوران وكرد سپاه   زمين ماه رو وزمينْ روى ماه

ومعناه : من حوافز الدوابْ وغبار الجيوش، أضحت الأرض كوجه القمر وأضحى وجه القمر كالأرض.

وهكذا تتوالى الأمثلة التى يستعيرها الوطواط من كتاب الرادويانى وهى كثيرة كما ذكرنا، وهذا رغم نقد الوطواط لكتاب الرادويانى واتهامه بالتكلف فى أمثلته وشواهده، إذ يقول فى مقدمة كتابه : «... وبعد يقول مؤلف هذا الكتاب الأمير الإمام رشيد الدين سعد الملك محمد بن محمد بن عبد الجليل الكاتب، إن الملك العادل خوارزم شاه أتسز نور الله

مضجعه استدعانى يوماً من أيام دولته التى انتظمت فيها عقود الفضل وانهدمت فيها أبنية الجهل، فأسرعت إلى تلبية أمره وأدركت سعادة خدمته، فأطلعنى على كتاب فى معرفة بدايع الشعر الفارسى يسمونه ترجمان البلاغة. فلما راجعته وجدت أن أبيات الشواهد المسطرة فى هذا الكتاب غير مستطابة، وأنها جميعها متكلفة النظم، قد جُمعت بطريق التعسف، وأنها بالإضافة إلى ما بها من تكلف وتعسف لا تخلو من أنواع الزلل وأصناف الخلل، فرأيت من الأوجب علىّ أنا الناشئ في هذه الأعتاب أن أكتب هذا الكتاب فى معرفة محاسن النظم والنثر فى كلتا اللغتين العربية والفارسية ...» [(٨٧)]. والغريب أن الوطواط نفسه كان أشد تكلفاً وتعسفاً فى بعض استشهاداته، إذ أننا نجده يحاول نظم بعض الأمثلة المتكلفة والمتصنعة ليدلل ويستشهد على الفن البديعى الذى يتحدث عنه، ولم يكن الرادويانى يصل إلى هذه الدرجة من التصنع.

ونلاحظ أيضاً اختلافاً فى رواية بعض الأبيات التى يستشهد بها الوطواط وبين نفس الأبيات عند الرادويانى، ومن ذلك قول ميرك فى المعمى : [(٨٨)]

ديدم دو هفته ماه وزديبا بر او سلب   از دور بنگر ستم وماندم در او عجب
گفتم چى نامى أى بت كفتا كريم را   بنگار باشكونه ونامم بكن طلب

ويذكره الوطواط هكذا :

ديدم دو فتـه مـاه زديبا بروسـلـب　　　كردم درونگاه بمانـدم ازو عجب

گفتم چه نامی ای بت گفتا كريم را　　　بنكار با شكونه وزونام من طلب

والمعنى :

رأيت بدراً كامـلاً وعليه ثوب من الديباج، فـتأملته وبقـيت أتعجب من حاله فـسألته، ما اسـمك أيها الصنم الجمـيل؟ فأجابنى اكـتب كلمة كريم مقلوبه واطلب منها اسمى.

ويقول الأستاذ إقبال : «ونحن لا نشك فى أن رشيد الدين قد إقتبس بعض شواهده مما وجـد في ترجمان البـلاغة، ولكن من دواعى الأسف أنه لم يصرح بذلك فى موضع واحد من مواضع كتابه».(٨٩)

(ج) المعجم فى معايير أشعار العجم لشمس قيس الرازى

يعتبر كـتاب (المعجم فى معايير أشعـار العجم) تأليف شمس الدين محمد بن قيس الرازى من أهم الكتب الفارسية وأندرها، لاحتوائه على دراسة قيـمة لفن العروض وعلم القافيـة ونقد الشعر، فهو كـتاب جامع لموضوعات مختلفة، ولم يسبق لأحد من الفرس أن وضع مثله. ويصفه المستشرق براون فيقول : «يمتاز الكتاب بأنه يتـضمن مجموعة كبيرة من أقـوال كثـير من شـعراء الفـرس المبكرين، وكـذلك أقوال جـماعـة من

شعـراء الفرس الذين ضاعت أخـبارهم كلية، وكـذلك عدداً كبـيراً من الفهلويات أى الأشعار المنظومة فى بعض اللهجات الفارسية».[٩٠]

وكان مـن الطريف أن قام على العناية بـنشره وتصـحيـحه أسـتاذان متـخصصان همـا المستشـرق الإنجليزى المشهور ادوارد براون والأسـتاذ العالم محمد بن عبدالوهاب القزوينى، وكانت طباعته على نفقة أوقاف (جب) فى سنة ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م.[٩١]

ويُفهم من مقـدمة الكتاب أن مؤلفه أهداه إلى حـاكم شيراز الأتابك أبى بكر بن سعد ابن زنكى (٦٢٨ - ٦٥٨هـ).[٩٢]

أما عن حياة المؤلف وأحواله فـإننا لا نجد أية معلومات عنه سواء فى كتب التاريخ أو كتب التذاكر، ولكن يستفاد مما ذكره فى كتابه ما يلى :

١- أنه كان من أهل الرى، إذ قال فى مقدمـته على الكتاب : «وتحركت سلسلة حب الوطن وتحـول داعية مـقام الرى - التى كانت مـسقط الرأس ومقطع السرة - من الباطن إلى الظاهر».[٩٣]

٢- أنه أقام مدداً طويلة فى ما وراء النهر وخـراسان وخوارزم، كما نراه فى سنة ٦٠١هـ فى بخارا.[٩٤]

٣- أنه غادر خوارزم وخراسان وقـدم إلى العراق فى ركاب السلطان علاء

علاء الدين محمد بن تكش خوارزشاه عندما انتشرت أصداء خروج المغول بعد ذلك، وقد وصف ذلك قائلاً : «تحركت رايات السلطان السعيد محمد بن تكش الخفاقة .. متجهة صوب العراق واستحكم التفكير فى خدمة ركابه، وذلك من كثرة الأراجيف المختلفة التى كانت تُسمع من الأفواه فى ذلك التاريخ على سبيل الهمهمة. فإن القلب لم يقر له قرار الإقامة فى خراسان لا سيما فى غيبة السلطان، وكان التخلف لا يُؤتى منه مصلحة».(٩٥)

٤- أنه هاجر من العراق إلى فارس بعد أن شاهد هجمات المغول وغاراتهم على مدن العراق والتحق بخدمة الأتابك سعد بن زنكى بن مودود وهو من الأتابكة السلغوريين فى فارس وكان يحكم من سنة ٥٩٩ إلى سنة ٦٢٨هـ (٩٦). وقد استقبله فى حفاوة وأكرمه غاية التكريم، وصار بعد فترة قصيرة من عداد حجابه وندمائه كما يقول هو نفسه : « ... وجعلنى فى مدة قليلة من المقربين إلى حضرته من نقصان الحالة، وقصور المراسم، وأوصلنى إلى مرتبة خواص الحجاب ووهبنى شرف حضور مجالسه ومنادمته»(٩٧)، وقد ظل المؤلف فى خدمة هذا السلطان حتى توفى سنة ٦٢٨هـ، وجلس ابنه الأتابك أبوبكر بن سعد بن زنكى، ولا نعلم شيئاً عن تاريخ وفاة المؤلف.

أما عن تاريخ تأليف هذا الكتاب فقد ذكر المؤلف أن أحد الفضلاء قد طلب منه تأليف كتاب فى معايير أشعار العرب والعجم وكان ذلك فى مرور سنة ٦١٤هـ[٩٨]، فأسرع بالكتابة فى هذا الموضوع، إلا أنه انتقل بعد ذلك كما أشرنا من خراسان إلي العراق، وفقدت مسودات هذا الكتاب مع سائر الكتب والأمتعة فى قلعة فوزين سنة٦١٧هـ أثناء حملة المغول عليها وقد هزم بها السلطان تكش، ثم عثر عليها أحد المزارعين بعد ذلك وأعادها إليه[٩٩]، وقد طلب منه فضلاء فارس فيما بعد أن يُتم كتابه، فأتمه في حدود سنة ٦٣٠هـ.[١٠٠]

ولما كان أصل الكتاب باللغة العربية وكان مطولاً وموضوعه العروض والقوافى فقط سواء فى الشعر العربى أو الشعر الفارسى، وقد أورد فيه أمثلة وشواهد من الشعر الفارسى لكل ما يتعلق باللغة الفارسية، فإن جماعة من الأدباء الفرس اعترضوا علي المصنف بأنه ذكر العروض والقوافى للغتين فى كتاب واحد، واستشهد بأشعار فارسية فى كتاب عربى، علاوة على أنه لن يفيد من لايعرف العربية، كما أن شواهده ستكون بلا فائدة لمن لا يفهم الفارسية. ولذلك طلبوا من المصنف أن يضم كل ما يتعلق باللغة الفارسية والأشعار الدورية التى اختارها فى مؤلف على حده. فتقبل المصنف اعتراضاتهم وقبل دعواهم، فضم كل ما يتعلق بالفارسية فى كتاب مستقل هو هذا الكتاب

الذى نتحدث عنه وسماه (المعجم فى معايير أشعار العجم)، ويبدو أنه جمع كل ما يتعلق باللغة العربية وضمنه كتاباً منفصلاً سماه (المعرب فى معايير أشعار العرب) وقد ذكر اسم الكتاب الأخير فى ثنايا كتابه الأول، إلا أنه فقد على ما يبدو.[١٠١]

وذكر المؤلف أنه صنف كتاباً آخر غير هذين الكتابين وهو كتاب (الكافى فى العروضين والقوافى)[١٠٢]. ومن الجائز كما تفيد التثنية هنا في كلمة (عروضين) أنه ألفه فى عروض وقوافى اللغتين العربية والفارسية. وكذلك ألف كتاب (حدائق المعجم) الذى نقل منه كثيراً المفتى محمد سعد الله آبادى فى كتابه (ميزان الأفكار فى شرح معيار الأشعار) وكذلك ذكره غياث الدين بن جمال الدين فى فصل العروض فى قاموسه النفيس (غياث اللغات) وعده من جملة مصادره.[١٠٣]

وقد ذكر الأستاذ مدرس رضوى الذى قام بتصحيح المعجم مرة أخرى وقارنه بنسخ خطية كثيرة له مجموعة من المؤلفين الذين نقلوا عن المعجم أو اختصروه مثل : عبدالقهار بن إسحق الملقب بالشريف الذى اختصر المعجم وسمى ذلك المختصر (ميزان الأوزان ولسان القلم فى شرح ألفاظ المعجم)، وعطاء الله محمود الحسينى المتوفى سنة٩١٩هـ وهو من فضلاء مشهد وصاحب مصنفات كثيرة فى العلوم الأدبية وقد

ذكر اسم المعجم فى مؤلفاته كثيراً خاصة فى كتابه (بدايع الصنايع فى علم العروض والقافية والبديع) وغيرها.[(١٠٤)]

وقد استطاع شمس الدين الرازى بما أوتى من علم وثقافة واطلاع واسع أن يجمع الكثير فى كتابه، فجعله بذلك يفضل الكثير من الكتب السابقة عليه أو اللاحقة به. وهو فى كتابه يقدم لنا الكثير من المعلومات فى بحث علمى دقيق.

وإذا حاولنا أن نلقى نظرة على محتويات كتابه فإننا نجده يقسم كتابه إلى قسمين رئيسيين : الأول فى فن العروض، والثانى فى معرفة القوافى وعلم الشعر ومن هذين القسمين نرى أنه حاول دراسة كل ما يخص الشعر من عروض وقواف ومحاسن وصناعات، فمن أراد أن يطلع على كتاب جامع فى هذه الأمور فإن المعجم يُعد من أهم الكتب الفارسية فيها، بل هو المرجع الأساسى والمصدر الرئيسى.

والقسم الأول فى كتابه مقسم إلى أربعة أبواب :

الباب الأول : وهو فى معنى العروض وشرح أركانه وذكر الأسماء والألقاب التى اصطلح عليها أهل هذا العلم فيه.

الباب الثانى : وهو فى ذكر الأجزاء والأوزان التى تحصل من تركيب أركان العروض.

الباب الثالث : فى ذكر التغييرات التى تلحق بتلك الأجزاء مع فروع الأفاعيل التى تتشعب منها.

الباب الرابع : فى ذكر البحور القديمة والحديثة وصور الدوائر وتقطيع الأبيات وفك أجزاء البحور من بعضها.

كما قسم القسم الثانى إلى ستة أبواب تحت عنوان (فى علم القافية ونقد الشعر)، فذكر فى أولها معنى الشعر والقافية وحدها وحقيقتها، وتحدث فى الثانى عن حروف القافية وألقابها واشتقاقاتها، وتناول فى الثالث حركات حروف القافية وأسمائها، وذكر فى الرابع حدود القافية وأصنافها، وتحدث فى الخامس عن عيوب القوافى والأصناف المكروهة التى تأتى فى الكلام المنظوم، وتناول في الأخير محاسن الشعر وبعض الصناعات المستحسنة التى تأتى فى النظم والنثر.

والواقع أنه لا يهمنا من هذا الكتاب فى بحثنا هذا سوى الباب السادس من القسم الثانى وهو الخاص بمحاسن الشعر. ولكننا إذا نظرنا إلى الأبواب السابقة فإننا لا نستطيع أن ننكر وجود التأثير العربى الكبير فى علمى العوض والقافية الفارسيين، ونجد شمس قيس نفسه عندما بدأ فى شرح العروض ومصطلحاته أخذ يبين أنها جاءت من اللغة العربية كالبيت والوتد والفاصلة والزحافات.(١٠٥)

ونجد أن نفس الأسماء والمصطلحات العربية موجودة فى بحور الشعر وأجزائها، ويحس الإنسان وهو يقرأ هذا القسم أنه أمام كتاب يشرح العروض العربى مع زيادة طفيفة فيما يخص العروض الفارسى، فهو مثلاً عندما يتحدث عن الزحافات يبين العربية منها المستعملة فى الفارسية وهى اثنان وعشرون زحافاً كما يبين الزحافات المستعملة فى الفارسية وليست فى العربية وهى ثلاثة عشر زحافاً، ونجد أن أسماء الأخيرة واصطلاحاتها عربية مثل: الجدع، والهتم، والسلخ، والطمس، والبتر وغيرها.(١٠٦)

وهذا دليل على تأثر العروض الفارسى بالعروض العربى ليس فقط فيما وجدوه لدى العرب بل أخذهم الاصطلاحات من اللغة العربية الواسعة الغنية بالمشتقات، وتطبيق هذه المصطلحات على ما اخترعوه من تفريعات جديدة فى هذه العلوم.

ونفهم من بعض ما ذكره شمس قيس أنه ينظر إلى علم العروض وغيره من علوم الشعر على أنها تستخدم أساساً كوسيلة لنقد النصوص الأدبية ومعرفة غثها من ثمينها، كما أن معرفتها تساعد على فهم القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وبيان ما بهما من إعجاز يفوق طاقة أعظم الأدباء وأبلغهم، وهذه النظرة كانت موجودة لدى علماء البلاغة العرب

الذين ألفوا الكتب البلاغية، فالكثير منها ليس أصلاً لهدف البلاغة والتصنيف فيها كعلم مستقل إنما كوسيلة لبيان ما بالقرآن الكريم من إعجاز فى فصاحته وبلاغته التى بهرت العرب وجعلتهم يؤمنون بأنه ليس من وضع البشر على الإطلاق. فشمس قيس يقول عند حديثه عن أهمية معرفة العروض، إن الإنسان لا يحتاج إليه لنظم الشعر فقط بل الغرض الأساسى منه هو معرفة أجناس الشعر والدراية بالصحيح والمكسور من الأوزان، فليس قول الشعر واجباً بأي حال، لكن معرفة الشعر المنظوم والأوزان المقبولة لازم لشرف النفس، والعمل بتفسير كلام البارى عز شأنه، ومعانى أخبار الرسول صلوات الله عليه وآله. وقد كانت الأشعار الجاهلية وسيلة مهمة لأئمة النحو وأصحاب الحديث فى حل مشكلات القرآن وكشف معضلات الحديث، ثم يروى عن ابن عباس رضى الله عنه قوله : «إذا قرأتم القرآن ولا تدرون ما عربيته فابتغوه فى الشعر فإن الشعر ديوان العرب».(١٠٧)

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى ما نراه فيه من مقارنات كثيرة بين ما فى العربية والفارسية وما أخذته الثانية عن الأولى مما يخص فنون الشعر المختلفة، فمثلاً نجده يقول: «إن جملة زحافات أشعار العجم خمسة وثلاثون، اثنان وعشرون منها من زحافات العرب والثلاثة عشر الباقية

من وضع عروضيي العجم، وكما أن الخليل رحمه الله قد وضع لكل واحد من زحافات أشعار العرب لقبا ... فكذلك وضع العجم أسماء لزحافاتهم، فالزحافات الاثنان والعشرون فى الشعر العربى والتى تستعمل فى أشعار العجم هى : القبض، والقص، والحذف، والخبن، والكف، والشكل، والخزم، والخرب، والشتر، والقطع، والتشعيث، والطى، والقوف، والكشف، والصلم، والمعاقبة، الصدر، والعجز، والطرفان، والمراقبة، والإسباغ، والإذالة. والزحافات الثلاثة عشر التى وضعها عروضيو العجم هى لك الجدع، والهتم، والجحف، والتخنيق، والسلخ، والطمس، والجب، والزلل، والنحر، والرفع، والربع، والبتر، والحذذ. وقد أضاف بعض المتكلفين ثلاثة زحافات أخرى، سنبين وجه فسادها فى مكانه وهى : التوسيع، والتضغيت والتطويل ...»(١٠٨).

وهو يبدى رأيه فى كل صيغرة وكبيرة مما يقدمه فى كتابه، ويبين ما يفيد الشاعر وما يسيء إلى شعره فهو فى بحور الشعر مثلاً يبدى رأيه فيها ويبين ما يناسب الشعر الفارسى منها وما لا يناسبه، ويكرر دائماً أن البحر الطويل لا يناسب الشعر الفارسى كما أن المديد والبسيط لهما ثقل فى أشعار العجم، مع ذكره للأسباب التى دعته إلى هذه الآراء.(١٠٩)

لم يكتف شمس قيس بما نقله عمن سبقوه من كتاب الفرس فى محاسن الشعر بل أضاف إليهم الكثير من الفنون والإصطلاحات وهى حوالى واحد وعشرون فناً تقريباً كالآتى : التفويف، والإيغال، والإلغاء، والتكميل، والتمثيل، والإرداف، والتوسيم، والتسهيم، والإستطراد، والتفريع، والتلميح، والإيجاز، والمساواة، والبسط، والتقابل، والمزدوج، والمقفى، والغزل، والرباعى، وبيت القصيدة، والسرقات، لم يتحدث الوطواط أو الرادويانى عن تلك الفنون ولم يذكر شيئاً عنها جميعاً إلا واحداً هو المطابقة فقد ذكر هذا الفن الرادويانى دون الوطواط وضرب له أمثلة من الشعر، ولكننا نلاحظ أن شمس قيس لم يأخذ شيئاً من أمثلة الرادويانى على هذا الفن، ويبدو أنه لم يطلع على كتاب (ترجمان البلاغة)، وما نقله من أمثلة منه ربما أخذها أصلاً من حدائق السحر. وقد إتجه شمس قيس فى نفس الاتجاه الذى سلكه الرادويانى من قبل وهو الإستشهاد بأمثلة شعرية غالباً، وذكر بعض الأمثلة النثرية القليلة وذلك رغم أنه ذكر أن تلك الصناعات المستحسنة تستخدم فى النثر والنظم، ولكن لا يؤخذ عليه ذلك فإن كتابه موضوع أصلاً فى معايير أشعار العجم.

ولا يمكننا أن ننكر أن شمس قيس قد تأثر فى كتابه هذا بالوطواط، فقد نقل كثيراً من الشاهد من حدائق السحر دون أن يصرح بذلك، فنقل ما يقرب من سبعة وثلاثين شاهداً عنه، إلا أنه أخذ يضيف أحياناً بعض الأبيات إلى ما ذكره الوطواط، كما أنه استشهد بأشعار للوطواط نفسه ومثال ذلك قصيدة مرصعة نقل منها عشرة أبيات ومطلعها :

أى منور بتو نجوم جلال   وى مقرر بتو رسوم كمال[(١١٠)]

ومعناه :

يا من تنير بك نجوم الجلال، وتُقَرَّرُ بك رسوم الكمال.

وذكر اسم رشيد الدين وكتابه فى مقدمته، ولكنه لم يذكر أنه استفاد منه أو أخذ عنه، وقد نقل مضمون بعض التعريفات التى ذكرها الوطواط، ومثال ذلك ما ذكره فى فن التشبيه فإننا نجده مطابقاً لما ذكره الوطواط.[(١١١)]

ويختلف شمس قيس مع سابقيه فى بعض المصطلحات والفنون، وهو فى اختلافه هذا يحاول التجديد والخروج عن الحدود التى وضعها من سبقه، ويظهر من ذلك سعة اطلاعه على كتب البلاغة المختلفة وتعمقه فى البحث والدراسة وأول هذه الاختلافات أن شمس قيس

أطلق اصطلاح (الموازنة) على ما سماه الوطواط (بالسجع المتوازن)، واعتبر الموازنة نوعاً من الترصيع إلا أن أواخر الألفاظ فيه غير متفقة، فمثلاً الآية ﴿إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم﴾، أما الآية التالية فتختلف فيها أواخر الكلمات ﴿وأتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم﴾، وقد استشهد شمس قيس بالآية الثانية فى باب الموازنة، إلا أن الوطواط قد استشهد بنفس هذه الآية فى باب السجع المتوازن وشرح هذا الفن بقوله : «وليس هذا النوع مختصاً بالنثر وحده بل يمكن أن يرد في الشعر أيضاً ... ويكون بأن ترد فى أول الجملتين أو آخرهما، أو فى أول المصراعين أو آخرهما، كلمات تتفق مع بعضها من حيث الوزن ولكنها تختلف فى حروف الروى. ومثاله من كلام اللّه : ﴿وآتيناهما الكتاب ...﴾، ففى مقابل ﴿أتيناهما﴾ نجد ﴿هديناهما﴾، وفى مقابل ﴿كتاب﴾ نجد ﴿صراط﴾، وكذلك مقابل ﴿المستبين﴾ نجد ﴿المستقيم﴾. وكل كلمة من هذه الكلمات موافقة من حيث الوزن لنظيرتها».(١١٢)

واتفق صاحب المعجم مع الوطواط فى تقسمه للتجنيس إلا أنه أطلق على التجنيس المكرر اسم التجنيس المزدوج، وقد نبهنا الوطواط من قبل إلى هذه التسمية وقال أنه يسمى أيضاً بالمردد.(١٣٣)

وأطلق صاحب المعجم اصطلاح (لتشبيه الصريح) على ما سماه الوطواط بـ (التشبيه المطلق). وتحدث عن (التبيين والتفسير) إلا أنه لم يقسمه إلى (تفسير جلى) و (تفسير خفى) كما فعل الوطواط، أو إلى (تفهسير خفى) و(تفسير ظاهر) كما فعل الرادويانى، بل جعله نوعاً واحداً وذكر أمثلة كثيرة عليه.

ونجد صاحب المعجم يطلق اصطلاح (المطابقة) على ما أسماه الوطواط بـ (المتضاد)، وقد عرفه شمس قيس قائلاً : «هو فى أصل اللغة مطابقة الشىء بمثله، وطباق الخيل هو أن يضع الفرس قدميه مكان يديه عند الجرى، وفى صنعة الكلام يطلقون على مقابلة الأشياء المتضادة..»، ومثال ذلك قول مسعود سعد :

أى سرد وكرم دهر كشيذه شيرين وتلخ چرخ جشيذه

والمعنى : يامن احتملت برد الدهر وحره، وتذوقت حلو الفلك ومره.

ونرى أن اصطلاح المطابقة كان يستعمل قبل الوطواط بمعنى آخر، فنجد الرادويانى يستعمله بمعنى المتضاد، ويعنى به أيضاً رد العجز على الصدر.(١١٤)

ومن المميزات التى امتاز بها كتاب المعجم على غيره من الكتب السابقة وخاصة حدائق السحر ما يلى :

أ) أن المعجم احتوى على فنون الشعر الثلاثة وهى العروض والقوافى ونقد الشعر، بينما نجد كتاباً كحدائق السحر مثلاً يحتوى على القسم الأخير فقط وكذلك كتاب الرادويانى.

ب) أن شمس قيس فى استشهاده بالشعر على الصناعات المختلفة أورد قصائد طويلة وغزليات كاملة، بينما نجد الوطواط وغيره من الكتاب يستشهدون بأبيات قليلة هى فى الغالب لا تزيد على بيت أو اثنين من القصيدة أو القطعة، ومن هنا يتبين لنا مدى قيمة هذا الكتاب خاصة وأن بعض هذه القصائد لم تذكر إلا فى كتابه فقط كقصيدة منوچهرى الدامغانى التى ذكرها فى فصل الأشعار المتكلفة ومطلعها :

غرابا مزن بيشتر زين نعيقا   كه مهجور كردى مرا از عشيقا

ومعناه :

أيها الغراب لا تنح أكثر من هذا، فقد جعلت المعشوق يهجرنى

وهذه القصيدة لم تذكر فى ديوان منوچهرى ولكن مصحح الديوان

- الأستاذ دبير سياقى - نقلها عن المعجم وضمها إلى الديوان.

ج) يمتاز أيضاً لما به من نقد للنصوص التى أوردها مما جعله يتفوق على غيره من المصنفين فى هذا الباب، فهو لم يكن مصنفاً لفنون الشعر المختلفة فحسب بل كان ناقداً لما يذكره من نصوص أدبية، فهو عندما يتحدث عن محاسن الشعر ويمثل لها بأشعار مختلفة نجده يذكر أحيانا بعض النماذج التى تخرج عن القواعد المتبعة ويحاول أن ينقد ما بها من العيوب، فمثلاً نجده يتحدث عن (حسن المطلع) ويذكر أمثلة كثيرة عليه ثم يذكر مثالاً لمطلع به عيب وهو :

اى سر افراز عالم اى منصور   وى بصدر تو اختلاف صدور

والمعنى :

يا فخر العالم يا منصور ، يا من بصدرك تختلف الصدور.

ثم يعلق على هذا البيت قائلاً : «لقد نادى الممدوح باسمه فى صيغة النداء، ولا يجوز أن يقال للممدوح يا فلان إلا فى الأشياء التى يمدح بها مثل يا سلطان العالم وياصدر الدنيا وأمثال ذلك».(١١٥)

د) ذكر لأول مرة تعريفاً للبلاغة والفصاحة فى الكتب الفارسية، ولا

يوجد فى الكتب السابقة عليه أى تعريف شامل للبلاغة كما وجدنا فى المعجم وقد قدم لنا هذا التعريف عند حديثه عن صنعة التلميح فقال : «.... ومعنى البلاغة بيان ما فى الضمير بلفظ قليل دون إخلال بالمعنى كله، وألا يتجاوز فيما يحتاجُ إليه إلى بسط الكلام عند قدر الحاجة، وألا يصل إلى حد الملل، وقد قال أهل النقد : إن البلاغة هى جزالة اللفظ مع صحة المعنى، والفصاحة هى خلو الكلام من الصعوبة، والبلاغة تظهر فى ثلاثة أنواع من القول هى : الإيجاز، والمساواة، والبسط، فالإيجاز هو مساواة اللفظ للمعنى، والبسط هو شرح المعنى بألفاظ كثيرة وتأكده بعدة وجوه

فالاستعارات والتشبيهات كلها من باب الإيجاز وأما الإيغال، والتكميل، والتبيين والتفسي، والتقسيم، والاستطراد، والتفريع، وكل ما يستعمل من هذه الصناعات فى زيادة الإيضاح ورفع الأخطاء هو من قبيل بسط الكلام وكما قلنا فإنه يجب الاحتراز من الإخلال بالمعنى فى الإيجاز والمساواة وكذلك يجب اجتناب الإطناب بدون فائدة واستعمال الألفاظ الزائدة عن الحاجة..»(١١٦).

هـ) أن المعجم قد تحدث بالتفصيل فى كثير من المسائل ولم يترك صغيرة

ولا كبيرة دون أن يناقشها، بينما ذكر غيره الفنون المختلفة فى إيجاز واختصار شديدين ولذلك كان المعجم أكثر إفادة لقارئه. ومثال ذلك تعريفه للمجاز والحقيقة وحديثه عن الإستعارة فيقول:

«إنها نوع من المجاز، والمجاز ضد الحقيقة، والحقيقة هى إطلاق اللفظ على معنى كان واضع اللغة قد وضعه له أصلاً .. والمجاز هو تجاوز الحقيقة وإطلاق اللفظ على معنى آخر لم يوضع له أصلاً، ولكن له وجه علاقة مع حقيقة ذلك اللفظ حتى يمكن بهذا التناسب فهم مراد المتكلم من ذلك الإطلاق، كما نقول ليس لفلان يد عليك وليس له قدم فى حبك، يعنى ليس له قدرة أو فضل عليك ولا يثبت على حبك، ولم توضع اليد والقدم فى الأصل بمعنى القدرة والفضل والثبات والدوام، إلا أن وجود ملازمة بين اليد والقدرة وبين القدم والثبات، تفيد من الاستعمال بقرينة تركيب الألفاظ معنى القدرة والثبات. والمجاز على أنواع ومنه ما يسمى بالاستعارة وهى إطلاق اسم على شىء يشابه حقيقة ذلك الاسم فى صفة مشتركة مثل تشبيه الرجل الشجاع بالأسد بسبب الشجاعة والإقدام المشترك بينهما وتسمية الجاهل بالحمار لاشتراكهما فى البلادة، وهذه الصفة مستعملة مع سائر المجازات الأخرى فى كل اللغات،

ومتداولة فى نظم ونثر أجناس الناس. وكلما كانت الاستعارات مطبوعة وجذابة وتأتى مشابهة للمعنى الأصلى وتشاربه فى الاستعمال فإنها تزيد عذوبة الكلام ورونق القول، وتكون دليلاً على بلاغة المرء وفصاحته، وتكون أبلغ فى دلالة المعنى المقصود عن استعمال الحقيقة مثلما تقول : لقد قصّر السلطان يد الظلمة عن أموال المسلمين، وقطع قدم الكفر عن بلاد الإسلام. وهى فى المبالغة أكثر من أن تقول : إنه منع تصرف الظلمة فى أموال المسلمين ومنع منجىء الكفرة عن بلاد الإسلام». (١١٧)

وقد تحدث الوطواط عن الاستعارة إلا أنه كان حديثاً مختصراً لا يصل إلى تفصيل صاحب المعجم. ومن تفصيله أيضاً ما ذكره عن الكناية أثناء حديثه عن (الإرداف) وقد عده من جملة الكنايات، وشرح الكناية بقوله : «... والكناية هى أنه عندما يريد المتكلم أن يقول معنى من المعانى فإنه يأتى بمعنى آخر من توابع ولوازم المعنى الأول ويشير بهذا إلى ذلك المعنى، وهذه الصنعة مستعملة فى كل اللغات، ومتداولة لدى الخاص والعام فكما يقول العوام : لم ير أحد باب قصر فلان مغلقاً وأن إناءه لا ينزل عن الموقد، بمعنى أن الناس يذهبون كثيراً لخدمته، وأنه يقيم ولائم كثيرة، لأن عدم

إغلاق باب القصر من لوازم كثرة التردد واختلاف الناس إليه وعدم إنزال القدر عن الموقد من لوازم كثرة الطعام...»[(١١٨)]

و) تناول فى نهاية كتابه موضوع أجناس الشعر المتداولة والشائعة وتحدث فيه عن : النسيب والتشبيب، والمحدود والمقتضب، والغزل، والرباعى، والمزدوج، والمصرع والمقفى، والمجمع، وبيت القصيدة، واللغز والمعمى، والمتكلف والمطبوع. وكان الوطواط قد ذكر فى نهاية كتابه بعض الإصطلاحات الشائعة لدى الأدباء، إلا أنه لم يفصل القول فيها كما فعل صاحب المعجم، فقد تحدث عنها بشىء من التفصيل المفيد. كما أنه أضاف فصلاً فى السرقات وجعلها أربعة أقسام هى : الانتحال، والسلخ، والإلمام، والنقل. وكان بذلك أول من تحدث عن السرقات فى الكتب الفارسية.

الهوامش

١- المعجم فى معايير أشعار العجم ص ٦٨ (تهران ١٣٣٨).

٢- چهار مقاله ص ١٣ (تهران - چاپ دوم ١٣٤١هـ. ش).

٣- مجلة الدراسات الأدبية - االسنة الثالثة - العدد الألو ١٩٦١ ص ٩٥ (ترجمة مقدمة كتاب «كنج سخن» للدكتور ذبيح اللّه صفا تحت عنوان تطور الشعر الفارسى قبل الإسلام وبعده).

٤- چهار مقاله ص ٣٣.

٥- تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى للسعدى ص ٢٦ (مصر ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م).

٦- ثارخي الأدب فى إيران من الفردوسى للسعدى ص ٢٧.

٧- ترجمان البلاغة ص ٢٧ (استانبول ١٩٤٩م)

٨- المرجع السابق ص ٢٩.

٩- ترجمان البلاغة ص ٨.

١٠- المرجع السابق ص ٢٢.

١١- ترجمان البلاغة ص ٣٤.

١٢- المرجع السابق ص ٥٢.

١٣- ترجمان البلاغة ص ٧٦.

١٤- المرجع السابق ص ٧٨.

١٥- ترجمان البلاغة ص ٩٤.

١٦- المرجع السابق ص ٦٣.

١٧- المعجم فى معايير أشعار العجم ص ٤١٢.

١٨- حدائق السحر فى دقائق الشعر ص نمط مقدمة إقبال (تهران ١٢٠٨هـ. ش).

١٩- تاريخ أدبيات در إيران - دكتر ذبيح اللّه صفا ج١ ص ٦٠٧ (تهران ١٣٣٨ هـ. ش).

٢٠- مقدمة مؤلف ترجمان البلاغة ص ٢.

٢١- تاريخ أدبيات در إيران ج ١ ص ٤٣٧.

٢٢- لباب الألباب لمحمد عوفى ج ٢ ص ٥٥ (ليدن ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م).

٢٣- چهار مقاله ص ٣٠، وقد ذكر شمس قيس فى كتابه المعجم ص ١٨٩ كتاب «غاية العروضيين» عند حديثه عن بحور لاشعر ودوائره وذكر أنه لبهرامى السرخسى.

٢٤- چهار مقاله ص ١٤.

٢٥- چهار مقاله ص ١٨ الحكاية الرابعة.

٢٦- چهار مقاله ص ٢٦.

٢٧- نقد الشعر ص ١٠١.

٢٨- مقدمة أحمد آتش على ترجمان البلاغة باللغة الفارسية ص ط.

٢٩- مقدمة ترجمان البلاغة الفارسية ص ط.

٣٠- معجم الأدباء ج ١٩ ص ٢٩.

٣١- كشف الظنون ج ١ ص ٣٩٦ (استنبول ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م).

٣٢- تاريخ أدبيات إيران - جلد دوم ص ٩١٨ (تهران ١٣٣٩ هـ. ش).

٣٣- تذكرة لاشعراء ص ٥٧ ترجمته للفرخي (ليدن ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠م).

٣٤- تذكرة الشعراء ص ٩.

٣٥- مقدمة ترجمان البلاغة ص ٢.

٣٦- مقدمة رقبال على حدائق السحر ص ٧١ (الترجمة العربية).

٣٧- ترجمان البلاغة ص ١١٥، ١١٧.

٣٨- مقدمة ترجمان البلاغة ص ٣.

٣٩- يقول مؤلف هذا الكتاب عنه في مقدمته ص ٤ (سميته كتاب الزهرة استودعته مائة باب ضمنت كل باب مائة بيت أذكر في

خمسين باباً منها جهات الهوى وأحكامه وتصاريفه وأحواله وأذكر في الخمسين الثانية أفانين الشعر الباقية ...) ومؤلفه هو أبو بكر بن أبي سليمان داود الأصفهاني، وقد ألفه سنة ٢٩٧هـ - ٩٠٩ م. وطبعه في بيروت وإعتنى بنشره الدكتور لويس نيكل البوهيمي من المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو سنة ١٩٣٢ م - ١٣٥١هـ.

٤٠- ترجمان ابلاغة ص ٣١.

٤١- المرجع السابق ص ٨٠.

٤٢- فرغانه مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان. معجم البلدان ج ٦ ص ٣٦٤.

٤٣- إستشهد الرادوياني بآيات قرآنية في بعض الفنون التي تعتمد على ذلك كتقريب الأمثال بالآيات ومعنى الآيات بالأبيات.

٤٤- إلى هنا نتهي ما ذكره الأستاذ أحمد آتش في مقارنة الكتابين في المقدمة التركية من ص ٣٤ إلى ٤٢.

٤٥- معجم الأدباء لياقوت ج ١٩ ص ٢٩.

٤٦- لباب الألباب ج ٩ ص٨٠.

٤٧- تذكرة الشعراء ص ٨٧.

٤٨- تاريخ جهانكشاى ج٢ ص ١٨ (ليدن ١٣٢٩هـ - ١٩١١م).
٤٩- مقدمة إقبال على حدائق السحر ص ٤ من الترجمة العبية.
٥٠- معجم الأدباء ج ١٩ ص ٢٩.
٥١- كشف الظنون ج ١ ص ٦٣٤.
٥٢- معجم الأدباء ص ١٩ ص ٢٩.
٥٣- مقدمة إقبال على حدائق السحر ص ٥ من الترجمة العبية.
٥٤- نشرت هذه الرسائل فى مصر سنة ١٣١٥هـ بمطبعة المعارف.
٥٥- تذكرة الشعراء ص ٨٩.
٥٦- مقدمة إقبال على حدائق السحر ص ٢٦ من الترجمة العربية.
٥٧- المرجع السابق ص ٦٠.
٥٨- مقدمة إقبال على حدائق السحر ص ٧٢ من الترجمة العبية.
٥٩- المرجع السابق ص ٧١.
٦٠- مقدمة إقبال على حدائق السحر ص ٧٠ الترجمة العربية.
٦١- حدائق السحر ص ١٠٤ الترجمة العبية.
٦٢- المرجع السابق ص ١٦٦.
٦٣- حدائق السحر ص ١٣٤ الترجمة العربية.
٦٤- حدائق السحر ص ٧٣.

٦٥- كشف الظنون ج ١ ص ٦٣٤.

٦٦- ورد اسم مؤلف هذا الكتاب بإختلاف بسيط فى مخطوطه لكتابه «دقائق الشعر» بمكتبة السليمانية باستنبول تحت رقم «٢٥٨٨ أسعد أفندى»، فقد جاء فى مقدمة الكتاب صفحة ٣ ب أن (مولف هذا التصنيف ومقرر هذا التأليف هو العبد الضعيف النحيف على بن محمد المشهورر بتاج الحلانى أجمل اللّه حلواه وأحسن أحواله ..). وواضح تأثره بكتابى «حدائق السحر» والمعجم فى معايير أشعار العجم. وتاريخ كتابة هذه المخطوطة هو يوم الأحد الثامن والعشرين من شهر ذى القعدة لسنة ثمان وستين وتسعمائة.

٦٧- حدائق السحر ٧٤ - ٧٩ الترجمة العربية.

٦٨- مقدمة إقبال ص ٧٩، ٨٠ الترجمة العرربية.

٦٩- ترجمة حدائق السحر ص ٩٥ ونهاية الإعجاز ص ٢٨ (مطبعة المؤيد بمصر ١٣١٧ هـ).

٧٠- ترجمة حدائق السحر ص ٩٨ ونهاية الإيجاز ص ٢٨.

٧١- ترجمة حدائق السحر ص ١٠٣ ونهاية الإيجاز ص ٣٠.

٧٢- ترجمة حدائق السحر ص ١٠٨ (مصر ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥م) ونهاية الإيجاز ص ٣٣.

٧٣- ترجمة حدائق السحر ص ١٠٨ ونهاية الإيجاز ص ٣٣.

٧٤- الترجمة العبية لحدائق السحر ص ١٣٨، ١٣٩.

٧٥- المرجع السابق ص ١٧٠.

٧٦- الترجمة العربية لحدائق السحر ص ١٧٩.

٧٧- المرجع السابق ص ١٨٤.

٧٨- الإبداع وهو «عبارة عن نظم المعانى البديعية فى ألفاظ حسنة بعيدة عن التكلف» أنظر حدائق السحر - الترجمة العبية ص ١٨٨.

٧٩- الترجمة العربية لحدائق السحر ص ١٠٣.

٨٠- الترجمة العربية لحدائق السحر ص ١٦٤.

٨١- ترجمان البلاغة ص ١٠٧.

٨٢- الترجمة العربية لحدائق السحر ص ١٣٩.

٨٣- المرجع السابق ص ١٠٦.

٨٤- الترجمة العربية لحدائق السحر ص ٩٢ وترجمان البلاغة ص ٨.

٨٥- الترجمة العربية لحدائق السحر ص ١٣٤، وترجمان البلاغة ص ٨٢.

٨٦- الترجمة العبرية لحدائق السحر ص ١٤٦، وترجمان البلاغة ص ٥٣.

٨٧- أنظر ص ٨٩ من الترجمة العربية لحدائق السحر.

٨٨- ترجمان البلاغة ص ٩٩ والترجمة العربية لحدائق السحر ص ١٧٢.

٨٩- الترجمة العبرية لحدائق السحر ص ٧٠.

٩٠- تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي للسعدي ص ٦٢١.

٩١- المرجع السابق نفس الصحيفة.

٩٢- مقدمة المعجم ص ١١، وأنظر تاريخ كزيده ص ٥٠٥، ٥٠٦ (طبعة عبد الحسين نوائي).

٩٣- مقدمة الكتاب ص ٥.

٩٤- المعجم ص ٤٥٦.

٩٥- مقدمة المعجم ص ٤.

٩٦- تاريخ كرزيده ص ٥٠٤، ٥٠٥.

٩٧- مقدمة المعجم ص ١٠.

٩٨- المرجع السابق ص ٣.

٩٩- مقدمة المعجم ص ٢٢.

١٠٠- مقدمة مصحح المعجم ص ى.

١٠١- المعجم ص ٢١٧، ٢٧٣.

١٠٢- المعجم ص ١٧٥.

١٠٣- مقدمة مصحح المعجم ص يا.

١٠٤- أنظر مقدمة مدرس رضوى على المعجم ص بط.

١٠٥- المعجم ص ٣٢.

١٠٦- المعجم ص ٥٠.

١٠٧- المعجم ص ٢٨.

١٠٨- المرجع السابق ص ٥٠.

١٠٩- المعجم ص ٨٤، ١١١.

١١٠- المعجم فى معايير أشعار العجم ص ٣٣٦.

١١١- المعجم فى معايير أشعار العجم ص ٣٤٥، وحدائق السحر ص ٤٢.

١١٢- الترجمة العربية لحدائق السحر ص ١٠٦.

١١٣- المرجع السابق ص ٩٨.

١١٤- المعجم فى معايير أشعار المعجم ص ٣٤٤، والترجمة العربية لحدائق السحر ص١١٧.

١١٥- المعجم ص ٤٠٨.

١١٦- المرجع السابق ص ٣٧٨.

١١٧- المعجم ص ٣٦٥.

١١٨- المرجع السابق ص ٣٧٠.

الشواربى وحافظ الشيرازى

أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن

أستاذ الدراسات الإيرانية

قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة عين شمس



عندما أردت الكتابة عن أستاذى الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى - رحمة الله عليه - خطر ببالى تلك العلاقة الفريدة التى ربطت بينه وبين الشاعر الإيرانى حافظ الشيرازي، رغم أن بينهما من السنين ما يزيد عن الخمسة قرون، ومن الاختلاف فى النشأة والشخصية

ما هو واضح للعيان، ومن المشارب ما يمكن أن يباعد بينهما، مما أثار لدى التساؤل حول دراسة الدكتور الشواربى لحافظ هل كانت من اختياره أم فرضت عليه؟ لكن قراءة سريعة لبحثه حول حافظ وترجمته لغزلياته التى سماها أغانى شيراز ترجح الاختيار، أو على الأقل تثبت أن الدكتور الشواربى قد اكتشف فى حافظ الشيرازى ما لم يكتشفه غيره من الباحثين سواء كانوا إيرانيين أو من جنسيات أخرى.

العلاقة بين الشواربى وحافظ كانت أشبه بحوار بين عقلين وفكرين ومدرستين وشخصيتين مختلفتين لم يمنع اختلافهما من وجود الود والمحبة والإعجاب والتقدير، بل لعل هذا الود قد حقق للشواربى محبة الإيرانيين وتقديرهم حيث حصل على لقب المواطن الفخرى فى مدينة شيراز عام ١٩٥٥م، كما سبق أن منحته الحكومة الإيرانية وسام المعارف من الدرجة الثانية عام ١٩٥٢م، وأشاد العلماء والمستشرقون والمهتمون باللغة الفارسية وآدابها ببحثه وترجمته لشعر حافظ الشيُرازى أكثر من إعجابهم بأعماله القيمة الأخرى، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور طه حسين عميد الأدب العربى الذى قدم لكتابه حافظ الشيرازى، والمستشرق الكبير أ.ج. آربرى الذى حسده على فهمه لمعانى حافظ، ومن ثم فإن ما شهد به الأفذاذ يغنى عن التقييم والنقد، ولكنه يفتح

المجال لحوار الأجيال والاستفادة من تجارب السلف فى إثراء الثقافة العربية ودعم الوحدة الإسلامية وتحقيق التقارب بين الشعوب.

وإذا كانت الحضارة الإسلامية قد قدمت للعالم كحزمة واحدة رغم تعدد الشعوب التى شاركت فى صنعها، فإن من المؤسف حقاً أن استقلال هذه الشعوب قد أدى إلى تفكك هذه الحزمة وتناثر أشلائها بين هذه الشعوب، وأصبح مستبعداً جداً إعادة جمع هذه الحزمة بعد أن أدت الشعوبية الحديثة إليي وضع جدر لا تخترق بين أجزاء الحضارة الإسلامية وشعوبها، وإيران التى هى قاسم مشترك أعظم فى الحضارة الإسلامية بمعناها الواسع والتى تعتبر نموذجاً واضحاً لمفهوم القومية المعاصرة، لها ثوابت ثقافية تأصلت من خلال شخصيتها التاريخية، وإذا كان من الميسور الوقوف على ملامح الشخصية الإيرانية التاريخية وعناصرها الثقافية، فإنه يمكن أيضاً معرفة قضاياها الثقافية المعاصرة لارتباطها الشديد بالشخصية الإيرانية، ولا شك أن التعرف على هذه القضايا يمثل حلقة فى سلسلة البحث عن مواضع الوصل بين أجزاء الحضارة الإسلامية الكبرى.

ومن ثم فلا مناص من إعادة تعريف أجزاء هذه الحضارة إلى بعضها البعض لعل هذا التعريف يسهم فى إيجاد الحنين لدى أبناء الأمة

الإسلامية لربط حضارتهم من أجل أن ترقى وتعود إلى سابق عهدها. وهذا ما استهدفه هذا المقال من مناقشة العلاقة بين الشواربى وحافظ الشيرازى، وحسب الباحث أن يكون تلميذاً فى مدرسة هؤلاء الأفاضل، ومريداً فى حلقة الحوار بين الشيوخ، وناقلاً لفضل ما قالوا وما دونوا في صحف العالم وآثار الأدب.

لقد كان عنوان البحث الذى تقدم به الدكتور الشواربى للحصول على درجة الدكتوراه ثم طبعه بعد ذلك فى كتاب هو : حافظ الشيرازى، شاعر الغناء والغزل فى إيران، وقد درس فيه عصر حافظ وبيئته وحياته وثقافته وعشقه فضلاً عن شعره، وإذا كانت المصادر قد أشادت بهذه الدراسة وأكدت أن الشواربى قدم للقارئ العربى عبقرية شعرية إيرانية، وبترجمة أشعاره قدم تحفة من تحف الأدب الإيرانى وأنه أول من كشف عن الغزل الصوفى عند الإيرانيين، وبين أبعاده وأسراره وأبرز معانيه وأجلى نواحي الجمال فيه، فإن الأهم الذى لم يشر إليه الباحثون هو هذا الحوار الراقى الذى أجراه الدكتور الشواربى مع حافظ خلال نقده لشعره فى مجالات متعددة منها اللغة والأدب والعقيدة والسياسة.

حوار فى مجال الأدب :

تعتبر النظرية اللغوية الإيرانية اللغة الفارسية لغة أدب لا أن يكون الأدب أحد روافدها، وما يترتب على ذلك من تأثير على بنية اللغة وطبيعتها وأسلوب تركيبها ومنهج تعاملها مع المعانى وكيفية حملها للأفكار، ويتفق مع هذا أناتول فرانس الذى لا يعتبر الأدب شيئا غير أسلوب البيان، ويجزم على دشتى أن كل من امتلك أسلوباً للبيان جديداً وقوياً فهو مبدع، لذلك يعتبر حافظ الشيرازى مبدعاً لأسلوب جديد فى البيان يميزه عن الآخرين، ويؤكد الدكتور الشواربى أن غزليات حافظ قد جمعت فلسفته، وأنه لم يقف فيها عند الحدود التى وقف عندها من سبقوه من الغزلين مثل سعدى وأمير خسرو وسلمان وخواجو وغيرهم بل خطا خطوات واسعة إلى ناحية التمام الكمال والنضج، فجمع كل ميزات السابقين وتفوق على من جاراه من المعاصرين، وبقى فى مكانة لا يتطاول إليه أحد من اللاحقين، فأضفى على الغزليات جمالا لم نعهده من قبل وأفاض عليها من فيض أقواله ما جعلها السحر الحلال المليء بالروعة والبهاء الجلال، حيث تغنى بنفس ظامئة إلى الحب، وتغنى بالشباب إلى الشباب، وتغنى للمشيب بأشعار المشيب، عبر فيها عن حياة تتقد ولا تخبو، وتزدهر ولا تذوى،

الآلام فيها عبء نتغلب عليه بالصبر، ولا نحتاج فيها إلى رياء أو نفاق، الإنسان فيها إنسان يخطئ ويصيب، يعترف بالتقصير ولا يبدى المعاذير، لذلك كان حافظ كما يرى الدكتور الشواربى شاعراً عاتياً لم يكن يأبه لشيء ولم يكن يهتم بشيء، يمضى فى طريقه بأناة وصخب، كان فناناً موقناً بفنه، وعندما اعترض الشاه شجاع حاكم شيراز يوماً على شعره بقوله : إن غزلياتك لا تجرى على منوال واحد ولا تصاغ على نمط واحد، بل كل واحدة منها تشتمل على بعض الأبيات فى وصف الشراب وبعض الأبيات فى التصوف والبعض الآخر فى ذكر الأحبة، وهذا التلون والتنوع ليسا من طريقة البلغاء، أجابه حافظ : بأن ما تفضل به هو عين الصدق والصواب، ومع ذلك فشعره قد طوف بالآفاق بينما أشعار غيره لا تستطيع أن تتعدى الأبواب. وكان حوار الدكتور الشواربى فى هذا الصدد طريفاً حيث جمع له آراء الشراح ممن نقدوه وقسمهم إلى فئتين : فئة تنظر إلى ظاهر قوله، وفئة لا تأخذ بظاهر معانيه وتفسرها تفسيرات شتى، ثم يرجح الدكتور الشواربى أن مثار هذا الجدل صعوبة شعر حافظ، وكان الدكتور الشواربى قد قام باختبار الأمرين عندما ترجم أشعاره إلى العربية حينا بمعانيها الظاهرة وحينا بقراءة ما بين السطور، بما يكشف رغبته فى تنويع الحوار الفكرى مع

حافظ بتنوع أشعاره، فوجد الترجمتين ممتعتين لا ينقصهما شيء من الجمال، وإن كان إدراك الأولى يختلف عن الثانية، فواحدة لأهل الظاهر والواقع، والثانية لأهل المعنى والرمز، لكن الدكتور الشواربى يضع حافظ الشيرازى فى إطاره الحقيقى كفنان مثل بقية شعراء الغزل لا يتغنى إلا بما يوحيه إليه قلبه من معان، وهو يرى فى أشعار حافظ ما رآه الشاه شجاع حاكم شيراز وما حدد به موضوعاته، وهنا ندرك الفرق بين الشخصيتين، شخصية حافظ وشخصية الدكتور الشواربى وندرك طبيعة الحوّار بينهما، وهما يمثلان منهجين مختلفين : منهج يتوخى الإغراق فى الخيال والعاطفة، ومنهج ينحو إلي الواقعية والعقلانية، وإذا كان القدماء قد أطلقوا على حافظ تسمية جميلة هى لسان الغيب وترجمان الأسرار معللين ذلك بأنه كشف عن الكثير من الأسرار الغيبية والمعانى الحقيقية التى التفت فى ألبسة المجاز، فإن الدكتور الشواربى لم يعجب بهذه التسمية وفضل أن يطلق عليه شاعر الإنسانية أو شاعر الشعراء، وبرر ذلك بأن حافظ الشيرازى غنى للناس جميعاً دون تفرقة بينهم فى الدين أو المذهب أو العنصر، غنى للإنسان من حيث هو إنسان لا يحده زمان أو مكان، له حس ونفس، فعرف خفايا حسه ودقائق نفسه فتحدث إليه بما يقيم الطباع ويشفى الأوجاع ويجلب البهجة للنفوس ويكسب

الرفعة للرؤوس، فلم يكن شاكياً باكياً ولم يكن معلماً جافياً أو صوفياً نائياً بل كان إنساناً راضياً، يستقبل الحياة بما حملت من خير وشر وهو مشرق الوجه، فكان أكثر الإيرانيين إيرانية وأشدهم إنسانية، ويؤكد الدكتور الشواربى أن إنسانية حافظ هى التى ميزته عمن عداه من الشعراء وحفظت له شهرته بين شعراء المشرق المغرب ومكانته فى نفوس الشرقيين والغربيين على السواء.

يقول الدكتور الشواربى فى تعليقه على تسمية حافظ بلسان الغيب : وليس من شك أن القوم وجدوا فى أشعار حافظ تلك الأمانى العذبة التى تجول فى النفس، وقد صورها لهم فى أحسن الصور، وعبر لهم عنها فى أعذب النبرات، فبدأوا يرفعونه إلى مرتبة فيها شىء من التقديس والإجلال، كما يفعل العامة عادة فى إعجابهم بالبطولة والأبطال، فلقبوه بهذا اللقب الذى ثبت له عن جدارة واستحقاق، وكان هو نفسه يعرف أن أشعاره تهزهم هزا عنيفا يطربهم أشد الطرب ويذكى فى أنفسهم جمرات من لهب، تتقد وتنتشر فإذا هم يرقصون على أنغامه فى غير حذر أو خفر : شعر :

بشعر حافظ شيراز ميرقصند وميغلطند   سيه جشمان كشميرى وتركان سمرقندى

سوداوات العيون الكشميريات والحسان السمرقنديات يرقصن على شعر حافظ الشيرازى ويتدحرجن، وقد ترجمها الدكتور الشواربى على هذا النحو : على أشعار حافظ شيراز يرقص فى سرور وهناء أتراك سمرقند وأهل كشمي أصحاب العيون السوداء. ويبدو فى الترجمة ذلك الحوار الذى أشير إليه فقد أضاف الدكتور الشواربى على المعنى ما يريد أن يعطيه لحافظ من مكانة عامة لا تتوقف عند الحسان، وما يرد أن يوجه إليه حافظ من عقلانية المعنى، وأن يحذف منه ما لا يراه مناسباً للمعنى ففى هذا البيت حذف يتدحرجن وأضاف فى سرور وهناء.

الواقع أن أسلوب الدكتور الشواربى فى ترجمة أشعار حافظ يسير على هذا النحو، فهو يأبى أن يترجم له ترجمة حرفية جافة ليس فيها روح، أو أن يكون مجرد ناقل لمعانيه من الفارسية إلى العربية، أو أن يترجم له شعرا بشعر، وإنما يتحاور معه حوار الأدباء الواعين، ويترجم له بأسلوب أدبى يرقى إلى مستوى أسلوب الشعر، ثم هو فى ترجمته لا ينسى أنه سفير أمين لهذا الشعر وللأدب الفارسى لدى القارئ العربى والمثقف العربى والمتخصص العربى، كما أنه يعطى درساً لتلامذته فى كيفية التعامل مع النصوص الأدبية وكيفية ترجمة الشعر الفارسى.

حوار فى مجال العقيدة :

إذا كانت العقيدة - وما يتفرع عنها من موروثات ومناهج سلوكية وعادات وتقاليد وعرف وأحكام - أحد العناصر الأساسية فى عملية بناء الذات، فإن الدكتور الشواربى فى حواره مع حافظ الشيرازى يجمع بين عقائده وفلسفته فى سلة واحدة هى بوتقة خطابه، فالدكتور الشواربى يحدد اهتمامات أساسية استخلصها من شعر حافظ وجهتها عقائده الخاصة ورؤيته للعالم من حوله، يبدأها بحفظه للقرآن الكريم الذى يجعله محور عقائده موكداً على افتخاره بأنه تجاوز الحفظ إلى الوقوف على لطائف المعانى مؤكداً أنه مع وجود القرآن فى صدره ألم بكل تفاسير القرآن ودرس الفقه الحديث والحكمة خاصة الحكمة الإشراقية، كما أحاط بالعلوم الأدبية واللغة العبرية، وألم بكنه التصوف والعرفان فظل مدة سالكا لإحدى الطرق الصوفية لكن بفكر حر، ويشير الدكتور الشواربى إلى تلخيصه لمرتكز عقائده مستشهداً ببيت شعره : من بين حفظة القرآن لم يجمع أحد مثلى لطائف الحكماء مع أحكام القرآن :

زحافظان جهان كس چو بنده جمع نكرد   لطايـف حكمـا با كتاب قرآنـى

والدكتور الشواربى يحمد له هذا الاجتهاد فضلاً عن عقيدته بعدم انفصال العلم عن العمل، وأشاد بضجره من الذين لا يعملون مستشهداً بقوله : ولست أنا وحدى الذى أصابه الملل لعدم العمل فى هذه الدنيا، فإن ملالة العلماء أساسها العلم بغير العمل :

نه من ز بي عملى در جهان ملوم لم وبس ملالت علما هم ز علم بي عملست

وقد دافع الدكتور الشواربى عن زهد حافظ مؤكداً أنه زهد إيجابى، ومشيراً إلى أن حافظ الشيرازى لم يكن يستطيع أن يقنع نفسه بأن الزهد الذى يحوطه صادر عن إيمان قوى وعقيدة سليمة، بل كان يرى الجميع يصانعون ويداهنون ويخاتلون، مما جعله يتخذ موقفاً عبر عنه فى شعره بصورة جميلة من الزهد والصلاح النسك والتقوى ترضى الحاكم والمحكوم معاً، كما ترضى نفسه الأبية، فيقول : اشرب الخمر فإن الشيخ والحافظ والمفتى والمحتسب جميعهم حين تمعن النظر إليهم يزرون الحقائق ويموهون عليك :

مي خور كه شيخ وحافظ ومفتى ومحتسب چون نيك بنگري همه تزوير ميكنند

لقد أعجب الدكتور الشواربى بكراهية حافظ للتفاخر بالفسق، والتباهى بالتقوى والزهد والصلاة، ومهاجمته للرياء أياً كان مصدره،

سواء كان من محتسب أو شرطى أو إمام أو فقيه أو واعظ، وهروبه من أصحاب الأخلاق الذميمة، وتغنيه بالحب والصداقة والوفاء وحفظ العهود والمواثيق رغم ما يصادفه فى مجتمعه من محبطات، كما أعجبه أن يلجأ إلى التهكم والسخرية على الفقهاء المدعين.

ويبدى الدكتور الشواربى إعجابه بالنفس الصادقة التى كانت لحافظ الشيرازى والتى لم يرقها من زمانها ما امتلأ به من رياء ونفاق، فأخذت تتغنى بالطيبة الحقة والصلاح الحق والتقوى الصحيحة والإيمان الصادق، كما أعجب الدكتور الشواربى باصطفائه الأحباب وتغنيه بالعشق والشباب وتلذذه بالخمر والشراب، ورغم اهتمام الدكتور الشواربى الواضح بلغة حافظ أسلوبه إلا أنه كان أكثر انبهاراً وحباً لروحه التى تسرى فى شعره، لقد أسره تحرره وانطلاقه واستغناءه رغم أن الدكتور الشواربى من أكثر الناس التزاماً وتمسكاً بالقواعد والتقاليد، لكنه كان يرى فى هذه الروح صورة المسيح، لأن انطلاق حافظ لم يحجب تعاليمه الإيجابية، ولم يجعله ينحو إلى السطحية، فكان أشبه بطبيب رقيق يضع البلسم على الجراح، لقد كانت أفكار حافظ المتناثرة فى شعره كما يرى الدكتور الشواربى عصارة ذهن قوى واضح وواقعى ومحب للخير لبنى وطنه بل وبنى جنسه، فلم يكن فى شكواه محبطاً داعياً للكسل مخالفاً

للسعى والعمل، بل كانت آراؤه ونظرياته الفلسفية عاكسة لأوضاع مجتمعه تجلت فيها مطالبه الاجتماعية توجهه الإصلاحى فى عصر القتل والتخريب، وهو ما أعجب الدكتور الشواربى فى حواره مع فكره وعقائده، حيث لم يجده أستاذاً مدعياً فى الأخلاق لابساً مسوح الواعظين، بل وجد فكره الفلسفى وفهمه للحياة وتجاربه الذاتية وقيمه الأخلاقية الاجتماعية متمددة فى غزلياته بشكل طبيعى مقنع ومؤثر، ووجد أبرز سماته تعظيم مكانة الإنسان فى حرية الفكر.

قد ظهر هذا الإعجاب واضحاً فى أنه أجرى الفصول التى تحدث فيها عن هذه الموضوعات على لسان حافظ الشيرازى، وهو منهج لم نألفه من الباحثين قبله أو بعده، وبغض النظر عن القيمة العلمية لهذه الطريقة فهى تؤكد ما ذهبنا إليه من أنه لا ينقده، بل يجرى معه حواراً، فإذا ما أعجبه شىء يتفق فيه معه أجراه على لسان حافظ رغم أنه كاتبه.

حوار فى مجال السياسة :

يرى الدكتور الشواربى أن حافظ الشيرازى كان لا يهمه من أمر السياسة شىء، يقول : لم يكن يعنيه من تلك الأمور شىء لأنه كان أكبر منها جميعاً، وربما أحس لها فى قرارة نفسه بشىء كثير من الاحتفار الازدراء، وربما ضن على نفسه أيضاً أن يصبح هدفاً لأحقاد

الطامعين المتنافسين، فاستقبلهم جميعاً وودعهم جميعاً وتحت شفته ابتسامة سخرية تستتر ولا تبين ولكن وميضها لامع وبصيصها ساطع، وما شأنه بهم وهم فى أغلب الأحيان أقارب فرقت بينهم الأغراض والمآرب، وماذنبه معهم وهو رجل علم وزهد وهم طلاب مكانة ومجد، وما دخله بهم وهو رجل يقين وعرفان وهم رجال العتو والطغيان، وما شأنه بهم وهو رجل قلب وفؤاد وهم جماعة الزيغ والعناد، إنهم لديه شر يجب على النفس الأبية أن تستقبله إذا حل وأن تودعه إذا رحل، وأن تتمسك خلال ذلك بالحكمة والحزم، وأن تعتصم بالصبر العزم، وأن ترجو من الله أن يكشف الغمة إذا ألمت وأن ييسر الأمور إذا أزمت.

لقد احترم الدكتور الشواربى موقف حافظ الشيرازى السياسى لما شهده من كثرة الحكام الظالمين القساة الذين تعاوروا حكم موطنه شيراز خلال حياته، لوأنه شهد فى أواخر سنوات عمره سوءات السياسة مما أصاب شيراز من حكامها حتى تاقت نفسه إلى أن يهيئ الله لشيراز حاكماً مصلحاً يستطيع أن يربأ الصدع ويجمع الشمل ويوحد الكلمة، فأخذت نفسه تجيش فى هذه الفترة وتختلج بعواطف غامضة يطلب فيها أن يسرع إلى شيراز عارف خبير قاسى القلب فإن استطاع بدل العالم وأنشأ خلقاً جديداً، وإن استطاع أصلح هذا الدهر الفاسد برأيه الحكيم

وفكره الصائب، وإن لم يوجد هذا فليكن تيمور لعله بقوته يقر الأوْضاع ويحقق الأمن، حيث يقول : لم أعد أستطيع أن أعثر على آدمي واحد على ظهر البسيطة، فوجب أن يتبدل هذا العالم وتتبدل معه الخليقة، فقم الآن حتى نتجه إلى تركى سمرقند الكبير فعبير جيحون يهب نسيمه كشذى الورد النضير. ويتوقف الدكتور الشواربى عند موقف حافظ الشيرازى من تيمور، حيث رآه لم يستقبله عندما دخل مدينته شيراز، وسكت سكوتاً شديداً يفسره الدكتور الشواربى بأنه اضطر إلى ذلك إزاء العزة والأنفة فأبى أن يمدح تركيا أجنبيا كان يتطلع إليه فى ساعة ضيق وكربة صدر، وحتى عندما استدعاه يتمور ولامه على غزليته التى يهب فيها ملك سمرقند وبخارا التى هى بلاد تيمور وموطنه إلى خال أسود على وجه تركى شيرازى :

(اگر آن ترك شيرازى بدست آرد دل مارا بخلا هندويش بخشم سمر قند وبخارارا)

أجابه بأنه بسبب هباته الخاطئة يمضى حياته فى فقر ومسكنة، وهو الرد الذى أعجب تيمور، ويعلق الدكتور الشواربى بأن الظاهر أن حافظ الشيرازى لم ير خيراً فى الفاتح الجديد، ووجده أشد قلبا وأغلظ طبعاً مما كان يظنه فيه من خير ورجاء، فابتعد عنه وداراه وأغمض العين عن أفعاله على مضض وكراهة نفس.

ويرجع الدكتور الشواربى مواقف حافظ السياسية إلى حبه الجم لوطنه شيراز وغيرته عليها، وإن كان أحياناً يضيق بالبقاء فيها فبسبب أوضاعها التى فرضت عليها، فما أكثر ما تغنى بحسنُها وعشقه لها الذى لا يترك له مجالاً للسفر والبعد عنها.

حوار فى مجال اللغة :

اللغة الفارسية مع كونها إحدى لغات المجموعة الهندوأوربية غير أنها تتميز عنها بطبيعتها المفرطة فى الفك والتركيب، وتركيبية اللغة الفارسية جزء من تركيبية الشخصية الإيرانية، وقد سمحت لها هذه التركيبية بإعادة بناء نفسها عدة مرات، كما منحها عدة مشخصات أهمها :

أولاً : تمتعها باتساع سطح الكلمة ومن ثم باتساع سطح المدلول وتعدد استعمالاته مع تعدد الإيحاءات الناتجة عن طريقة استخدام الكلمة.

ثانياً : تمتعها باتساع الحجم التركيبى المهيأ ليكون نبعا داخليا فياضا دائما بما يسمح بالتجديد الدائم للقاموس اللغوى.

ثالثاً : تمتعها بجمال الموسيقى الداخلية على مستوى الكلمة والعبارة بما

يدلل الأذن وبعدها لاستقبال التغير المطلوب للحركة الدائبة فى مسيرة اللغة.

رابعاً : تمتعها بالروح الأسطورية والخيال الذى يسمح بوجود استعداد هائل لحمل كل أنواع المعانى والمفاهيم الناتجة عن امتداد التراث الثقافى إلى تاريخ أسطورى.

ومن هنا تحرص النظرية اللغوية الإيرانية على الإبقاء على شعبية اللغة والنظر إلى اللهجات العامية على أنها أهم مصادر التمويل اللغوى الذى يرجع إليه عادة لدعم اللغة الفصحى مع كل عملية لإعادة بناء هذه اللغة، واعتبار أى تعبير شعبى أصلاً لغوياً لا يمكن تجاهله، بل يكون العمل على حفظه وتأصيله وتوفير السبل لتداوله والاستفادة منه أمراً واجباً. كما تحرص النظرية اللغوية على التراث الثقافى كأحد عناصر إعادة بناء اللغة، باعتبار أن هذا التراث لم ينغلق على نفسه بل امتد جغرافيا مساحة شملت فى بعض العصور ما يقرب من نصف العالم القديم، مما جعله يحمل فى طياته خبرات الشعوب وتجارب الأمم وعناصر حضارية لا تتوفر للثقافات الأخرى، ومن ثم يكون لديه القدرة على المساهمة الفعالة والواسعة فى عملية إعادة بناء اللغة، وجعلها لغة حاملة وموصلة للمعارف والأفكار التجديد والتطوير للمعانى الإنسانية العميقة.

لقد صارت اللغة الفارسية فى عصر حافظ الشيرازى لغة الثقافة الإسلامية الأولى فى منطقة تمتد من بحر الصين إلى هضبة الأناضول، ومن بحر العرب إلى سيبيريا، وهى لم تتخل فى تطورها واتساع رقعة الناطقين بها عن كيانها الإسلامى، ولم تتأثر بالعناصر غير الإسلامية فى هذه المناطق، وكان أدب حافظ الشيرازى خير مستند على ذلك، لقد كانت أساليب حافظ مندمجة تماماً مع معانيها، وكان الشكل مندمجاً مع المضمون، وكانت الحقائق متمددة فى أساليب التعبير براحة تامة. يقول على دشتى إن لغة حافظ سحر يتأبط معجزة، سواء فى اختيار الكلمة أو تحميل الجملة، ففى لغة حافظ تعبيرات خاصة به، لكنها تندمج مع الصورة العامة للشعر فى عصره متجاوبة مع أسلوب الصياغة، فكان فن حافظ فى مجال اللفظ هو تقييد الجملة رص الكلمات فى نظام بديع وتناسق عجيب يخرج أمواجاً من الموسيقى الداخلية الرائقة، وهى ظاهرة عامة فى شعره بحيث لم يجد أحد فى غزله تركيباً ضعيفاً أو تعبيراً سطحياً ساذجاً أو مجافياً للذوق أو حتى جملة سوقية رغم شعبية أشعاره، ولقد أعجب الدكتور الشواربى بلغة حافظ، بل واعتبر الإبهام والإيجاز فى شعره أمر مطلوب اقتضته طبيعة الموضوع ويعطى مساحة للخيال والتصور لدى المتلقى، بل اعتبره مجالاً لإثبات الثقافة الرفيعة والحكمة النافعة.

لقد خصص الدكتور الشواربى فى كتابه فصلا لشرح مشكلات ديوان حافظ الشيرازى اللغوية من خلال مخطوط فى شرح ديوانه اختاره من بين كتب الشروح التى تملأ المكتبات الشرقية والغربية على السواء، والتى تعددت زوايا تناولها لمشكلات شعر حافظ بين اللغة والدلالة الشيعية والفلسفة والتصوف والرموز المجازية، كذلك خصص الدكتور الشواربى فصلا عن معارضات الشعراء لغزليات حافظ، فضلاً عن فصل يبين كيف أن الشعراء اللاحقين يتحاورون مع أشعاره من خلال إعادة صياغة أشكالها، وأهمه تخميس أمين اليمنى لأشعار حافظ والذى نظمه فى القرن الثالث عشر الهجرى، إضافة إلى تخصيصه فصلاً عن أخذ الفأل من ديوان حافظ، وهو فى ذلك يتحاور معه بشكل غير مباشر مثبتاً الثراء اللغوى الذى تتمتع به أشعار حافظ الشيرازى.

لقد اتفق الدكتور الشواربى مع على دشتى في أن سر قوة لغة الشاعر حافظ الشيرازى وأسلوبه المتميز لا يتحدد على وجه اليقين، لأن قواعد الأدب وموازينه الفنية لا تودى إلى إيجاد أساليب جديدة بل ربما يؤدى أسلوب الأساتذة من الشعراء إلى إيجاد قواعد وموازين، لقد جعل حافظ للمعانى العادية بلغته الشعرية رونقاً بديعاً وبهاء جديداً، مما جعلهما يرجحان أن سر قوة لغة حافظ ربما يكمن فى تعبيراته الخاصة،

فلا يختلف اثنان على أن البلاغة هى انتقال المفهوم إلى ذهن المتلقى بشكل تام وكامل وهو ما يمثل خصوصية واضحة فى شعر حافظ جعل للغته كل هذا التأثير، بحيث تجرى المعانى فى شعره مجرى المثل.

فى هذا الإطار صارت اللغة الفارسية أحد أهم مقتنيات الأنظمة الحاكمة فى إيران إلى الحد الذى ترك تأثير مباشراً على استخدام اللغة وتسمياتها، فاللغة الفارسية ليست بمعنى لغة أهل فارس وهو إقليم من أقاليم إيران الذى تصادف أن يكون حافظ الشيرازى من أهله، بل إنها لغة الحاكم الذى خرج من هذا الإقليم، ولكن ليس بمعنى لغته الشخصية وإنما بمعنى أنه الحامى لهذه اللغة الموكل بدعمها وحمايتها ونشرها فى أنحاء امبراطوريته والبلاد التى يستولى عليها، ومن هذا المعنى سميت باللغة الپهلوية فى العصر الساسانى، وباللغة الدرية فى عصور مختلفة وهى تسميات ترتبط بمعنى البلاط أو الأسرة الحاكمة، وأصبحت تعرف اليوم بالفارسية الإسلامية بمعنى انتسابها إلى الثورة الإسلامية، وهى فى كل عصر تجد لها سدنة وحجابا رسميين تحت مسميات مختلفة مثل مجمع الشاهنامه أو المجمع اللغوى أو مجمع لغتنامه أو منظمة دعم اللغة الفارسية فى الخارج، وغير ذلك من المؤسسات الرسمية التى تلقى دائماً دعماً شعبياً فى كل العصور. يقول

خامنئى : «إن كل من له علاقة بالمعرفة البشرية ينبغى أن يمدر مكانة اللغة الفارسية، هذه اللغة الواسعة الإمكانات، العذبة، الناضجة، الجميلة، قد استطاعت أن تدخل مناطق جغرافية كثيرة من العالم تحت سيطرتها ونفوذها المعنوى. وأن تتربع فى قلوب الشعوب بنفوذها المعنوى وفعاليتها، وروعتها، وقدرتها البلاغية، وتهدى لهذه الشعوب الثقافية والدين والمعرفة والمدنية، إن الدين الإسلامى قد دخل إلى إيران باللغة العربية ولكنه انتشر باللغة الفارسية، كما انتشرت المعارف الإسلامية خلال قرون متمادية بين الشعوب بواسطة الناطقين باللغة الفارسية، إن من الضرورى العمل على إثراء اللغة الفارسية كما وكيفا ورفع الضعف الداخلى عنها وزيادة طاقتها بما يتناسب مع ظروف الزمان والمكان كواجب قومى، وفى هذا الإطار فإنى أوصى بما يلى : التوصية الأولى هى عدم نسيان واجب حراسة هذه اللغة ورفع رايتها فوق إيران والدول الناطقة بها والعالم كله إن شاء اللّه، التوصية الثانية هى أنه ينبغى الاستفادة من وجود هذه اللغة إلى أقصى حد لدعم وإيجاد عناصر حياتها وتكاملها، والاستفادة خلال ذلك من الأفعال الفارسية الصحيحة المهجورة أو الموجودة فى مناطق أخرى خارج إيران، التوصية الثالثة هى ضرورة الاستفادة من الحجم التركيبى للغة

الفارسية المعجزة فى مجال التركيب، فكثير من من كلماتنا التركيبية مع مضامينها البسيطة أجمل من الماء الزلال، التوصية الرابعة هى التفريس حيث يوجد فى اللغة العربية ما يعرف بالتعريب بمعنى أنهم يأتون بالكلمات الأجنبية ويقربونها من الذوق والأوزان العربية بحيث يشعر العربى عند نطقها كأنها كلمة عربية، وهذا من العلامات الدالة على حياة اللغة وحيويتها، وهذا المعنى موجود فى نطق الكلمات العربية التى دخلت اللغة الفارسية، وهذا من مشخصات اللغة الفارسية ولس عيباً فيها، إننا نستخدم اليوم كلمات عربية بمعانينا نحن وليس بمعناها العربى، هذه المعانى جزء من لغتنا، وبناء على هذا التعريب فإن اللغة العربية قد استفادت من أخذها هذه الكلمات فى تحقيق تطورها والتدليل على اتساعها العظيم، فما المانع أن نقوم بالتفريس على غرار التعريب، ونجعل الكلمات الأجنبية الضرورية فارسية بعملية التفريس، أما توصيتى الأخيرة فهى أن نبتعد عن الكلمات المصطنعة التى ليس لها أصل أو جذر فارسى، لأن إدخال الكلمات المصطنعة وهى لست من تراثنا الثقافى يعتبر خيانة للغة الفارسية» (صحيفة سلام فى٤/ ٣/ ١٩٩٩م)

يؤكد الدكتور الشواربى على أهمية اللغة العربية لغة القرآن اللغة الأم للثقافة الإسلامية بالنسبة للإيرانيين مثقفين وعلماء وأدباء، حيث يرجع ما وصل إليه حافظ من علم وفن إلى إجادته اللغة العربية، ويثبت له هذه الإيجابية، ويوجه إلى هذه الخاصية فيه فيقول : وقد استطاع حافظ بمقدرته في العربية أن ينال مكانة لا بأس بها فى سائر العلوم، كما أشار هو نفسه إلى معلوماته حيث يقول : شعر :

فلك بمردم نادان دهد زمام مراد　　　تواهل دانش وفضلى همين گناهت بس

يعنى : أن الفلك يسلم زمام المراد للجهلة الأغبياء، وأنت أهل فضل وعلم وحسبك هذا الذنب بلاء.

كذلك يزيد هذا المعنى جلاء ووضوحاً فى بيته المعروف :

اگرچه عرض هنر پيش يار بي ادبيست زبان خموش وليكن دهان پر از عربيست

يعنى : مادام عرض الفضل أمام الحبيب ليس من الأدب، فإن اللسان صامت ولكن الفم ملىء ببلاغة العرب.

ولعل أكثر الأشياء دلالة على معرفته التامة بالعربية هو هذه الأشعار التي صاغها جميعها فى لغة عربية سليمة أو التى جعلها ملمعة، وهى

وإن لم تصل فى الرقة والملاحة إلى درجة الأشعار الفارسية إلا أنها لا تخلو من إبداع فى السبك وعذوبة فى القول وتمكن فى اللغة.

على كل حال فإن ما قدمه الدكتور الشواربى سواء فى دراسته لشعر حافظ أو ترجمته له نموذج يحتذى فى التعامل مع شعراء إيران العظام، هذا التعامل الذى لا يدخل فى باب النقد والتقويم وإنما يدخل فى باب الحوار والتبادل الثقافى، وهذا ما أردنا أن نلفت إليه اهتمام الباحثين العرب عامة والمصريين خاصة فى الأدب الفارسى، والله الموفق والمستعان.

الشواربى وقواعد اللغة الفارسية

د. السباعى محمد السباعى

هذه مداخلة فى أعمال هذه الندوة، وهى ليست بحثاً أو مقالاً، ولكنها مشاركة أشرف بها لتكريم هذا الأستاذ الكبير وهذا الرائد الفذ حين تحدث معى أ.د. بديع جمعة للمشاركة فى أعمال هذه الندوة تداعت ذكريات وخطرت بذهنى خاطرات، وسنحت فى فكرى سانحات، ورب خطرة فتحت أبواباً، ورب سانحة سيرت الأفلام أحقاباً، ولكن المشاركة تقتضى االإيجاز ولا تسمح بالإسهاب، عادت بى بالخاطرة الأولى إلى الأسبوع الأخير من شهر سبتمبر ١٩٥٩م، حين درست الفارسية للمرة الأولى على يد أستاذنا المرحوم الأستاذ الدكتور / أحمد محمود الساداتى، حين قدم لدراسة الأبجدية الفارسية بعجالة عن أهمية اللغة الفارسية ودورها فى العالم الإسلامى ودورها الرئيس فى الفكر الإسلامى والحضارة الإسلامية والأدب الإسلامى. وعندئذ استمعت لأول مرة إلى اسم المرحوم الأستاذ الدكتور / إبراهيم أمين الشواربى وكتابه «القواعد الأساسية لدراسة الفارسية» وأضاف المرحوم الساداتى أن هذا الكتاب هو حجر الأساس لتعلم اللغة الفارسية. ووعيت ذلك جيداً ورأيت أن استظهار هذا الكتاب هو البداية التى لا بديل عنها.

أما الخطوة الثانية :

فتعود إلى يوم التاسع من يناير ١٩٦٠، وكان موعد أول امتحان شفهى فى كلية الآداب - جامعة القاهرة، فى نهاية الفصل الدراسى الأول مادة «اللغة الفارسية»، قواعد ونصوص، وكان يرأس لجنة الامتحان الشفهى الطلابية المرحوم الأستاذ الدكتور / يحيى عبده الخشاب.

فى هذا الامتحان سألنى سؤالاً إضافياً غير الأسئلة الأولى، كان من حسن حظى أن تمكنت من الإجابة عليه، وغادرت لجنة الإمتحان، وبعد أن فرغنا جميعاً من الامتحان، استدعانى أ.د. الساداتى لمقابلة الدكتور/ الخشاب. فبادرنى بالتهنئة قائلاً: لقد أخذت الدرجة النهائية، وقد أيقنت اللجنة معى أنك درست كتاب القواعد الأساسية جيداً، فقلت: نعم لقد استظهرته تماماً من حيث القواعد والمفردات خلال الشهور الثلاثة الماضية.

أجاب أستاذى الكبير لقد وضعت نفسك على الطريق الصحيحة فهذا الكتاب هو أول كتاب قعد لقواعد الفارسية بالعربية - وسيظل أفضل ما كتب فى هذا المجال لسنوات عديدة. وأنصحك بقراءة مؤلفات الدكتور / الشواربى وترجماته، لتعرف كيف أتقن العربية والفارسية وغيرهما حتى وصل إلى ما وصل إليه من مكانة علمية

متميزة. أما كتاب «القواعد الأساسية لدراسة الفارسية»، فقد طبع لأول مرة عام ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م، بعد أن فرغ من تأليفه عام ١٩٤٢م. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. وهنا أتناول نقطتين : الأولى: المقدمة، والثانية: التصدير وفيما يتعلق بالنقطة الأولى أقول :

قدم إبراهيم محمد أمين الشواربى، ولم يكن قد حصل على درجة الدكتوراه بعد - قدم لهذا الكتاب فى صفحة واحدة قال فيها :

هذه مجموعة القواعد الفارسية ليس لى فيها إلا فضل الترتيب والتبويب، رأيت إخراجها لأبناء العربية تشجيعاً لهم على المضى فى دراسة هذه اللغة الشقيقة التى تجمعنا بها صلات كثيرة تربط آدابنا بآدابها وثقافتنا بثقافتها.

.وأضاف أن من حسن الحظ أن نصيب الفارسية فى مصر الآن ليس قليلاً، فهى تدرس منذ سنوات فى كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول - القاهرة - حالياً، وفى معهد اللغات الشرقية، ومعهد الآثار الإسلامية الملحقين لهذه الجامعة، كما تدرس فى جامعة فاروق الأول بالإسكندرية (جامعة الإسكندرية حالياً)، وفى الجامعة الأزهرية، وفى دار العلوم العليا، وفى الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

وأضاف: وقد قمت بتدريس هذه اللغة في جامعة فؤاد الأول منذ ١٩٣٦م إلى الآن، فاستطعت - أثناء هذه المدة - أن ألمس الصعوبات التي يصادفها الطالب العربي في دراسته للفارسية، فأخرجت من أجله هذا الكتاب الصغير الذي أرجو أن يكون عوناً له في تحصيل أهم اللغات الإسلامية تأثيراً في العربيية وتأثراً بها.

هذا ما كتبه الشواربي في مقدمته لهذا الكتاب وهي مقدمة تدل على رؤيته لهذا العمل كما تدل على تواضعه العلمي.

هذا الكتاب يقع في خمس وتسعين ومائة صفحة واشتملت على أبواب ثمانية. كان عنوان الباب الثامن : «ملحقات» ... ذيله بمفردات المختارات التي أنهى بها هذا الباب.

وفيما يتعلق بالنقطة الثانية وهي خاصة بالتصدير الذي صدر به هذا الكتاب؛ نرى أن الذي صدر له هو الأستاذ الدكتور / عبدالوهاب عزام رئيس معهد اللغات الشرقية بجامعة فؤاد الأول ثم عميد كلية الآداب رائد هذه الدراسات يؤسسها ما ورد في التصدير جدير بالذكر، حريّ بالتدقيق.

وقع التصدير فى خمس فقرات، الأولى خاصة باللغة الفارسية، وأنها لغة الخطاب فى إيران وجهات من أفغانستان وتركستان، وأنها لغة الأدب فى إيران وأفغانستان، ولغة للأدب بجانب التركية والهندية فى تركستان والهند، وهى ذات أثر فى الأدبين التركى والهندستانى فى حضانة أدبها نشأ وعلى غراره طبعاً، وهى فى سعة أدبها وسموه، ثانية لغات العالم الإسلامى لا يتقدم عليها سوى العربية.

وتناول فى الثانية أصل واشتقاق كلا اللغتين. وأوضح أنه ليس بين العربية والفارسية قرابة أو تشابه من حيث الأصول والاشتقاق، فإحداهما سامية والأخرى أثرية، ولكن وصلهما التاريخ وقربت بينهما الحضارة فكان بينهما من الصلات والأواصر ما يقل مثله بين اللغات التى يجمعها أصل ويقربها نسب.

تجاوز الإيرانيون والساميون منذ عصور متطاولة، فأخذ بعضهم عن بعض فيما يتبادلون من صور الحضارة ألفاظاً تبادلتها لغاتهم، ثم كان الإسلام فمزج بين العرب والفرس بالأخوة الإسلامية، وجعل للغة القرآن الهيمنة على لغات المسلمين كافة والفارسية خاصة.

فأخذ العرب عن الفرس كلمات، وأهدت العربية إلى الفارسية

ألفاظاً وعبارات وأوزاناً وقوافى غيـر هؤلاء، كما أهدت إليها الخط العـربى، ومن وراء هذا كله الإسلام وحـضارته يمدان الأدبين من ينـبوع واحد، ويهديهما إلي غاية واحدة.

وفى سلطان العربيـة وحضانة الفـارسية نشـأ الأدب التركى والأدب الأردى فتم التـشابه بين الآداب الإسـلامية، و وجب عـلى أدباء إحدى هذه اللغات أن يلموا بالآداب الأخرى كلها أو بعضها.

وانتقل فى الفقرة الثالثة للحديث عن دراسة اللغة الفارسية فى مصر : بين عناية جـامـعـة فـؤاد الأول (القاهـرة بدرس اللغـات الإسلامـيـة واللغـات السامـيـة منذ عام ١٩٢٥م وانقـضاء سـبعـة عشـر عامـاً حتى صدور هذا الكتاب، تم خلالها إنشاء «معهد اللغات الشرقية» ليزيد فى عدد اللغات التى تدرس، وتتوسع الجامـعة فى دراسة كل لغة وما يتصل بها من تاريخ وحضارة وأدب.

وسرعان ما أنشأت الجامعة من أبنائها من يعرف هذه اللغات وآدابها فأصبح القائمون بتعليم هذه اللغات اليوم من خريجى الجامعة إلا قليلاً، وكانت هذه الدراسة فى جـامعة فؤاد الأول وصلاً لما قـطعته السنون من عناية مصر بالآداب الإسلامية، منذ أن أخرجت مطبعة بولاق فى سنينها

الأولى كثيراً من عيون المؤلفات الفارسية والتركية ولا تزال طبعاتها لبعض هذه المؤلفات أصح الطبعات وأجملها إلى يومنا هذا.

وخصص الفقرة الرابعة للحديث عن دور الشواربى، فأوضح أن طلاب الفارسية فى كلية الآداب كانوا فى حاجة إلى كتاب ييسر لهم قواعدها، ويسنى لهم تحصيلها ويجمع شواردها، وكذلك كان غير طلاب الجامعة من قراء العربية فى حاجة إلى كتاب يعينهم على تعلم الفارسية أو معرفة طرف من قواعدها، وكانت هذه الحاجة تعظم كلما كثر الطلاب والمتخرجون وعظمت العناية بالآداب الشرقية ورغب الناس فى معرفة قواعدها.

قد يسر اللّه لمدرس من مدرسى كلية الآداب، وخريج من خريجيها هو زميلى وصديقى وتلميذى إبراهيم أمين الشواربى، أن يسد هذه الحاجة ويسنى هذا الطلب، فسبق إلى إخراج كتاب قيم فى قواعد اللغة الفارسية، لاريب أنه سيجدى كثيراً على دارسى الفارسية فى البلاد العربية من طلاب الجامعة وغيرهم، بل أحسب أنه سيرغب فى تعلم الفلرسية وتعرف قواعدها، حين يرون الورد قريباً والطريق معبده.

وفى الفقرة الخامسة والأخيرة قال : ذلكم كتاب واف بقواعد اللغة الفارسية، ضمين بكافية البادئين فيها والمنتهين الذين يطلبون من القواعد ما يكفى لصحة الفهم والإنشاء، وأرجو أن يكون مقدمة لكتاب أكثر استيعاباً وتفصيلاً يفى بمطالب الذين يرغبون التبحر والتقصى، كما أود أن يعقبه كتب للقراءة، ومختارات من الأدب الفارسى تيسر للعالم والمتعلم بلوغ المقصد فى تعلم هذا الأدب، ثم كتب فى تاريخ الأدب الفارسى تتضمن أمثلة منه مترجمة إلى العربية، لتعريف جمهور أدباء العربية ومتأدبيها بهذا الأدب وإنى لأتبشر بهذا الكتاب، وأعده فاتحة مؤلفات كثيرة فى اللغات الشرقية كلها ... وتجعل مصر مجالاً واسعاً لدراسة هذه اللغات، فتشارك فى الجهد المتواصل الذى يبذله المستشرقون فى هذا الشأن، ويقصدها طلاب هذه اللغات من أقطار الأرض.

ولا ريب أن الأستاذ / إبراهيم أمين يستحق شكر أساتذة الفارسية وطلابها فى الجامعة وغيرها من المعاهد التى تدرس هذه اللغة، بل تشكر المتأدبين كلهم.

وأعتقد أن أستاذنا الدكتور / الشواربى قد وعى ما ورد بهذا من

أقطار وما رسمه من منهج فكان نتاجه ثراء وإثراء للمكتبة العربية فى هذا المجال مما جعله علماً ينتفع به، ويكتب لصاحبه الخلود، كما أخبرنا الرسول الكريم ﷺ.

وبعد ،،،

علينا جميعاً سواء الأبناء من صلبه أو طلابه أن نؤدى واجبه علينا ونقضى بعض الدين الذى يحمله الدارسون للغات الشرقية له.

هذه الندوة وهذا التكريم أداء لبعض هذا الدين، ولكن الأداء الأكبر والفعال، إنما يتم بالمحافظة على تراث هذا الأستاذ الكبير، بنشر مؤلفاته وأعماله، والتصدى بكل إيجابية لكل من سولت له نفسه الاعتداء على بعض مؤلفاته وإلا أصبح تراثه نهباً لكل طامع.

شكراً للقائمين على هذه الندوة

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله

دكتور السباعى محمد السباعى

قراءة فى كتاب تاريخ الأدب فى إيران، الجزء الثانى

تأليف المستشرق الإنجليزى إدوارد جرانفيل براون

ترجمة المرحوم الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى

أ.د. أحمد الخولى

تمهيد :

بدت ترجمة هذا الكتاب «تاريخ الأدب فى إيران» تأليف المستشرق الإنجليزى إدوارد جرانفيل براون الذى نقله إلى اللغة العربية أستاذنا المرحوم الدكتور الشواربى بدت كما لو كانت تأليفاً فى ثوبها العربى. فلم يكن المترجم مجرد ناقل من لغة إلى أخرى بل صاغ الترجمة فى لغة عربية قشيبة تشهد له بالمهارة والتمكن. ويظهر هذا جلياً بين دفتى الكتاب الذى يبدو فيه مدى العناء الذى عاناه المرحوم الشواربى.

-١-

صعوبات الترجمة :

يقول أستاذنا عن الصعوبات التى واجهها فى ترجمة هذا الكتاب : «ولترجمته قصة لا تقل روعة عن قصة تأليفه، بل ربما كانت أشد عناءاً وأكثرها بلاء .. لأمور عامة يعرفها كل من كابد الترجمة وعانى النقل

من لغة إلى أخرى ولأمور خاصة أحب أن أنبه إلى بعضها فى هذا المقام».[1] ويواصل المترجم قوله، فيذكر : «إن هذا الكتاب عبارة عن موسوعة أدبية اشتملت على كل ما تعلق بإيران أى البلاد الفارسية من أول ما عُرف من أمرها حتى السنة التى أتم فيها المؤلف كتابه أى إلى سنة ١٩٢٤م. ومن أجل ذلك تضمن الكتاب أموراً مغرقة فى القدم لا تزل تندرج فى تاريخ هذه البلاد وما انتجته من علم وأدب وحضارة».

ولقد حرص المؤلف على أن يجعل كتابه «دائرة معارف» يثبت فيها كل ما نشر من كتب ومقالات وأبحاث تتعلق بسائر العصر التى تعرض لها كتابه، وترتب على ذلك أنه أصبح لزاماً على من يتصدى لترجمته أن يكون مطلعاً على كتابات الشرقيين والمستشرقين التى ذكرها فى ثنايا كتابه، وأن يكون على قدر كبير من الخبرة بحيث يأمن الزلة ويتجنب العثرة.ولطالما صادفتنى إشارات اضطررت فيها إلى الرجوع إلى المكتبات العامة والخاصة فى مصر فوجدت فيها بغيتى أو انصرفت عنها بخيبتى لعدم عثورى على المرجع الذى أطلبه، ثم ظللت أسعى إلى تحقيق ما أريد بوسائل أخرى كلفتنى جهداً كبيراً».[2]

(١) تاريخ الأدب : المقدمة، بقلم الأستاذ الدكتور الشواربى، ص د.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

من هذا الحديث حكم المرحوم الشواربى على نفسه بالخبرة فى العلم والمهارة فى الترجمة والتضلع فى لغة النص ولغة النقل. وهنا يصدق القول السائر بحق «رحم الله امرءا عرف قدر نفسه».

ويستدرك المترجم الكلام فيذكر : «بأن الكتاب وقد مضت سنوات على تأليفه، يتطلب من مترجمه أن يزود ترجمته بكثير من الحواشى والتعليقات. فمنذ فرغ «براون» من كتابه نشرت كثير من الأبحاث والمقالات، وصدرت كثير من الكتب والمؤلفات التى تتعلق بالموضوعات التى احتواها الكتاب، وأصبح لزاماً على المترجم أن يشير إلى هذه الأمور وإلى أمور أخرى تتعلق باختلاف وجهة النظر وإثبات الآراء الجديدة. ولقد شئت أن أوفى الترجمة حقها فأزودها بما فى الوسع من تحشيات وتعليقات، ولكنى وجدت أن حجم الكتاب يتضاعف إذا فعلت ذلك، فاكتفيت مضطراً بجعل تعليقاتى تقتصر على الأهم دون المهم».(١)

وهنا يوفى الأمور حقها، وهذه من خصال المؤمن القوى الذى هو أحب إلى الله من المؤمن الضعيف. والبرهان على ذلك واضح، فهو عندما يعتذر عن مسألة علمية، نراه يقدم ما يقنع القارئ بأنه لم يتعرض

(١) المرجع نفسه ، ص ض.

فى تعليقاته للمسائل الغربية أو العربية التى ساقها «براون» ويستشعر الأسف لعدم التعليق على الأمور العربية ذلك أنه مقتنع بأن القارئ العربى ليس فى حاجة ملحة إلى مثل هذه التعليقات إذ هو عارف بها وليس فى حاجة ملحة إلى مثل هذه التعليقات. ولا يطمح فى أن يذكِّره بها كتاب صنَّف خاصة للتعريف بحياة «إيران» العقلية والفكرية.[١]

ثم ينهض أستاذنا المرحوم الدكتور الشواربى للقول بأن «براون» اكتفى بإيراد ترجمة الشواهد إلى الإنجليزية دون أن يذكرها فى نصوصها الأصلية للعودة إلى لغاتها يترجم عنها ولا يترجم عن إنجليزية «براون» فالترجمة عن ترجمة تفسد الذوق وتخل بالمعنى. فعاد إلى هذه الأصول وأثبتها فى متن الكتاب أو هامشه كما تكون فى متناول القارئ المتخصص بما يعود عليه بالنفع. وهنا لابد أن يختلف مع «براون» ويقف موقف المؤلف. وليس هذا بغريب عليه فهو شاعر من ناحية وذوق الشرق غير ذوق الغرب بالطبع من ناحية أخرى مثلما فعل إزاء رباعية ينسبونها تارة إلى ابن سينا وأخرى إلى الخيام وأورد «براون» لها ترجمة إنجليزية وألمانية لم يقتنع بها أستاذنا فأتى بنص الرباعية وترجمها كما يلى :[٢]

(١) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٥.

- ازحم حضيض خاك تا اوج زحل،
  كردم همه مشكلات كردون راحل
- بيرون هستم زبند هر مكر وحيل،
  هر بند كشاده شد مكر بند أجل

أما الترجمة فهى :

- ما بين حضيض الأرض وأوج زحل،
  استطعت حل مشكلات الفلك بغير ثقل
- ونجوت بنفسى من أحابيل المكر والحيل،
  وحللت كل العقد، ما عدا عقدة الأجل

اضطر أستاذنا للجوء إلى أصدقاء متخصصين فى لغات كاليونانية واللاتينية والفرنسية والألمانية أدركها المؤلف ولم يدركها المترجم فأعانوه عليها. وهذه أمانة علمية أقام لها المرحوم الشواربى وزناً كبيراً فهو يمحص كل معلومة، ويتحرى صدق كل رأى من عدمه. وهذا ما ستبين من المطلب اللاحق.

لما كان «براون» من كبار أدباء الإنجليزية، يقوى على أن ينشأ ترجمة رائعة وشائقة للنصوص الشرقية نثراً وشعراً. أصبح لزاماً على أستاذنا

أن يتكلف كثيراً من الجهد للوصول إلى لب العبارات الأنيقة والوصول إلى معانيها الدقيقة.(١)

-٢-

الخواشى :

مثل المرحوم الأستاذ الدكتور الشواربى شـخصية المؤلف الباحثة بحق فى ترجمـة هذا الجزء من الموسوعة. إذ نجـد حواشى الترجمـة تنطق بهذا الجهد البحثى بين صفحة وأخرى.

١ - فهو مـتتبع للحركـة الثقافيـة وصدور الكتب فى الغرب فـيذكر فى حـاشيـة ص ٢ عن كتـاب «جـامع التواريخ» تـأليف رشيـد الدين فضل اللّه : «طبعت هذ الكتب ونشرت فى أوقـات مختلفة ضمن «سلسلة جب التذكـارية» ماعدا الثـانى فقد نشره الأسـتاذ «براون» سنة ١٩٠٣ فى مـجمـوعة كتـب النصوص التـاريخيـة الفارسـية، وكـذلك الأخـير فـقـد نشرت بـعض أجزائه فى أوقـات وأمـاكن مخـتلفة، كمـا أن دور الكتب المختلفـة تشتمل عـلى بعض أجزائه مكتوبة بالعبرية أيضاً.

(١) المرجع السابق ، ص ط.

٢- ويقتحم مجال العروض، فعندما قطع «براون» بيتاً من الشعر سارع المترجم إلي القول بأن كتابة البيت على النحو التالى :

آفرين ومدح سود آيد همى   گر بگنج اندر زبان آيد همى

٣- وعن الشاعرين «حنظلة البادغيسى» و «الرودكى» نجد المترجم يعرفهما فى حاشية ص ١٠ بأن الأول عاش فى القرن التاسع الميلادى والثانى فى أواخر القرن التاسع وبداية العاشر الميلادى.

٤- ولا يفوته التنويه بمواقع المدن كما أشار فى ص ١١ إلى مدينة «تخت جمشيد» ووقوعها إلى الشمال من مدينة شيراز الحالية.

٥- ونراه يأتى ببقية شعر «الرودكى» وفقاً لما ورد فى «چهار مقله» ص ٣٨ طبع برلين سنة ١٩٢٧م. ونكتفى هنا بالترجمة التى أنشأها المرحوم الشواربى لهذا الشعر كما يذكر هو فى ص ٢٥ :

- روائح «موليان تهب دوما   بذكر أحبتى ومنى زمانى
- ولمس رمله الحانى خير   لدىّ من الحرير الخسروانى
- يفيض النهر كى يلقاك بشرا   ويضحك ماؤه والشاطئان
- فعيشى يا «بخارى» فى نعيم   أميرك مقبل واليمن دانى
- فأنت سماؤه يأتيك «نصر»   كبدر التم يبسم للأمانى
- وأنت رياضه يأتيك «نصر»   شبيه السرو فى أبهى مكان

بهذا الشعر شوّق المترجم القارئ العربى إلى أن يشغف بالشعر الفارسى. وما كان ذلك إلا لأن المرحوم الأستاذ كان ينظم الشعر العربى أيضاً.

٦- ولا يعـرّف «براون» فن «المثنوى» وهو فن مشهور صيغت فيه المنظومات الكثيرة فيعـرّفه المترجم فى ص ٢٩ بأنه عبارة عن النظم المؤلف من أزواج من الأشعار كل اثنين منها متفقان فى الروى مستقلان عما عداهما.

٧- ويزيدنا المترجم معرفة بـ «شرف الدين رامى» صاحب كتاب «أنيس العشاق» على أنه من رجال القرن الثامن الهجرى، وأن له كتاباً آخر هو «حقائق الحدائق».

٨- ويرشدنا تعريفاً بأن كتاب «ترجمان البلاغة» قد نُشر فى تريكا من بين كتب البلاغة الفارسية التى ترجم إحداها أستاذنا الدكتور تحت عنوان «حدائق السحر فى دقائق الشعر» ونشره عام ١٩٤٥م.

٩- والدكتور الشواربى معروف بسعته الثقافية، فهو يضيف على «براون» بيتين من الشعر لسعدى من قصيدة عربية فى سقوط بغداد على يد هولاكو.

- حبست بجفنى المدامع لا تجرى

فلما طغى الماء استطال على السكر

- نسيم صبا بغداد بعد خرابهـــا

تمنيت لـو كانـت تمـر علـى قبـرى

١٠- ويورد المرحوم الشواربى النـص الفارسى المقابل لأبيات متـرجمة لم يثبتها «براون» وهى :

- ألا يا خـيـمـگى خـيـمـه فـروهل

كـه پيش آهنك بيـرون شـد ز منزل

- نبـيـــره زن بزد طبـل نخـســتين

شـتـــر بانان همى بندند مـحــمل

- نماز شــام نزديك است وامــشب

مـه وخـورشـيـد را بينم مـقــابل

- وليـكن مـــاه دارد قـــصـــد بالا

خـروشـــد آفـتـــاب ازكـــوه بابل

- چنـان دو كـفـــه ســيـمين ترازو

كـه اين كـفـه شـود زان كـفـه مـايل

ويوالي الشواربي رحمه الله إثبات النصوص الفارسية كلما تقدم البحث في تاريخ الأدب الفارسي كما في ص ٤٣، ٤٤، ٤٥ وغير ذلك من صفحات..

١١- والمترجم يلفت نظر القارئ لأصول التعريفات كما ذكر عن تعريف التوشيح لدى الفرس كما ورد في حدائق السحر في دقائق الشعر ص ١٦٠ من ترجمته العربية.

١٢- وبينما يقول «بروان» إن كتاباً لم ينشر فلا يغيب عن ذهن المترجم أن الكتاب قد نشر مثلما ورد عن كتاب «دمية القصر للباخرزي» الذي قال عنه إنه نشر في مدينة حلب سنة ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م.

١٣- ويعترض المترجم على المؤلف على استحياء وخفر عندما يرد عليه بأن كتاب «المافروضي» منشور بالعبرية ومطبع في مصر وليست ترجمته الفارسية هي الموجودة.

١٤- يشرح الدكتور كلمات تأتي في ثنايا الحديث مثل (الياقوت البدخشي) المنسوب إلى «بدخشان» وأنه أجود أنواع الياقوت وأن «الشنار» تعريب للكلمة الفارسية «چنار» وهي شجرة مستقيمة العود وأن الفقاع هو شراب مسكر يشبه الجعة.

١٥- عند الحديث عن أمر مبهم. يفكه المترجم بثقافته كما فى ص ١٧٨ عندما قال براون «أقـدم القواميس الفارسيـة» يثبت المترجم أن هذا هو (فهنكـ أسدى) الذى طبعه المستشرق «بول هورن».

١٦- ولأن المؤلف سطحى الثـقـافة عن الـقرآن الكريم يتـولى المتـرجم الإشارة إلى ذلك بما جاء فى سورة هـود الآية ٢٦ حيث قال تعالى : ﴿مـثل الفـريقيين كـالأعـمى والأصم والبـصـير والسـمـيع هل يستويان مثـلاً أفلا تذكرون﴾ فى موطن أخر يشيـر إلى ما جاء فى سورة الملك الآية الثـانية حيث يقـول تعالى : ﴿والذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾.

١٧- ويعلق تعـقيـباً على تـرجمـة قصـيدة أخـرى من قصـائد الشاعـر الإيرانى الكبـير «منهـوچهـرى» الذى عاش حـتى سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١م أنها توجد فى كتاب «لباب الألباب» ج٢، ص ٥٤ - ٥٥ فيما عدا الأبيات الأربعة الأخيرة.

١٨- ويذكر المترجم أن اسم الشاعـر الكسائى قد ورد فى ديوان «ناصر خسرو» تسع مـرات وليس سبع كما ذكر «بروان» من غـير تهجم. ودليله فى ذلك طبعة طهران ١٣٠٤ - ١٣٠٧هـ.

١٩- ويبلغ التدقيق مبلغه حين يتعرض براون لميلاد رمز من رموز الإسلام وهو «ألب أرسلان» من أشهر سلاطين الدولة السلجوقية فيرى أنه فى سنة ٤٢٥هـ / ١٠٣٢م يقول الدكتور الشواربى أن بعض المصادر وصفها ابن الأثير تذكر أن صحة هذا التاريخ ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م.

٢٠- وفى دراسة عن ديوان الشاعر «ناصر خسرو» يترجم المؤلف له قصيدة إلى الإنجليزية قائلاً إن عدد أبياتها مائة فيرد الدكتور الشواربى بأنها تسعة وتسعون على وجه الدقة.

٢١- وفى معرض الحديث عن عمر الخيام ترجم «براون» رواية وردت فى كتاب (چهار مقاله) تأليف «نظامى عروضى السمر قندى» وألحق بها خلطاً وهو ترجمة سطور من رواية لاحقة. يقول الدكتور الشواربى مستدركاً : «يجب أن ننهى هذه الحكاية عند هذا الحد، ولكن الأصل الإنجليزى يضيف إلى ذلك أربعة سطور، أختلط فيها الأمر على المؤلف، فجلعها تكملة أو خاتمة لهذه الحكاية، والواقع أنها مقدمة للحكاية الثانية، وقد تداركت ذلك عند الترجمة،». الأمر الذى ينهض دليلاً على رجوع الشواربى إلى النصوص فى مصادرها الأصلية.

٢٢- ويعقب المترجم علـى ديوان «سنائى» الحكيم الإيرانى المتوفى سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣١م بأنه طبع جملة طبعات خيرها وأحسنها هى التى نشـرها «مـدرس رضـوى» فى إيران سنـة ١٣٢٠ هـ .ش . ويعنى ذلك أن عينه على جميع الطبعات ينتقى أفضلها وأتمها.

هذا قليل من كـثيـر تصـدى له المرحوم الشـواربى فى حـواشيـه على تصنيف «براون» للوقائع الأدبية والتاريخية فى الفترة التى تناولها الكتاب، وتصدى لهـا المترجم إمـا تفسيـراً أو توضيحـاً أو تصحـيحاً أو إضـافة أو استدراكاً، فأثرى الترجمة أيما إثراء، وأغناها أيما غنى.

-٣-

الإنصـــاف

والدكتـور الشواربى يقف فى ترجـمتـه هذه لكتاب «براون» أسـتاذاً ورائداً لأعـتبـارات كثـيرة أهمـها : أنه رحـمه اللّه يعطى للغـة العربـية أرتقائها وجزالتـها إن هى فطرة وإن هى اكتساب. فالقـدرة على صياغة الأفكار فى أسلوب عربى قشيب مانع جامع قائمة مهـما كانت الفكرة ملتوية، وما هذا إلا لتمكنه من اللغتين الإنجليزية والفارسية بشكل يصل إلى مـرحلة الكمـال خاصـة إذا وضـعنا فى الاعتـبـار أن براون لم يكن

بالشخص المثقف فى لغته فحسب بل كان أديباً فى لغته إن نثراً أم شعراً فكثيراً ما يترجم النص التاريخى نثراً وشعراً بتذوق وحس الأديب.

يقول المترجم فى هذا الصدد : «وفى الحق ... إن ترجمة مؤلفات «براون» الذي جمع تراث الشرق والغرب، واستطاع أن يجعل الشرق والغرب يلتقيان فى شخصه، لمن الأمور التى طالما تحرجت من التصدى لها؛ والإقدام عليها، ولم يدفعنى إليها إلا الأهمية التى بينتها فيما سبق لكتابة تاريخ الأدب فى إيران».

وهنا ينصف المترجم مؤلف الكتاب «براون» إذ هو فى نظره مستشرق ينبغى ترجمة ما يكتب فهو منصف . يقول : «وإلا خلة أخرى أعرفها فى «براون» ويعرفها كل من قرأ كتاباته وهى أنه من المستشرقين القلائل الذين أنصفوا الشرق والشرقين، وأعجبوا إعجاباً شديداً بالإسلام وحضارته العربية الفارسية». وفى أقواله الخالدة التى يجب أن نحمدها له وأن نحييها عنه قوله : «إنى أحس فى قرارة نفسى بإعجاب شديد للإسلام وحضارته العربية والفارسية. وأجد لزاماً علىَّ أن أعترف بهذا الإعجاب اعترافاً صريحاً فى هذا الوقت الذى حُرم فيه الإسلام من إنصاف الأوربيين الذين أساءوا فهمه وتصويره ظانين أنهم وحدهم يحتكرون كل دروب الحضارة والتمدن وأن اللّه قد وكل إليهم أن يفرضوا على العالم أجمع نظمهم فى

السياسة وفى أساليب التفكير والثقافة أيضاً !! ومن أسف أنه كلما تقدمت السنون أخذ عدد الدول الإسلامية المستقلة في النقص والقلة وأخذ ما بقى منها مستقبلاً يهدده التدخل الأوربى بكل أنواعه. وليس من شك عندى فى أن المسلمين أنفسهم مسئولون عن ذلك بعض الشيء وأن الشعور بالفتور والإهمال اللذين ركبا فى أنفسهم يساعدان الأوربيين بما ركب فى طباعهم من جشع فى امتلاك ونهم للغزو والفتح على أن يعجلوا بالقضاء على هذه الدول الحرة والولايات المستقلة. ومن أسف أيضاً أن العقول الغربية لا تفكر إلا فى الواقع المادى، ولن يأخذها شيء من الرحمة والشفقة فى سبيل القضاء على هذه الدول الإسلامية بل إن أوداجها لتنتفخ بهذه الفتوحات الجديدة التى أعدّها لأولادهم ورؤوس أموالهم. ومع ذلك كله فإن عدداً قليلاً ممن خبر الشرق وأهله، وعرف كيف يحبه ويحبهم، ليتحقق من مقدار ديننا لهم بأغلب الأفكار الروحية العظيمة التى جعلتنا نشعر بلذة الحياة وقيمتها، ويدرك أنه كلما زالت من الوجود واحدة من هذه الدول الإسلامية المستقلة، فإن العالم يفقد بفقدها شيئاً لا يمكن تعويضه.

وبذلك أبرز «الشواربى» صاحبه «براون» كما لم يبرزه أحد، وأعطاه حقه من حيث إنصافه للإسلام والمسلمين بهذا الحماس الذى لم يُعهد

فى مستشبرق آخر على الرغم أنه ليس معروفاً على المستوى العام بقدر ما هو معروف فى دائرة التخصص الضيقة.

يقول الدكتور فى تواضع جم : «وإنى لموقن بعد ذلك أن القارئ العربى سيعجب بـ «براون» وبمؤلفاته وأن هذا الأعجاب سيكون سبيلى لديه فى اغتفار مواضع الزلل والعثار، ووسيلتى إليه كلما تطلبت الحجج والأعذار».[1]

ولأن المبادئ كل لا يتجزأ، فقد كان لزاماً على صاحبها أن لا يتجاذل عن شيء. فهو فى مجال رباعيات الخيام لاينسى أن يشير فى ص ٣١٨ من الكتاب إلى أنه كان من المفيد أن نذكر للقارئ العربى أن أهم مترجمى الرباعيات إلى اللغة العربية هم السادة :

وديع البستانى، محمد السباعى، محمد الهاشمى، أحمد الصافى النجفى، جميل صدقى الزهاوى، أحمد حامد الصراف، أحمد رامى، أحمد زكى أبو شادى، توفيق مفرج، حسين مظلوم رياض، عبدالحق فاضل، وترجم إبراهيم عبدالقادر المازنى بعض الرباعيات فى «حصاد الهشيم».

(١) المرجع السابق : المقدمة، ص ٤.

ويذكر أيضاً تلامذته ورفقاء العلم ويطلق عليهم لقب صديق. يقول فى هامش ص٥٢٥ فى نهاية الحديث عن نظامى : «من حسن الحظ أن أحدث بحث عن «نظام» هو الذى كتبه بالعربية صديقى الدكتور عبدالنعيم حسنين، وأحرز عليه فى العام الماضى أول درجة للدكتوراه من جامعة إبراهيم (عين شمس) وقد تمكن فى نشره هذا العام بعنوان : نظامى الكنجوى شاعر الفضيلة».

حتى تلك الرسائل التى كتبت بالآلة الكاتبة كان لها بعض النصيب. يقول المترجم فى هامش ص ٦٦٧ : «كتب عن «سعدى» بالعربية كتابان أولهما : رسالة بعنوان «السعدى الشيرازى» مطبوعة على الآلة الكاتبة ومحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٧٣٨ وهى من تأليف الأستاذ «ظهير الدين أحمد» من خريجى دار العلوم وجامعة حيدر آباد وتاريخها ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م.

ثانيهما : كتاب بعنوان «سعدى الشيرازى» نشره الدكتور محمد موسى هنداوى المدرس بكلية دار العلوم فى ١٩٥١م».

وهكذا يمضى المترجم فى صفحات الكتاب إلى أن يصل إلى الخاتمة فيقول : «عندما ندرس تاريخ أمة من الأمم أو نتعرض على الخصوص

لحضارتها وحياتها العقلية لا يمكننا أن نصل إلى نقطة من النقط نستطيع أن نقف عندها، ونقول فى دقة وإيمان بأن هذه النقطة تنتهى بها فترة من فترات تاريخها. ومع ذلك فهذا التحديد ضرورى لأغراض عملية كثيرة. ولقد سبق لى أن قرأت أن تاريخ إيران بل تاريخ الإسلام كافة لا يمكن أن توجد به معالم واضحة تفرق بين أزمته السابقة أو اللاحقة لهذه النكبة التى ابتلت ديار المسلمين بغارة المغول، وكل ما هنالك أنه منذ وقعت هذه النكبة النكباء لم يستطع الإسلام أن يفيق مما أصابه من ركود عام فى سائر نواحيه، وخاصة النواحى الفكرية والعقلية منها. وقد اختفى المغول منذ أمد بعيد، ولم يعودوا قوة عالمية يحسب حسابها، أو عاملاً سياسياً يرهب جانبه. ولكنهم مع ذلك كله استطاعوا أن يغيروا معالم الأرض بما أحدثوه فيها من تخريب لا يمكن إصلاحه وبلاء لا يمكن علاجه.(١)

ولعل رحلة المرحوم الأستاذ الدكتور الشواربى فى ترجمة هذا الجزء كانت مجهدة ولكنها فى نفس الوقت رائعة ومبدعة. يقول : ولطالما هدأ من روعى، وخفف من وجلى بيتان من الشعر، صغتهما همساً، وظللت

(١) المرجع السابق، ص ٦٨٩.

أرددهما طوال المدة التى ترجمت فيهـا هذا الكتاب فكان بالنسبة لى نداءً يدعو القافلة إلى المثابرة والمسيـر، وبالنسبة للقارئ دعاءً يدعوه إلى مغفرة الزلل والتقصي فأما هذان البيتان فهما :

لقد تعب المؤلف والمترجم فليتك قدر هذا الجـهد تعـلم

كلانا دائب يسعى ويشـقى فهل ألفيك عند السهو ترحـم

رحم اللّه أستاذنا الشواربى، وجعل الجنة مثواه.

أفغانستان فى كتابات أستاذنا

المرحوم الأستاذ الدكتور / إبراهيم أمين الشواربى

د. عفاف السيد زيدان

أستاذ الأدب الفارسى - جامعة الأزهر

أولاً : أتوجه بالشكر والتقدير إلى كلية الآداب جامعة عين شمس لإقامتها مؤتمراً يحمل اسم رائد عظيم من رواد الدراسات الشرقية فى مصر وهو أستاذنا العظيم الأستاذ الدكتور / إبراهيم أمين الشواربى.



وللأسف الشديد أنني لم أتشرف بالدراسة المباشرة على يد أستاذنا الجليل الدكتور الشواربى ولكن كنت وزملائى فى جامعة القاهرة نعرف عنه الكثير فقد كانت لا تمر محاضرة إلا ونسمع عنه من أستاذنا الدكتور يحيى الخشاب ما يبهرنا عن علمه ومؤلفاته وتفوقه فى مجال الدراسات الشرقية بحيث أنه كان يوصينا أن نقتنى كل مؤلفاته وأن نقرأها جيداً ولا زلت فى هذا المجال أحفظ نص عباراته عن كتاب القواعد الأساسية فى اللغة الفارسية حيث قال لنا إن هذا الكتاب الثمين «هو أحسن ما كتب عن القواعد الفارسية باللغة العربية».

وحينما جئت إلى جامعة عين شمس فى أوائل عام ١٩٦٨م لدراسة الدكتوراه مع الأستاذ عبدالمنعم حسانين كنت فى رحاب تلاميذ الدكتور الشواربى فكان الثناء عليه لا ينقطع والحديث عنه كان موصولاً وكان ذلك بعد وفاته رحمة الله عليه.

كان أستاذنا من هذا الجيل الذى آمن إيماناً كاملاً بأن الحضارة الإسلامية هى وحدة واحدة فى جوهرها وأصلها وتجلياتها ولكنها كتبت بلغات متعددة تبعاً للغات الأمم الإسلامية وهى العربية والفارسية والتركية والأردية وهذا التعدد فى اللغات يعد عائقاً فى سبيل معرفة هذه الحضارة معرفة كاملة.

كان أستاذنا من هذا الجيل الذى كان يؤمن بالتفقه فى اللغة العربية ثم الاتجاه بعد ذلك إلى اللغات الشرقية ولذلك جاءت ترجماته عن الفارسية لوحات جميلة يزدان بها الأدب العربى ولازلت أحفظ فى طيات ذاكرتى الكثير والكثير من جمله العربية الرشيقة التى جاءت فى ترجماته التى تزخر بها المكتبة العربية.

ولقد تنوعت وتعددت كتابات أستاذنا فى اللغة الفارسية وآدابها وقد اخترت من هذا التنوع كتابته عن أفغانستان.

جاءت كتابته عن أفغانستان فى كتيب صدر بالقاهرة من مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية بمناسبة زيارة الملك محمد ظاهر شاه[١] للقاهرة فى الأسبوع الأخير من شهر أكتوبر عام ١٩٦٠م وقد اغتنم المعهد هذه الفرصة الكريمة للتعريف بهذا البلد الإسلامى الصديق فنظم فى نطاق رسالته العلمية سلسلة من المحاضرات عن أفغانستان اشترك

(١) الملك محمد ظاهر شاه آخر ملوك أفغانستان تولى الحكم عام ١٩٣٣م وظل ملكاً حتى قام السردار محمد داأود ابن عمه وزوج أخته بانقلاب ضده عام ١٩٧٣م وكان الملك فى زيارة إلى إيطاليا وأعلن السردار محمد داود الجمهورية وألغى الملكة. وكان ذلك بمساعدة روسيا وقد أبقته روسيا فى الحكم خمسة أعوام ثم أطاحت به وبأعوانه وبأولاده وأحفاده فى مذبحة مروعة عام ١٩٧٨م وعينت تركى فى الحكم ثم أطاحت به أيضاً بعد عام دخلت الجيوش الروسية أفغانستان فى ديسمبر عام ١٩٧٩م. وظل الروس يخوضون حرباً ضارية ضد الأفغان. وقد جاهد الأفغان جهاد الأبطال وحصلوا على النصر فى معارك شتى حتى تمكنوا من الحصول على استقلالهم من روسيا فبراير ١٩٨٩.

فيها نخبة من الأساتذة المختصين ثم طبعت هذه المحاضرات فى كتاب فى يناير ١٩٦١م حيث ضم الكتاب محاضرات الأساتذة:

الدكتور محمد عبدالمنعم الشرقاوى الذى كتب عن جغرافية أفغانستان.

الدكتور أحمد محمد الساداتى الذى كتب عن أفغانستان منذ الفتح الإسلامى

الدكتور إبراهيم أمين الشواربى الذى كتب عن أفغانستان والآدب الإسلامية

الدكتور عثمان أمين الذى كتب عن جمال الدين الأفغانى فى القاهرة.

ثم اختتم الكتاب بحديث عن أفغانستان عام ١٩٦٠م فتناول نظام الحكم والسياسة الخارجية والتعليم والحياة الاجتماعية والحركة النسائية والرياضة والإذاعة والصحافة.

ويقع الكتاب فى ١٣٥ صفحة وهو مزود بمجموعة من الخرائط والصور النادرة وقد طبع بمطابع دار الشعب.

والبحث الذى أنا بصدده هو البحث الذى كتبه أستاذنا الدكتور إبراهيم أمين الشواربى واستغرق البحث من ص ٥٣ إلى ص ٥٨ بدون حواشٍ أو تعليقات.

لم يشر أستاذنا فى مقاله إلى المصادر التى رجع إليها والتى استقى منها معلوماته عن أفغانستان ولكن يتضح من المقال والمعلومات الغريرة التى وردت فيه أن أستاذنا رجع إلى أمهات المصادر العربية والفارسية والأوربية فكل كلمة وردت فيه كتبت بعناية فائقة هذا إلى جانب استعانته بمجموعة نادرة من الصور عن آثار أفغانستان ومعالمها الشهيرة مثل ضريح أحمد شاه بابا فى مدينة قندهار، وواجهة ضريح خواجة محمد بارسا بمدينة بلخ والمسجد الجامع بمدينة هرات وقد أورد له صورتين وضريح خواجة عبدالله الأنصارى بمدينة هرات.

كما استهل أستاذنا مقالته بالحديث عن الإسلام بنظرة شمولية فالإسلام لا يعرف الوطنية المكانية والقومية العرقية بل الإسلام هو الدين والوطن والقومية حيث يقول «إن الشعوب العربية التى اعتنقت الإسلام وتثقفت بثقافته لم تقتصر لغة العلم والآداب فيها على ما أنشأته بلسانها القومى وإنما تجاوزته إلى منشآت أخرى بلسان أو أكثر من ألسنة الشعوب الإسلامية الأخرى باعتبار أن التطور التاريخى والترابط الإسلامى والواقع العملى قد جعل من هذه الشعوب وحدة فكرية لا فاصل بينها فى الحدود المادية ولا المعنوية وأن ثقافتها جميعاً تنطوى فى وحدة ثقافية إسلامية لا تتغير أسسها الرئيسية ولا تتبدل

ملامحها العامة فى أى مقال صيغت فيه وبأى لسان قيلت به».

ثم اتخذ أفغانستان مثالاً للتطبيق على كلامه حيث يقول (وأفغانستان بحكم موضعها الطبيعى والسلالات البشرية التى تسكن أراضيها والأحداث التاريخية التى مرت بها تعتبر أصدق مثال لصدق هذه الدعوى ص ٥٣).(١)

ثم انتقل أستاذنا إلى الآثار الفكرية التى أنشأها الأفغان بالنسبة للغات التى وجدت على أرضها وحدد من هذه اللغات أربعاً فقط. رأى أستاذنا فيما يبدو أن يركز على الأربع التى صاغت التشكيل الفكرى والثقافة للأفغان وهى :-

اللغة العربية - اللغة الفارسية - اللغة البختو أو البشتو - اللغة التركية الشرقية وبدأ أستاذنا بالحديث عن اللغة العربية ومركزها فى أفغانستان فذكر «أن اللغة العربية هى لغة الكتاب الكريم الذى يستقى منه المسلمون تعاليم دينهم فى مشارق الأرض ومغاربها وبذلك أصبحت دراسته بالتبعية دراسة اللغة العبرية التى نزل

(١) تقع أفغانستان فى جنوب شرقى آسيا ويحدها من الشمال الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى ومن الغرب إيران ومن الجنوب والشرق باكستان وهى ترتبط مع الصين وكشمير فى أقصى حدودها الشمالية الشرقية وهى تتمتع بموقع استراتيجى هام فى قلب آسيا. والأفغان أجناس متعددة وقوميات كثيرة ويمكن تقسيمهم الآن لي ما يلى : البشتون - التاجيك الأوزبك - الهزاره - التركمان - البلوج - القرغيز.

بها، من أوليات المسائل التى يهتم بها كل متعلم إسلامى حتى أصبحت العربية فى سائر البلاد التى دخلها الإسلام لغة غازية بمعنى أنها فتحت وغزت ألسنة أعجمية كثيرة فاستطاعت أن تستأصل بعضها جملة وتحل محلها كما فعلت فى مصر والشام وشمال أفريقيا واستطاعت فى بعضها الآخر أن تطغى عليها وتغيرها تغييراً ملموساً كما فعلت فى ألسنة الشعوب الفارسية والتركية وسائر الألسنة الأعجمية المنتشرة فى الديار الإسلامية الممتدة من أوربا وأسيا الصغرى إلى هضبة بامير والصين وشبه القارة الهندية وبلاد كثيرة من القارة الإفريقية».

وانتقل أستاذنا من هذا العرض إلي جزئية فى غاية الأهمية وهى (أن العربية لم يصبح موطنها مقصوراً على البلاد العربية وحدها وإنما امتد إلى مواطن أخرى ويجب أن تدخل فى عدادها أفغانستان وخراسان وإيران وتركستان وما وراء النهر والهند والصين وبلاد الأندلس وبعض بلاد أوربا الشرقية وتركيا وأفريقية بل يدخل فى عدادها فى الوقت الحاضر بعض عواصم المهجر والأمريكتين).

وقسم أستاذنا إنتاج الأفغان فى الآداب العربية إلى ثلاثة أنواع : -

أولاً : نتاج الأفغان الذين اكتسبوا اللسان العربى ولم يؤثر عنهم أنهم اتخذوا إلى جواره لساناً آخر.

ثانياً : نتاج أصحاب اللسانين وهم الذين كتبوا بالعربية وبلسان قومى آخر.

ثالثاً : نتاج المقتبسين وهم الذين لم يتخذوا العربية لساناً أو وسيلة لكتاباتهم ولكنهم كانوا عارفين بها معرفة كافية تمكنهم من الاقتباس منها بسهولة تامة وبحرية كاملة بحيث أصبحت مؤلفاتهم بلغتهم القومية موشاة بكثير من المقولات العربية الخالصة).

ولم يكتف أستاذنا بهذا العرض بل ذكر أن أفغانستان تعنى عناية خاصة بتعليم العربية فى كثير من مدارسها بل فى أغلبها فاللغة العربية تدرس فى جميع المدارس المتوسطة الثانوية وفي كلية الآداب والشريعة ومدرسة دار العلوم ومدارس الشريعة فى سائر أنحاء البلاد.[1]

(١) من العلماء الأفغان العظام الذين شاركوا إخوانهم العرب فى دراسة الآداب العربية والفقه والتفسير والحديث علم الكلام والتصوف والفلسفة على سبيل المثال لا الحصر من الفقهاء والمحدثين الإمام أبو حنيفة النعمان (ت ١٥٠هـ) ومن المفسرين شيخ الإسلام الصابونى (ت ٤٤٩هـ) ومن المتصوفة شقيق البلخى (ت ١٥٣هـ) ومن الأطباء الفلاسفة ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) ومن المتكلمين أبو القاسم الكعبى (ت ٣١٩هـ) ومن المؤرخين أبو زيد البلخى (ت٣٢٢هـ) ومن الجغرافيين السائح الهروى (ت ٦١١هـ) ومن علماء اللغة والنحو أبو منصور الأزهرى (ت ٣٧٠هـ). وكانت اللغة العربية لغة الدواوين فى الدولة الغزنوية، أما فى العصر الحديث فنجد المفكر جمال الدين الأفغانى الذى خلف مدرسة كبيرة كان من روادها الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا.

ولا تزال اللغة العربية موجودة فى أفغانستان حتى الآن وتتحدث بها قرى كثيرة فى شمال أفغانستان بالقرب من بلخ وقد زرت إحدى هذه القرى وتحدثنا باللغة العربية مع أهلها وهم يتحدثون العربية الفصحى، ولو تحدث أحد معهم باللغة العامية فإنهم لا يفهمون ما يقول.

ثم انتقل الدكتور الشواربى إلى اللغة الفارسية فى أفغانستان حيث يقول : «ولقد تكونت فى أفغانستان جملة من الإمارات المستقلة اتخذت الفارسية لغة رسمية لها ومن عجب أن رؤساء هذه الدول لم يكونوا من أصل إيرانى أو أفغانى ولكنهم اتخذوا الفارسية لغة لهم وقد ترتب على ذلك أن النتاج الفكرى لهذه الشعوب المختلفة أضيف إلى الفارسية وتوهم بعض الناس أن هذا النتاج يضاف إلى الإيرانيين ماداموا هم أوضح الشعوب التى تتخذ الفارسية لسانا فأضافوه إليهم دون تحرز أو انتباه وهو فى الحقيقة نتاج شعوب منها الأفغانى والتركستانى والهندى والباكستانى التركمانى والآذرى».

ثم ذكر أن أصحاب كتب التراجم والتواريخ الفارسية وخاصة المبكرين منهم مثل محمد عوفى فى كتابه لباب الألباب ودولتشاه فى كتابه تذكرة الشعراء وخواندمير فى كتابه حبيب السير وميرخواند فى كتابه روضة الصفا استطاعوا أن يبينوا لنا أسماء الأدباء والعلماء والشعراء والفقهاء والحكماء الذين ينتسبون إلى كل دار من هذه الديار ثم ذكر أن حسب الذى يعوزه الدليل أن يرجع إلى أخبار من ينتسبون إلى بلخ وهراة وغزنة وبلاد الغور وسجستان وجميعها أنحاء من أفغانستان وذكر منهم على سبيل المثال : العنصرى البلخى وسنائى

الغزنوى وناصر خسرو وظهير الدين الفارابى وأبا الحسن الهجويرى وعبد الرحمن الجامى) ثم ذكر أنه فى هذه الوريقات لا يستطيع أن يستوعب مجرد ذكر أسمائهم».[1]

ثم انتقل أستاذنا إلى اللغة الثالثة وهى لغة البشتو أو البختو وذكر «أنها تعتبر ثانى اللغات القومية المستعملة فى أفغانستان وهى فى تزاحم وتسابق دائمين مع اللغة القومية الأخرى أى الفارسية وذكر أن الحكومة عممت منذ مطلع القرن العشرين تعليم هذه اللغة فى مدارسها جنباً إلى جنب مع الفارسية وصدرت بها منذ ذلك الوقت طائفة كبيرة من المطبوعات الحكومية والصحفية والتعليمية ولغة البختو لغة آرية الأصل تمتاز بمحافظتها الشديدة على أصولها الآرية القديمة ويتحدثونها فى النواحى المجاورة لها من بلاد الهند وباكستان وكشمير وبلوجستان

(١) من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر أبو مؤيد البلخى صاحب الشاهنامة المنثورة التى كتبها عام ٣٥٠هـ وهى التى كانت أحد مصادر الفردوسى (ت ٤١٦هـ) الرئيسة حينما نظم شاهنامته والشاعرة رابعة بلخى وسنائى الغزنوى صاحب حديقة الحقيقة ومولانا جلال الدين الرومى (ت ٦٢٨هـ) صاحب المثنوى ومولانا عبدالرحمن الجامى (ت ٨٩٨هـ) شاعر الصوفية الكبير ومؤرخهم العظيم وشيخ الإسلام خاجة عبد الله الأنصارى (ت ٤٨١هـ) صاحب منازل السائرين غيرهم لا نستطيع لهم إحصاءً أو عدا وقد تركوا تراثاً عريضاً فى الفارسية أصبح ميراثا لجميع الأمم التى تتحدث الفارسية. واللغة الفارسية هى اللغة الأولى فى أفغانستان دون منازع فهى لغتهم فى المحافل الدولية، وهى لغة السياسة والآداب والفنون وهى لغة مؤتمراتهم ومنتدياتهم العلمية وهى لغة الدواوين والدوائر الحكومية ولغة المدارس والجامعات.

وذكر أن علماء اللغة يقدرون عدد المتحدثين بها بثلث سكانها كما أنهم يقدرون عدد المتحدثين بها عامة فى أفغانستان والبلاد المجاورة بما يقرب من عشرة مليون أو أكثر).

ثم عدد أستاذنا كثيراً من شعراء البشتو مثل :

خوشر حال ختك ١٦١٣ - ١٦٩١م وأن هذا الشاعر خلف تراثا من الشعر يزيد على ثمانين ألف بيت من الشعر وأن ابنه أشرف ختك كان شاعرا حماسياً وأن ابنته حليمة كانت شاعرة مجيدة طيبة الأقوال والشاعر رحمان بابا ١٦٣٢م - ١٦٨٤م وشعره بالنسبة للبختون مثل شعر حافظ بالنسبة للإيرانيين.

وتحدث كذلك عن بير محمد ختك وحميد مهند، وأحمد الدين الذى نقل شاهنامة الفردوسى وترجم ألف ليلة وليلة إلى لغة البختو ثم أفضل ختك الذى توفى عام ١٧٩٦م ومن مؤلفاته التاريخ المرصع ضمنه تاريخ البختون كما أنه يشتهر بأنه مترجم كتاب كليلة ودمنة إلى لغة البختو، ثم ذكر أن شعر البختو يمتاز بانسياب شعرائه على سجيتهم وهم يتغنون بالطبيعة فى شتى مظاهرها ولغة البختو تكتب بالحروف العربية بزيادة اثنى عشر حرفا ومفرداتها خليط من البختو والألفاظ الفارسية والتركية والعربية.

ثم انتقل أستاذنا للحديث عن اللغة التركية التى تعرف بالجغتائية وذكر أن أفغانستان أسهمت فى نهضة اللغة التركية الشرقية التى تعرف بالجغتائية وقد شاءت الظروف والأحداث التاريخية أن تجعل الترك فى أفغانستان أقوياء الصلة بالترك الذين يقطنون جمهورية أوزبكستان وكان الوزير على شيرنوائى وزير السلطان حين بايقرا صاحب فضل فى تدعيم اللغة التركية الجغتائية واتخاذها لساناً أدبياً مستحدثاً يدخل فى عداد الألسنة الأدبية كما كان لها نواح أخرى من الفضل على سائر الفنون فقد اشتهر بين مصوريها بهزاد وشاه أبو المظفر ومن موسيقيها قول محمد وشيخ نائى وحسين عودى وكان نوائى نفسه أديباً ومصوراً وموسيقياً استطاع الأدباء والشعراء والمصورون والموسيقيون أن يحظوا برعايته ويفوزوا بصلاته وعنايته.

وذكر أستاذنا أن أفغانستان كان لها فضل كبير فى نشأة لغة إسلامية خامسة هى اللغة الأردية التى نشأت فى شبه القارة الهندية.

وقد وضع الأسس الأولى لهذه اللغة بقدوم الفاتحين من الشمال عبر أفغانستان منذ أيام محمود الغزنوى الذى اشتهر بغزواته فى الهند.

ثم يذكر أستاذنا أن أفغانستان لم تساهم فعلا فى إنتاج أدب أردى

ولكن يذكر لهـا أنها كانت نقطة البـداية أو نقطة الانطلاق فى نشأة هذه اللغة الإسلامية التى اتسع انتشارها وتكاثر نتاجها.

وانتهى من ذلك بأن الإنسان الأفغانى لا يمثل ثقافة إسلامية محدودة بلغـة واحـدة وإنما هو واسع الأفق يستطيـع أن يلم بجـملة من الآداب الإسلامـية فـى ألسنتهـا الرئيسـية الكبـرى وأوضح مثـال على ذلك هو الزعيم الشرقى الكبير جمال الدين الأفغانى.

وانتـقل أستـاذنا بعـد ذلك للحـديث عن الآثار الأفغـانيـة فذكـر أن آثار أفغانسان تمثل تاريخاً يمتد عشرات القـرون وتنتشر الآثار الأفغانية القديمة فى مناطق بامـيان، بلخ، قندز، شـيوكى بندمك، سـرخ كوتل، غزنى لـشكركاه، بكرام، شترك وفندقستان، وذكر أن بعض هذه الآثار يرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد كما يتصل بعضـها بالفتح المقدونى على يد الإسكندر وخلفائه من بعده ومن بين هذه المخلفات مسكوكات منقوشة باللغة الإغريقية.

تحدث عن وادى باميـان وأنه من المناطق الأثرية ذات التاريخ القديم ويمثل وادى باميـان الفرع الجنوبى لما كـان يعرف بطريق الحـرير الشهـير الذى كان فيما مضى شريان التجـارة بين الهند والصين ومعبراً للثقافات والفنون والعلوم وملتقى للحضارات والأديان والمذاهب.

ويقع هذا الوادى بين مدينتين تاريخيتين هما بل وبيشاور وذكر أن أهم ما فى وادى باميان من الآثار التاريخية تمثالان عملاقان منحوتان فى جدار سلسلة جبال هندكوش يمثلون بوذا ويبلغ ارتفاع التمثال الأول ٥٣ مترا ويعتبر أضخم تمثال لبوذا عرف حتى الآن ويعرف باسم (سرخ بت) أى الصنم الأحمر ويمثل أرقى ما وصل إليه فن النحت اليدوى أما تمثال بوذا الثانى فيبلغ ارتفاعه ٣٥ متراً ويعرف هذا التمثال باسم «خنك بت» أى الضخم الأزرق ويعد أقدم الآثار الموجودة فى وادى باميان. ويرجع تاريخ إقامته إلى القرن الأول الميلادى وهو منحوت فى صميم الصخر فى شبه طاقة عمقها ثمانية أمتار على جدرانها بعض النقوش والرسوم الملونة.(١)

وذكر أن من الآثار القديمة ذات القيمة التاريخية لوحة أثرية عثر عليها أخيراً فى مدينة قندهار القديمة وهى منقوشة باللغتين اليونانية والآرامية.

---

(١) يوجد صنم ثالث لبوذا يبلغ ارتفاعه ٢٢ مترا. وقد زرت مدينة باميان ١٩٦٩م وهى منطقة مملوءة بالآثار البوذية لقد أطلق أهل أفغانستان على الصنم الكبير شاه بابا أى الملك الوالد وعلى الصنم الأصغر شاه ماما أى الملكة الوالدة. كما توجد أصنام صغيرة الحجم يذكر أهل باميان أنهم أولاد الملك والملكة.

وذكر أن متحف الآثار في مدينة كابل ينقسم إلى ثلاثة أقسام الأول خاص بالآثار القديمة والثانى بالآثار الإسلامية والثالث خاص بأصول السلالات البشرية.

وتمثل الآثار الإسلامية فى متحف كابل عدة قاعات من بينها القاعة الغزنوية ثم قاعة القرآن الكريم وقاعة المخطوطات وكلتاهما تحتويان على نسخ من القرآن الكريم والتفسير والحديث ومن معروضات هذه القاعة نسخة القرآن الكريم مدونة بالخط الكوفى على رق الغزال وتنسب إلى ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان. كما توجد ثلاث نسخ أخرى من القرآن الكريم مكتوبة بالخط الكوفى على الرق كذلك.

وذكر أستاذنا أن من بين البدائع الإسلامية فى أفغانستان مسجد هرات. وذكر أن من بدائع الآثار الإسلامية فى أفغانستان المسجد الجامع فى هرات وقد أنشئ هذا المسجد منذ القرن الخامس عشر الميلادى وكان مؤلفا من ثلاث أقسام منفصلة يبلغ طوله ١٨٠٠ قدم ولم يبق من هذا المسجد العظيم سوى أطلاله[١] ومنائره الثلاث والقبة التى كانت

(١) جدد هذا المسجد وأعيد إلى سابق عهده فى عهد الملك محمد ظاهر شاة الذى حكم من عام ١٩٣٣ إلى عام ١٩٧٣م. وقد زرت هذا المسجد عام ١٩٧٠م حيث أقمت مدة أربعة أيام فى مدينة هرات.

مكسوة من الداخل بالفسيفساء ومنقوشة بآيات القرآن الكريم بالخط الكوفى كما كانت مكسوة من الخارج بالقيشانى المختلف الألوان وكان يبلغ ارتفاع المنارة بين ١٢٠، ١٥٠ قدماً، أما قبة المسجد فيبلغ قطرها ٧٥ قدماً تحيط بها منابر الجامع الأربع، وكان ارتفاع مدخل الجامع ثمانين قدماً ومقاماً على أروقة قائمة على عدد من الأعمدة المنقوشة بالآيات القرآنية الكريمة وكان مكتوباً على واجهة الرواق.

تلك آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار.

ثم تحدث عن منار جام وأنها تقع على نهر هريي رود[١] ويبلغ ارتفاع منار جام نحو سبعين متراً وقاعدته ثمانية ا لشكل ذات ثمانية أضلاع طول كل منها أربعة أمتار وارتفاع هذا الجزء من المنار ويبلغ مترين ويعلوه جزء أسطوانى الشكل يبلغ ارتفاعه نحو أربعين متراً ويحتوى هذا الجزء من الداخل على ١٩٢ درجة وارتفاع الدرجة منها نحو قدم ثم يليها الجزء الثالث من المنار وهو أسطوانى كذلك ويبلغ

(٢) هرى رود : أى نهر هرى وهرى منسوبة إلى هرات ويبلغ طول هذا النهر ٥٣٠ ميلا ويشق طريقاً غرباً وسط هضاب أفغانستان الوسطى وتضيع مياهه وسط منطقة رملية جدباء على الحدود الفاصلة بين أفغانستان وإيران وسهول نهر هرى فى هرات من أخصب المناطق الزراعية وأكثرها غنى.

ارتفاعه نحو عشرة أمتار ثم يبلغ ارتفاع الجزء العلوى من المنار نحو سبعة أمتار وينتهى بنحو شرفة دائرية لوقوف المؤذن عليها وفوقه قبة بديعة الصنع ويبلغ عدد درجات السلم الموصل من أسفل المنار إلى شرفته العلوية ٢٥٠ درجة ومنار جام مشيد كله من الآجر والنقوش البديعة على سطحه الخارجى ناشئة من تصفيف الآجر بطرق فنية وقبة المنار منقوشة بكتابات بالخط الكوفى ولا شك أن هذا المنار الرائع كان مئذنة لمسجد كبير وينسب بناء هذا المسجد إلي السلطان غياث الدين الغورى الذى وجد اسمه مكتوباً بالخط الكوفى على أحد الأجزاء العليا من المنار.

ثم تحدث عن «ألوان الفن والثقافة الإسلامية ذات الطابع الأفغانى التى انتشرت فى ربوع القارة الهندية على أيدى السلاطين والأمراء الأفغان. ثم أشار إلى مجموعة الآثار الأفغانية التى يرجع عهدها إلى القرن الثامن عشر معروضة فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة من بينها باب من الرخام الأبيض ذو زخارف نباتية محفورة داخل مستطيلات تتوسط كل منها باقة من أفرع نباتية وأزهار كما يوجد سيف ومجموعة من البنادق المزخرفة المطعمة بالذهب والفضة».

المنهج التاريخى الذى اتبعه أستاذنا فى كتابه :

بعد أن أستعرضنا أهم النقاط التى أوردها أستاذنا فى مقاله حول أفغانستان نلاحظ ما يلى على المنهج الذى اتبعه :

تنوعت معارف أستاذنا واهتماماته حول الآداب الفارسية فقد كتب فى اللغة والأدب والترجمة إضافة إلى تاريخ الأمم التى تتحدث اللغات الشرقية فقد أوتى قدراً عظيماً من المعرفة إضافة إلى مقدرة كبيرة على ربط الأحداث وتسلسلها بطريقة سهلة وهو فى هذا صاحب ثقافة مكنته أن يتحدث فى آن واحد عن كثير من أفرع العلم التاريخ والآثار واللغات والعقائد السلالات البشرية وهذه مكانة فى التحليل والكتابة لا يقدر عليها إلا من أوتى حظاً عظيماً فى العلم وجهداً متواصلاً على البحث والقراءة.

وأستاذنا فيما كتبه عن أفغانستان وفق توفيقاً كبيراً فى هذه المهمة العلمية على الرغم من الصعوبات الكثيرة التى تصاحب الذين يؤرخون لأفغانستان ومن أهم هذه الصعوبات ندرة المصادر والمراجع وإن وجدت فهى علي شكل مخطوطات غير صالحة لتقديم المعلومات بطريقة مبسطة إلا بعد تحقيق ودراسة حتى يمكن التثبت من الحقائق التاريخية.

كتب أستاذنا مقالة عن أفغانستان بطريقة السهل الممتنع ويبدو أن

هذه الكتابة لم تكن هينة فقد كان اعتماده على القديم والحديث من المصادر والمراجع العربية والفارسية والأوربية إضافة إلى رؤيته الخاصة ومقدرته على تحليل كثير من الموضوعات وذلك مثل مقدمته التى كتبها عن اللغة الفارسية فى أفغانستان والتى يقول فيها «من الخطأ أن نعتبر اللغة الفارسية لغة إيران وحدها دون سائر الشعوب الأخرى التى عملت على تنميتها واتخاذها لساناً لها ولا شك أن فضل أفغانستان فى تنمية هذه اللغة لا يقل عن فضل إيران بمعناها الضيق أو معناها المتعارف عليه الآن ذلك لأن أفغانستان منذ العصور المغرقة فى القدم تعتبر امتداد لغوياً للغة الآرمية التى سادت آسيا الوسطى وشملت بكتريا (بلخ) وما وراء النهر والهضبة الإيرانية ونواحى كثيرة من تركستان الصينية والروسية لأن أفغانستان فى العصور الوسطى كان الجزء الواضح والفعال من ولاية خراسان وكلنا يعلم أن النهضة الحقيقية للغة الفارسية الإسلامية أى اللغة الفارسية الحالية إنما كانت حقيقة فى خراسان» صـ ٥٧.

كان أستاذنا فيما كتب عن أفغانستان أميناً يتحرى الصدق والدقة ولنضرب على ذلك مثلاً أنه حينما عرض للحديث عن كتاب العربية من أهل أفغانستان يقول «ولو أننا بحثنا عن كتاب العربية من أهل أفغانستان لخرجنا بعدد كبير ونتاج عربى وفير يتمثل فى أخبار القراء

والمفسرين والفقهاء والشعراء والأدباء والعلماء ورجال التصوف الذين ينتسبون إلى مدن هامة من مدن أفغانستان مثل بلخ وهراة وغزنة وسجستان وبدخشان وقندهار وغير ذلك من توابع هذه المدن والحاضر ومادام غرضى هو التلميح لا التصريح والإجمال لا التطويل فإننى أكتفى بأن أحيل الفاحص المتمعن إلى كتب التاريخ والسير والجغرافيا ففيها فوق ما يبتغى أو أكثر» صـ ٥٥، ٥٦.

بذل أستاذنا جهداً واضحاً وهو يؤرخ لأفغانستان فى هذا المقال لأنه فيما يبدو أن هذه الطبعة كانت تحكمها ظروف معينة فقد كان المطلوب إخراج كتاب فى أسرع وقت وأضيق نطاق بمناسبة زيارة الملك محمد الظاهر شاه فى الأسبوع الأخير من أكتوبر ١٩٦٠م ومع هذا فقد حالفه التوفيق فى الموضوعات التى اختارها لمقاله. وقد ركزها فى موضوعين رئيسيين أوضح فيهما جداً الوجه الثقافى والفكرى لأفغانستان وهما جانب اللغات فى أفغانستان والآثار فيها وقد أبرز فى مقاله من خلال هذا التاريخ الحقيقى الثقافى الفكرى لهذه الأمة العريقة. ابتعد استاذنا عن الأسلوب الإنشائى فى المقال فجاءت كتابته مدعمة بالحجج التاريخية ممثلة فى الأسماء والأرقام والأحداث والصور حتى يستطيع القارئ أن يحكم بموضوعية على الأحداث مثال ذلك ما أورده عن تماثيل بوذا فى

منطقة باميان ص ٧٢ و ص ٧٣ وما أورده عن المسجد الجامع فى هرات ص ٧٦ ثم ما أورده عن منار جام فى هرات ص ٧٩. يبدو الحس الدينى واضحاً عند أستاذنا فى مقاله عن أفغانستان وكان لثقافته الإسلامية الواسعة أكبر الأثر فى ذلك وقد ظهر هذا فى مفتتح مقاله ص ٥٣ ثم فى حديثه عن اللغة العربية فى أفغانستان ص ٥٦، ٥٥، ٥٤.

يبدو أن أستاذنا فى كتابته عن أفغانستان لم يغفل أهمية التاريخ كتراث ثقافى وإنسانى له أكبر الأثر على حياة الشعوب الأمم إضافة إلى أهمية التاريخ كتجربة جديرة بالمحاكاة والعبر ولذلك اختار أن يكتب عن آثار أفغانستان ويسرد تاريخها من خلال آثارها ليُعرِّف المسلمين بماضيهم التليد ويكون حافزاً لهم لصنع مستقبل مشرق وقد ظهر هذا فى صفحاته من ص ٧١ إلى ص ٨٥.

.تميز مقال أستاذنا بالمنهجية الشديدة وبالذكاء المفرط فى اختيار الموضوعين اللذين عرض لهما وبذلك أضاف جديداً للدارسين فيهما إذ لم يشأ أن يوزع جهده فى أكثر من موضوع حتى لا تأتى الموضوعات سطحية أو موجزة وبذلك تفقد قيمتها.

مثلت قضية اللغات[1] فى أفغانستان أهمية كبيرة فى مقال أستاذنا ونجح بشكل لافت فى النظر فى تتبع تاريخها وفترات ضعفها وقوتها وحالفه التوفيق فى كل ما عرض له من مناقشات حول تاريخ هذه اللغات فجاءت دقيقة وأسلوبه جميلاً وأضرب مثلا على ذلك بما جاء فى حديثه عن اللغة التركية ص ٦٣، ٦٤.

فتح أستاذنا بكتابته عن أفغانستان الباب على مصراعية للباحثين منبهاً إياهم بأن هناك جوانب هامة فى تاريخ أفغانستان لا تزال فى حاجة إلى جهد كبير من الدارسين والمؤرخين نظراً لندرة المصادر والمراجع التى عالجت الفترات الهامة فى تاريخ أفغانستان وتاريخ شعبها الكريم.

وأخيراً إن ما كتبه أستاذنا عن أفغانستان يجب أن يوضع فى إطار متميز لندرته فى الوقت الذى كتبت فيه ثم لأهميته فى الوقت الحاضر بعد أن أحتل اسم أفغانستان الساحات العالمية.

---

(١) اللغات الموجودة على أرض أفغانستان هى - الفارسية - البشتو - العربية - البلوجيه - الكرديه - الأورمرية - البراجبه - المنجيه - الواخيه - السريكليه - السنكليجيه - الاشكاشميه - الزيباكيه - الشغنيه - الروشانيه - الكتيه - الوايكليه - الاشكنيه - البرسنيه - البشئيه - الكربتيه - الكلشيه - التيراهيه - الجتيه - اللهندائيه - السنديه - البنجابيه - املغليه - الأذكيه - القازاقيه - السرتيه - التركمنيه - الآذريه - البراهويه - الكوجريه - الكرنكليه - الساويه - القرغيزية.

مصادر ومراجع البحث

المصادر والمراجع العربية

(١) دكتور / إبراهيم رزقانة

إيران وأفغانستان طبعة القاهرة

(٢) إبراهيم أمين الشواربى

أغانى شيراز طبعة القاهرة الطبعة الأولى

(٣) أحمد أمين

فجر الإسلام طبعة القاهرة

ضحى الإسلام

ظهر الإسلام

(٤) دكتور / أحمد السعيد سليمان

تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة طبعة القاهرة

(٥) أبو العنين محمد فهمى

أفغانستان أمس واليوم طبعة القاهرة

(٦) دكتور / أحمد محمود الساداتى

تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية طبعة القاهرة الطبعة الأولى

(٧) أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر اليعقوبى

تاريخ اليعقوبى   طبعة النجف الأشرف

(٨) إدوارد جرانفيل براون

تاريخ الأدب فى إيران من الفردوس إلى السعدى الترجمة العربية

طبعة القاهرة

(٩) آرثر كريستنسن

إيران فى عهد الساسانيين الترجمة العبرية   طبعة القاهرة

(١٠) أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى

كتاب البلدان   طبعة القاهرة

(١١) جرجى زيدان

تاريخ آداب اللغة العربية   طبعة القاهرة

(١٢) أبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى

فتوح البلدان   طبعة القاهرة

(١٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى

تاريخ الرسل والملوك   الطبعة الثانية طبعة القاهرة

(١٤) دكتور / حسن إبراهيم حسن

تاريخ الإسلام السياسى والدينى الاقتصادى طبعة القاهرة

(١٥) الدكتور / حسين مجيب المصرى

صلات بين العبر والفرس والترك طبعة القاهرة

(١٦) أبو حنيفة الدينورى أحمد بن داود

الأخبار الطوال طبعة القاهرة

(١٧) خليل الله خليلى

هرات - تاريخها - آثارها - رجالها طبعة بغداد

(١٨) رضا زاده شفق

تاريخ الأدب الفارسى الترجمة العبرية طبعة بغداد

(١٩) أبو الريحان البيرونى

الآثار الباقية عن القرون الخالية طبعة ليبزخ

(٢٠) دكتور / محمد أمان صافى

الخزانة الخفية طبعة القاهرة

(٢١) حق شناس

العلاقات الأفغانية الروسية طبعة القاهرة

المصادر والمراجع الفارسية

(١) آريانا (دائرة معاف) طبعة كابل

(٢) أحمد على كهزاد

أفغانستان در برتو تاريخ طبعة كابل

رهنماءى باميان طبعة كابل

لشكركاه طبعة كابل

(٣) خليل اللّه خليلى

سلطنة عزيونات طبعة كابل

(٤) ذبيح اللّه صفا

تاريخ أدبيات إيران طبعة طهران

(٥) سيد محمد قاسم رشيا

أفغانستان درقرن نزده طبعة كابل

(٦) عبدالحى حبيبى

تاريخ أفغانبستان بعد ازاسلام طبعة كابل

تاريخ مختصر أفغانستان مجلدان طبعة كابل

(٧) أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك الكرديزى

الترجمة العربية طبعة القاهرة

(٨) غلام جيلانى

غزنة وغزنويان طبعة كابل

(٩) فضل أحمد

رهمناى أفغانستان طبعة كابل

(١٠) محمد عوف

لباب الألباب طبعة طهران

(١١) منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجانى

طبقات ناصرى تحقيق عبدالحى حبيبى طبعة كابل

(١٢) مير غلام محمد غبار

أفغانستان درمسير تاريخ طبعة كابل

رقم الإيداع : ٤٩٤٣/ ٢٠٠٥

الحريرى للطباعة ٣٢٠١٢٨٥